عن لبنان... لماذا أكتب؟

نقولا ابو فيصل

الجزء الرابع

عن لبنان ... لماذا أكتب ؟

نقولا أبو فيصل

الجزء الرابع

تدقيق واخراج وتنضيد الكتروني
عارف مغامس

لوحة الغلاف
الفنان مارون مخّول

تنفيذ الطباعة
المطبعة العربية

بيروت–لبنان
جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الاولى
عام ٢٠٢٣

بين مار زخيا عجلتون وغلندل هيلز يارفان اللُّبنانيّة الَّتي خططت ونفذت.

قبل مغادرتها لبنان والانتقال إلى أرمينيا، ولا أعتقد أنها هاجرت لأن طيور الحمام لا تهاجر. تحدثت مايا مع صورة والدها المنتقل إلى السماء بصمت وريبة قائلة له: ارسمني يا أبي نجمة في السماء لأبقى وحيدة قلبك؛ لأن القمر ملك للجميع، أعدك أنك ستبقى فخورًا بي بعد أن كتبتني في سجل عمرك «كلمة»، ابنتك سوف تحفظ اسمك حتى انقضاء العمر يا أبي.

كما أشكرك على إعطائي أفضل حياة يمكن أن أطلبها، سأفتقدك دائمًا ولن أنساك أبدًا، ستأتي الأيَّام والشهور والسنوات وتذهب، وسوف يكون لديك دائمًا جزء من قلبي لن أعود إليه أبدًا، حتى نلتقي مرة أخرى.

وفيما والدتها تريز في انهماك بجمع أغراضها للهجرة في حمولة توازي «حمولة الجمل» أردفت مايا تقول: «كلنا ندرك يا أبي أن أجمل القصص تنتهي بالفراق، كما فعلت أنت، لكنه رغم الحب الدفين في قلبي لمكان طفولتي في مار زخيا- عجلتون فإنني رحلت بعد أن راح جنى العمر، وأجبرني تدني قيمة النقد الوطني على الهجرة، وقصدت بلاد الأرمن بعد أن سطرت بحبر قلبي ما تبقى من ذكريات هناك، انتقلت مع والدتي وأخي إلى محلة غلندل هيلز في العاصمة يرفان، وهذه ليست رغبتنا إنما مشيئة الله لجعلك تشعر بالأمان حيث أنت .

ولأن لا معرفة شخصيَّة معها حتى الآن كتبت لي تقول: لا أحد يعرف قصتي بأكملها، أنا أعتني دائمًا بأسرتي منذ أن كان عمري ١٩ عامًا، أنا امرأة مجازفة، أخطط وأنفذ، يلقبني أصدقائي بالعقل المدبر لعائلتي الَّتي تأتي أولًا ودائمًا، حتى عندما كان أبي على قيد الحياة كنت أعمل في مهنة التدريس، وذلك

بين مار زخيا عجلتون وغلندل هيلز يارفان اللُّبنانيّة
الَّتي خططت ونفذت.

مـن أجـل رعايتـه، ولا أزال أعمـل في نفـس المهنـة حاليًّـا بعـد حصـولي عـلى عـرض مـن مدرسـة في يرفـان، لـدي شـقيقان أحدهمـا غـادر لبنـان منـذ مـدَّة، وهـو متـزوج ومقيـم في السُّـعوديّة.

وتختـم مايـا قائلـة:» لطالمـا تحملـت المسـؤوليَّة في المنـزل، وكان عـليّ أن أواجـه الحيـاة بمفـردي منـذ أن كان والـدي مريضًـا، وكان عمـره ٥٧ عامًـا عندمـا تـوفي، كنـت سـأفعل أي شيء لإبقائـه عـلى قيـد الحيـاة، لكنـني لم أسـتطع. مـات بينـما كنـت في العمـل، لم أسـتطع أن أقـول لـه: وَداعًـا. كان عـليَّ أن أكـبر في سـن مبكـرة جِـدًّا. لم تكـن الحيـاة سـهلة بالنِّسـبة إليّ. كان عـلي أن أبـذل قصـارى جهـدي طَـوال حيـاتي للاعتنـاء بنفـسي وبعائلتـي».

بين إحسان الظن بالحكام وخيبات الأمل بالأوطان، هجرة قاتلة.

اسمه كيفورك، هو مواطن لبناني التقيته في الاغتراب مهزومًا من دولته الَّتي اضطر مرغمًا أن يترك أرضها المقدسة على حد تعبيره، وأن يهاجر قسرًا، فيما الدموع تنهمر من عينيه، وهو يروي لي قصته مع وطن الأرز الَّذي ولد فيه وعشقه إلا أنه طلب مني الاحتفاظ بحديثنا، ولكن بعد قراءته قصة باميلا البارحة تشجع على ما يبدو وطلب نشر ما دار بيننا من حديث في ذات ليل. يقول كيفورك: «أحسنت الظن بأهل الحكم في وطني ولم أنل منهم إلَّا خيبات الأمل المؤلمة، روحي تحترق من شدة الألم وكتمان البكاء بداخلي وقسوة المعاملة ولم أحظ يوميًّا بالحُب الَّذي بادلت لبنان به، ولنصف قرن من الزمن الضائع واجهت الصعاب وعشت جراحات الوطن والمواقف الَّتي تكسر الحجر، بكيت في السر وأظهرت القوة في العلن، قاومت في حرب داخلية لم يبق فيها شيء حيٌّ من كثرة الخيبات والانهزامات.

يتابع قائلًا: لبنان ذلك الحضن الَّذي طالما تمنيته دافئًا، ولكنه ما منحني يومًا سوى الخيبات والأوجاع الَّتي ثقبت قلبي، منذ ولادتي، لا بل منذ أن شرع عقلي بالنضوج، لم تكن الهجرة يومًا خِياري، ظننت أن قدرتي عالية جِدًّا على تحمل جبال من خيبات الأمل، وكنت أعيشها ممارسة يومية، ولطالما كنت أكسرها بإصراري، ولكني فشلت، ولم أنل المراد في البقاء. منذ تخرجي الجامعي حتى اليوم وأنا أسعى للحصول على الأفضل، وصلت إِلى حد اليأس وشاطئ الاكتئاب وفقدان طعم الشغف بالحياة، خاصَّة بعد أن تراكمت كل الخيبات الَّتي حصدتها في وطني؛ يتابع صديقي: «يراودني حنين العودة إِلى لبنان بعد أن وفرت لنفسي في الخارج مقومات الصمود للعيش في الداخل، ولكن سرعان ما أعدل

بين إحسان الظن بالحكام وخيبات الأمل بالأوطان، هجرة قاتلة.

رأيي عندما أتذكر مقولة أبي بعد زيارتي الأخيرة إلى لبنان حين كان يقول: «لا تطالب برحيل الأنظمة ومكافحة الفساد، خذها مني؛ لا تعُد، ارحل أنت، وابق بعيدًا».

نعم صديقي كيفورك، ربما مقولة أبيك وحدها أقنعتني أنا أيضًا؛ فالأوطان كلها تتقدم وتزدهر، ولبنان الوطن صار في الجاهلية الجديدة، نعم صديقي، لم يتركوا لنا خِيارات واسعة؟ لا تنتظر أن تصبح قلوبهم القاسية ليّنة، فأمثال حكامنا لا قلوب لهم، دفعوا بالوطن إلى الخلف عشرات السنين فيما العالم حولنا يتقدم، يبحث حكام بعض الدول المجاورة للبنان عن رفاهية الشعوب، صدقني لم يكن لبنان يومًا في مقدمة اهتمامات حكامه، وجهت إليهم خطابات ورسائل كثيرة بحبر المشاعر واستشعار الخطر طالبًا منهم الاستفاقة والاستيقاظ قبل فوات الأوان، طلبت لقاءات عديدة مع أصحاب القرار منهم في العلن والسّرّ، استحلفت ضمائرهم بعدم تهجير الصناعة اللُّبنانيّة؛ ما الَّذي تغيّر؟ لا شيء سوى أن حزني قد تضاعف أضعافًا، وما زلت لا أرغب في العودة عن قراري، وهو البدء من جديد، وفي بلاد جديدة.

بين صمت الله وصمت البشر، مطرحك يا واقف.

الصَّمت هو فنّ لا يتقنه الكثير من البشر، فمن كان مبدعًا بصمته هو بالتأكيد مبدع بكلامه، والجاهل هو الَّذي يعتقد أنّ الصَّمت هو عدم معرفة أو خوف من المواجهة، وهذا غير صحيح؛ فالصَّمت هو أساس الحكمة والمعرفة، فكم من أدباء وشعراء مدحوا الصَّمت وذموا الكلام السَّيِّئ الَّذي أهان به الإنسان أخاه، ومن المؤكد بنظري أن الله سوف يحاسب يومًا كل مسؤول لصمته على الأذى الَّذي تسبب به لكل رُوح على هذه الأرض لم يرَ منها سوى الرحمة وعن كل قلب قسا عليه، ولم يكن يرغب سوى أن يعيش بسلام، وعن كل قسم قام بتأديته، وهو يعلم أنه كاذب، وعن كل صمت وتستر على ظلم كان سببه، وعن كل دمعة وكلّ تنهيدة، وكل بكاء وكل خيبة أمل لمواطن لعنه صباحًا ومساءً، وهو في طريقه يبحث عن رغيف خبز أو دواء لمريض.

يقول شكسبير: «تغافلنا عن أشياء كثيرة، وظنوا أننا مغفلون»، ومع ذلك فإنَّنا أحيانًا نُصر على الصَّمت؛ لأن هنالك أشياء لا يعالجها الكلام، فليس كل صامت غير قادر على الرد، هناك من يصمت حتى لا يجرح غيره، وهناك من يصمت لأنه يتألم وكلامه سيزيده ألمًا، وهناك من يعلم أن الكلام لن يفيد إذا تحدث، وهناك من يصمت وقت الغضب حتى لا يخسر أحدًا، والصَّمت مُتعِب، لكنه يبقى أرقى وسيلة للرَّد على كثير من الكَلام، وربما هناك صمت يقربك إِلى الله، خيرٌ من كلام يضحك من حولك هنا ويبكيك كثيرًا هناك.

وفيما المواطن اللُّبنانيّ هو الصامت الأكبر على ظلم ذوي القربى هذه الأيَّام، وبعد قراءة قاتمة لكل التقارير الدَّوليَّة حول فداحة الوضع والانهيار العظيم الحاصل، لا تزال الطبقة الحاكمة في لبنان تظن نفسها أنها من أصناف

الآلهة الأسطورية نسمع أقوالها ولا نرى أفعالها، ولا من يبالي بما سيكتبه التاريخ عنهم غدًا، وقد انتقل المواطن بسلاسة من مرحلة السماع بالانبهار إلى مرحلة ملامسته واقعًا نشاهده في الوجوه الشاحبة، في الشوارع الكئيبة، في الطوابير أمام الأفران ومحطات المحروقات، في صمت الجائعين، في اليأس من الغضب، في الخوف من الغد والهجرة، نشاهده في فجور «الآلهة الأرضيين» الَّذين لا يزالون يتناحرون على ثمن بخس ومقعد وزاري في حكومة مفقودة. وقد لا يلام الحكام على فجورهم طالما الشَّعب المسكين لا يزال صامتًا ويركض وراء جلاديه، والانتخابات النيابية الأخيرة كانت خير دليل على ذلك .

بين فزَّاعة العصافير في حقول القمح والدول الفزَّاعة وصناعة الخوف.

يحكى أنه في ماضي الزمان كانت العصافير تخشى فزَّاعة الحقل وتظنها شيطانًا، وظلت العصافير تكتم أنفاسها حتى تجرأ عصفور صغير وقام بنقر رأس الفزَّاعة ولم تصبه بأذى، ومنذ ذلك اليوم تعلمت العصافير الزقزقة، وفكرت الفزاعات في الانتحار، وفازت العصافير بجرأة عصفور واحد، وهكذا هي الحياة يا أصدقائي تبدأ بخطوة.

ورغم أن بعضهم لا يزالون يعتقدون أن العصافير لن تتورع عن مهاجمة سنابل القمح في حقولهم إن لم يتم وضع فزَّاعة عند مداخلها، لكن التجرِبة اللُّبنانيّة علّمت الجميع أنه إذا أردت أن تزرع الأرض وتأكل من خيرها يجب أن تذود عنها شرور الطامعين عن سمائها ومائها؛ فالسنابل الَّتي لا تسندها بندقية الزارع تسرقها بندقية الطامع، والشاطر يفهم.

وقد انتشرت الفزَّاعة تاريخيًّا انتشارًا شعبيًّا واسعًا منذ أزمة الركود الاقتصادي الكبير في أميركا في العام ١٩٣٠، وصولًا لما بعد الحرب العالمية الثانية، حيث انتقلت الزراعة إِلى عالم الأعمال الكبرى، ولم تعد الفزَّاعة تفي بالغرض لحماية مئات الهكتارات الَّتي تملكها شركة واحدة مثلًا، عندئذٍ بدأ رش المبيدات على نطاق واسع، ولا سِيَّما المبيد السام الَّذي اشتهر باسم «دي دي تي» الَّذي تمَّ حظر استعماله لاحقًا بعدما اكتشف العلماء في العام ١٩٦٠ أن استعماله ضار بمن يأكل المزروعات الَّتي استُخدم لحمايتها، وعاد المزارعون إِلى ابتكار حلول بدائية مثل فزاعات اصطناعية تلوِّح بأذرع كالمراوح لإخافة الطيور، ثم ابتكرت شركة بريطانية فزَّاعة آلية هي علبة ذات أذرع تقام على رأس وتد طويل، وتحتوي العلبة على أغطية تنفتح فجأة كل ٤٥ دقيقة، وتحرك الأذرع صعودًا وهبوطًا، غير أن الصوت القوي الَّذي تحدثه الآلة أخافَ العصافير وجيران الحقول، فتم صرف النظر عنها.

بين فزَّاعة العصافير في حقول القمح والدول الفزَّاعة وصناعة الخوف.

وإذا كان بين الإنسان والعصافير عَلاقة حب ومودة تاريخية إلا أن التنافس على الطعام بين الفلَّاح الَّذي اجتهد في زراعة أرضه، وينتظر موسم الحصاد من جهة، والطيور الباحثة عن طعامها من جهة أخرى، جعل الحاجة لنَصب الفزَّاعة في حقول القمح ضرورة لحماية المحاصيل، ومن «فزَّاعة الحقل» استوحت الدول الكبرى فكرة «الدول الفزَّاعة»، حيث قامت في بعض المناطق الإستراتيجية من الكرة الأرضية بتنصيب «دولة فزَّاعة أو دمية»، وفي الغالب تكون هذه الدَّولة الفزَّاعة دولة متهالكة الاقتصاد يطلب إليها تأدية دور الفزَّاعة مثل فزَّاعة الحقل الَّتي تُخيف العصافير بوكالة الوهم وهي دمية، فليس سهلًا على الإطلاق أن تخيف الشعوب دمية أو فزَّاعة في وقت لم تعد العصافير تخاف من فزَّاعاتها، وهذا في علوم صناعة الخوف وتلقيه هو أشدّ ألمًا على الشعوب من الحروب العسكرية.

بين التفاؤل والإيجابيّة ومواصلة الإنتاج.

بات من المؤكد لي بعد أكثر من ثلاثين عامًا من خوضي عالم الصناعة والتجارة ومؤخرًا الزراعة، أن التفاؤل والإيجابيّة ينتقلان بالمعاشرة، فالإكثار من معاشرة الناجحين زادني تفاؤلًا، فيما ابتعادي من مجالسة العاجزين والمحبطين جعلني أتجنب الإحباط والتشاؤم، وهكذا اكتشفت أن أهم مفاتيح تطوير النَّفس البشرية هي النظرة الإيجابيّة إلى الحياة بتفاؤل وأمل.

ولعل أكبر التَّحدِّيات وأعظمها في حياة الإنسان هي التَّحدِّيات الَّتي يقوم بها لتحسين قدراته الذاتية، لذا وجب الحرص على تخصيص الوقت اليومي اللَّازم لتطوير المعرفة عند الإنسان حتى لا يفقد جزءًا كبيرًا من حياته، كما أن الإكثار من اختلاطه بالأشخاص الإيجابيّين يمنحه رؤيةً جميلة للحياة، ويؤثر في أفكاره وسلوكيات حياته، وهكذا ينتقل داء الإيجابيّة ويتحول الإنسان إلى شخص إيجابيّ بشكل لا شعوري، ثم يبدأ بالتأثير في الآخرين من حوله، ونشر ثقافة التفاؤل والإيجابيّة، ويصبح منارة خير يسعد نفوسًا مكتئبة وتنشرح له قلوب متألمة.

وبين ضعف الإنسان وقِلّة حيلته وفَقرِهِ وفاقتِهِ إلى ربه، وبين الخوف والرجاء في ما عند الله من الرحمة والمغفرة يتحول المؤمن إلى التفاؤل والإيجابيّة والإيمان أن ما عند الله خير من الدُّنيا وما فيها، ولعل من أهم مقومات النجاح في الأعمال هو تحويل الأزمات إلى فرص، كما يحصل حاليًّا في الاقتصاد اللُّبنانيّ المتهالك، كذلك العمل الدائم والمستمر والاعتراف بالأخطاء والقدرة على التكيف والتفاؤل والإيجابيّة في العمل وتحويل الصعاب إلى نقاط قوة، وتجنب الروتين الممل الَّذي يبعث على الكآبة النَّفسيَّة وتغيير النمط المتبع حاليًّا في حياتنا

وأعمالنا وعَلاقتنا وتجديد النشاط، وجعل الحياة لها بريق يساعدنا على التفاؤل والإيجابيّة ومواصلة العطاء والتواصل مع الآخرين.

بين البركة والحماية الإلهية والتجرِبة.

يـأتي الكتـاب المقـدَّس عـلى ذكـر البركـة في ٨٣ آيـة، لكـن مـا هـي البركـة؟ وهـل هـي ثبـوت الخـير الإلهـي في النَّفـس البشريـة المباركـة؟ أم أنهـا درع مـن الحمايـة الإلهيـة أو اتصـال إلهـي بـين العبـد وسـيده السـماوي؟ لهـذا كلـه نسـأل الله دومًـا في صلواتنـا أن يبـارك أيامنـا وأطفالنـا وعائلاتنـا حتـى أموالنـا وأرزاقنـا وكل أفعالنـا، وأن يبـارك أجسـادنا، سـواء كنـا بصِحَّـة جيـدة أو في حـال المـرض، وأن يمـلأ قلوبنـا بالنـور والمحبـة والرحمـة والمغفـرة، وربـما كانـت البركـة هـي الكلمـة الأكثـر اسـتخدامًا في الكتـاب المقـدس، حيـث ذكـرت مـع أخواتهـا، مثـل: بـركات، مبـارك، يبـارك أكثـر مـن ٢٠٠ مـرة أَيضًـا، وهكـذا نجـد أن يكـون الإنسـان مبـاركًا مـن الـرب يعنـي أنـه نـال حظـوة لـدى الله المـوزع الأوحـد للنعـم لجميـع البـشر .

وعـلى مـا يبـدو لي فـإن الله يسـمح لنـا أن نمـر في أخطـار، ويـترك الألم يدخـل في حياتنـا في كثـير مـن الأحيـان، وهـو يعـرف ويـرى وحـده قـوة الـشر الَّتـي تحـارب حياتنـا، ورغـم ذلـك فإنـه يسـمح بذلـك لكنـه يقـوم برسـم خريطـة معينـة يضـع مـن خلالهـا حـدودًا للخطـر، ومثـال ذلـك في تجرِبـة أيـوب، حيـث يأمـر الله الشـيطان قائـلًا لـه: «احْفَـظْ نَفْسَـهُ»، فـلا يسـتطيع المجـرب أن يتعـدى قـول الله وتجـاوز الحـدود الَّتـي وضعهـا في هـذه التجرِبـة، وعندمـا يرفـع الله غطـاء الحمايـة عنـا ويسـمح للخطـر أن يدنـو مـن حياتنـا فإنـه يفعـل ذلـك بمقياسـه الدقيـق لقـوة تحملنـا وباختيـاره المناسـب لنـوع التجرِبـة الَّتـي تناسـب شـخصيتنا وظروفنـا كـي تقودنـا في النهايـة للسـلوك في إرادتـه.

وإذا كان «الله هـو الحامـي»، كـما تعلمنـا مـن الأهـل والأجـداد، لكنـه يسـمح للخطـر بشـكل جزئـي أن يقـترب مـن الإنسـان شرط أن لا يتعـدى الحـد المعـين لـه،

وبشكل معين يناسب ظروف وطبيعة الإنسان ولهدف محدد كي يجني منه بركة، ومع كل سماح بالخطر، ومع كل تجرِبة مؤلمة يجني الإنسان بركات عديدة من عند الله، فهو وحده القادر على تحويل اللعنة إلى بركة، وإذا أردنا الحماية الإلهية وجب علينا أن نعيش وفق المشيئة الإلهية بالاتكال على الله وحده، ولعل في هذه الآية من الكتاب المقدس الجواب الأكيد لما نعتقد ونؤمن أن الله معنا: «لَمْ تُصِبْكُمْ تجرِبة إِلَّا بَشَرِيَّةٌ، وَلَكِنَّ اللهَ أَمِينٌ الَّذي لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون بل سيجعل مع التجرِبة أَيضًا المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا». (١كو ١٠: ١٣)

بين ظلام الرحم وظلام القبر حياة ظالمة.
Between the darkness of the womb and the darkness of the grave.unjust life.

يأتي الإنسان إلى الحياة من مكان ضيق ومظلم، وسوف يعود لا محالة إلى مكان ضيق ومظلم، وما بين ظلمة الرحم وظلمة القبر يعيش حياة أشد ظلمة وأكثر ضيقًا، فليس في الحياة راحة كما يرى بعضهم من قاطني دول العالم المتخلف ونحن منهم، أما بعضهم الآخر من قاطني الدول المتقدمة، فإنهم يرون أنه بين هاتين الظُّلمتين هناك شعاع إشراق شمس لحياة يستضيء به الإنسان العاشق للحرية فيصنع حياة سعيدة، كما أن كثيرين من سكان الدول المتحضرة يعيشون التعاسة في حياتهم، ولا يستشعرون ذلك النور فتستمر حياتهم فيما بين هاتين الظلمتين .

بدوره سأل الكاتب والفيلسوف المصري الدكتور مصطفى محمود في كتاباته يقول: «ماذا ستفعل في قبرك طَوال ١٠٠ ألف سنة؟» سأعطيك طريقة نفعت معي كثيرًا وأصبحت أركز في عبادتي أكثر، فالقبر مخيف، طبعًا لغير المصلحين، فكرت في ذلك وأنا الآن عمري ٥٤ سنة، كاره الدُّنيا واللي فيها، ومع كل فعل خير أتخيل أني أضعه رصيدًا لي في القبر. بعد موتي سيتركني الجميع ويعودون إلى بيوتهم. سأظل وحدي ممكن مليون سنة، إذًا، سوف أكون بحاجة إلى أن يكون قبري جنة. حياة ما بعدها حياة، لا شيء لوجه الله، فلا ينتظرني هناك إلَّا العذاب والظلمة من جديد، والحساب الشديد، يتابع: «نصيحتي لك اجعل قبرك بنكًا، ضع فيه كل رصيد، اعتنِ بعبادة الله جيِّدًا، اعلم أنك حتى في قبرك سوف تشكرني من هناك».

وهكذا نحن يا أصدقائي فإنَّنا نعيش بين الحياة والموت، نحن موجودون

داخـل المشـهد، يـأتي البـشر ويذهبـون إِلى الأرض، لكـن الأبـرار والمصلحـين فقـط سـوف يكونـون مـع الـرب في مجيئه الثـاني ويخلصـون أنفسـهم، هنـا عـلى هـذه الأرض يمكـن للإنسـان أن يعيـش الظلمـة والنـور، ويمكنـه أن يقـرر أَيضًـا أن يعيـش مـع الله أو مـن دونـه، أن يعيـش الحـب والخـير والتفـاؤل، أن يعيـش لدنيـاه كأنـه يعيـش أبـد الدهـر، وأن يعيـش لآخرتـه، كأنـه سـوف يمـوت غـدًا، وهنـا أَيضًـا وقبـل موتـه يتصـارع الإنسـان مـع نـدم ماضيـه السَّـيِّئ أو الجيـد، والَّـذي عاشـه عـلى شـكل وحـش شريـر أو عـلى شـكل إنسـان عرفـت الرحمـة إِلى قلبـه طريقًـا، قليلـون هـم الَّذيـن يعملـون عـلى هـذه الأرض مـن أجـل إيجـاد السـلام في الآخـرة؛ إنهـا فعـلًا حيـاة مخيفـة حيـث يمكـن للمـرء أن يمـوت فيهـا موتًـا ثانيًـا، وينزلـق إِلى الظـلام الأبـدي إذا سـمح لماضيـه بالنـدم عـلى هزيمتـه .

بين حكمة وجنون الحكام وذنوب وتعتير الشعوب.

على مدى ثلاثين سنة وأنا أراقب عبادة رجال السياسة للكراسي في لبنان، ولكنني لم أكن أقترب منهم كثيرًا حتى لا أعض أصابع اليد يومًا ندمًا على إضاعة الوقت معهم، وكان ذلك جيِّدًا ووفر عليَّ عدم هدر الوقت والمال بصراحة كاملة، وقد عرفت في حياتي العديد من رجال السِّياسة، أحدهم بدا لي من النظرة الأولى مجنونًا، لكنهُ حكيم، وآخر بدا لي حكيمًا لكن سرعان ما اكتشفت أنه مجنون، وثالث بدا لي حكيمًا وتأكدت من ذلك، كذلك عرفت رابعًا بدا لي مجنونًا وثبت ذلك؛ فالسلطة تفضح العيوب واللائحة تطول، كما أنني عشت طَوال حياتي مع إنسان مغامر جِدًّا، صعب المزاج، كما كانوا يصفونه لي، جمع في شخصيته بين الحكمة والجنون، وبين الطيبة والتسامح في آن واحد وهو المتحدث إليكم.

في الحياة وفي لحظات معدودة يأخذ الإنسان قرارات متسرعة قد تكلفه الكثير طَوال حياته، وتلك اللحظات المحسومة الَّتي تأتي مباغتة هي أخطر اللحظات المختارة في حياة الإنسان والَّتي تفصل بين الحكمة والجنون، بين الجِد والهزل، بين الغضب والمسامحة، بين الحب والكراهية، هي عَلاقة تفصل بين أمرين على النقيض دائمًا، وهكذا نجد بين الصَّمت والجنون لحظة، ومن الحكمة الحفاظ دومًا على الاتزان كي لا يفقد الإنسان السيطرة على قراراته، كما أنه من الضروري أن يعتاد الإنسان على المشورة في أمور حياته بدءًا من الأمور البسيطة وصولًا إلى المواقف الصعبة الَّتي لا يكون لديه المتسع من الوقت للتفكير فيها كثيرًا.

وفيما أصبح الغلاء في لبنان جنونيًّا، وحياة بعض أبناء هذا الوطن صارت جحيمًا. ويؤسفني أن يكون الحال قد وصل إلى هذا الحد، وفيما بات من الحكمة إطلاق سراح أربعة ملايين لبناني من سجنهم الكبير، ووقف تأخير حصولهم على جوازات سفر بحجة معلنة، وهي عدم رصد الأموال اللَّازمة لطباعتها، بينما الحقيقة في مكان آخر، وهي عدم السماح للبنانيين بالهروب من أيدي جلاديهم، نعم هذا جنون. وصار الوقت لإنهاء حفلة الجنون هذه، والمستمرة منذ ١٧ تشرين الأوَّل ٢٠١٩ وبوتيرة عالية، كذلك صار الوقت لمعرفة مصير أموال المودعين في المصارف اللُّبنانيّة أَيضًا، وإعادة النظر في المداخيل المتدنية لموظفي القطاع العام والخاص والقوى الأمنية والجيش اللُّبنانيّ، فكيف يمكن لشعب لبنان الاستمرار في الصمود؟

في دولة الظلم والفساد في وقت يتحور جنون العظمة وحُب الأنا كما الأمراض الجرثومية في جسم سلطة فقدت بصرها وبصيرتها، وتستمر في حكم البلاد منذ تسعينيات القرن الماضي بحيث أتت نتائج سياساتهم الاقتصاديَّة كارثية؟ والسؤال الكبير برسم المجتمع الدَّوْلِيّ: «ألا اتعظتم يا حكام المال والسياسة في لبنان؟». ألا يزال هناك فرصة لإنقاذ ما تبقّى قبل سقوط الهيكل فوق الجميع، وحفظ ماء وجهكم وكرامتكم إذا كان عندكم كرامة أصلًا، أم أن ذنبنا أننا شعب يعشق الحياة، وهذا ذنب لا يغتفر؟

بين المطرب العاطفيّ ورجال الدين ووصايا الله.

إذا كانت الخمرة بنظر بعضهم هي منكرٌ وتقتل الكبد، وإذا كان الحب بنظر بعضهم الآخر هو حرام ويدمي القلب، أنت الَّذي تقرأ هذه الكلمات ما هو تعليقك؟ وهل توافقني الرأي أنه لا الخمرة تقتل الكبد، فالقليل منها ينعش قلب الإنسان، كما يقول السيد المسيح، ولا الحب يدمي القلب، كما يدعون فالله محبة؛ ولا المطرب العاطفيّ هو عاشق بالضرورة، إنما هو يعمل طلبًا للمال، ولا الإعلاميّ المرتشي يحب وطنه مهما أكثر من إطلالاته الأسبوعية في برامج «التوك شو» طلبًا للرزق، ولا كل رجل دين يعرف الله ويحفظ وصاياه؛ فالنَّفس البشرية ضعيفة منذ بداية الخلق .

وقد عرف العالم ديمقراطيات عديدة، وسوف أبدأ أولًا البحث في ديمقراطية حكم الشَّعب، حيث يتحول الحاكم إِلى ما يشبه غولًا فاسدًا لا يشبع ولا مسوِّغ لاستمراره، وهي ديمقراطية صورية تنخر جسد الأمّة بحجة حكم الشَّعب، والثانية هي أوتوقراطية أي حكم الرّجل الواحد، حيث يستعمل هذا المصطلح للأنظمة الاستبداديّة، وفي أذهان أصحابها يحسبون أن الأنظمة الموالية هي فائقة الديموقراطيّة، أما في لبنان فهناك صنف جديد في القاموس السِّياسيّ للأنظمة يسمى ثيوقراطية، وهو حكم رجال الدين، وهنا بيت القصيد.

خلال حكم رجال الدين أو ما يعرف بالمرجعيات الروحية المستمر والمتواصل للبنان، أقسم إنه كان من المستحيل أن يسمى رجل دولة أو قاضٍ في لبنان ما لم ينل رضى مرجعياته الدينية، وهكذا كتب للبنان منذ زمن طويل أن يتولى إدارته رجال دولة غالبيتهم من الفاسدين إِلى جانب رجال قضاء يستلهم غالبيتهم من بعض أهل السياسة قلة الضمير، ومن بعض رجال الدين عدم مخافة الله، وعدم التمييز بين الحلال والحرام، وها هم يغطون ويحمون السارقين

والمجرمين والفاسدين لإرضاء أسيادهم بالطبع، وتذكروا معي جيِّدًا أن مئة وثمانين قاضيًا لبنانيًّا رفضوا رفع السرية عن حساباتهم الَّتي تحوم حول بعضها الشبهات؛ ولا تفسير عندي لذلك سوى أن هذه الحسابات تخرج منها رائحة الصفقات والرشى، والله أعلم .

بين العناد السَّلبيّ والعناد الإيجابيّ وتجرِبة شخصيَّة.
Between Negative stubbornness and positive stubbornness and a personal experience.

العناد هو تعبير عن رفض القيام بعملٍ ما حتى لو كان مفيدًا أو الانتهاء من عمل ما وإن كان خاطئًا، والإصرار على ذلك وعدم التراجع مهما كانت محاولات الإقناع أو الإكراه، ونواجه في حياتنا اليومية نوعين من العناد: الأوَّل هو العناد الإيجابيّ المتمثل في الإصرار على الحق وتحقيق النجاح، وعناد النَّفس وعدم تركها لأهوائها، والعناد السَّلبيّ وهو العناد الَّذي يجعل الشخص أعمى لا يرى سوى الأنا، وأنه وحده على صواب، وأن الآخرين دائمًا على خطأ، لذا يجب على الأهل عند التعامل مع أطفالهم التفريق بين العناد الإيجابيّ والعناد السَّلبيّ، في حين أنه في العناد الإيجابيّ يقوم الطفل بالعناد لإثبات أنه على حق، ففي العناد السَّلبيّ يكتشف الطفل أنه على خطأ ويستمر في عناده، كما يوجد «عناد المرأة» من أجل رفض القوة والتسلط عليها.

والعناد هو سيف ذو حدين: يمكننا استخدامه للدفاع عن أنفسنا وآرائنا، أو استخدامه بطرق أخرى أكثر تدميرًا، وفي كلتا الحالَّتين فالعناد بحسناته وسيئاته يمكن أن يساعد على تثبيت الشخصيَّة وتحقيق الأهداف مع الحفاظ على وجود هادئ لعناد سلبي مقبول فيه رفض للمساومة ولأفكار غريبة عن مجتمعاتنا، ولنتذكر دائمًا أن الحزم ليس ذريعة ليكون الإنسان فظًّا أو لئيمًا، على أن التنمر على الآخرين للقيام بأفعال والسيطرة على أفكارهم وآرائهم ورفض التزحزح عنها يجعل العناد أمرًا رذيلًا، كما أنه يجب أن نفهم أنه لن يكون بمقدورنا الموافقة دائمًا على كل ما يقوله النَّاس، ويمكن أن تكون الآراء المختلفة تجرِبة تعليمية رائعة إذا جرى التعامل معها من خلال التحادث المثمر .

وفي تجرِبة شخصيَّة أودّ مشاركتكم بها فإنني لم أنزعج يومًا من عدم تفهم الآخرين رأيي أو الموافقة عليه حتى إنني لم أكن أنتظر ذلك ولم تكن غايتي يومًا إرضاء النَّاس، ولا بأس بذلك لأن إرضاء الله هي غايتي، تعلمت كيفية التأقلم مع الأشخاص الَّذين يملكون موهبة في العناد، نجحت معهم حينًا وفشلت مرات عديدة، تعلمت ممن حولي كيف يمكن أن يؤدِّي العناد الإيجابيّ دورًا مهمًا في حياتي أكثر مما كنت أتخيل، لم أرَ يومًا أي خطأ بحقي عدوانًا يجب التصدي له؛ اعتمدت منذ طفولتي اللغة الواثقة للتعبير عن الأفكار بطريقة بناءة، وكانت بمنزلة فرصة لي للوصول إِلى الأشياء الَّتي أريدها بسلاسة، كما أنني لم أخف يومًا من الآراء والأفكار الجديدة، وأكثر من ذلك كنت أتبناها وأعدل رأيي تجاهها عند إقناعي بها.

بين إنجازات الأم جيروم في الأنطونية
وإنجازات عشرة وزراء تربية في لبنان.

المعلم هو المربي الأوَّل والمرجع والطريق الوحيد للوصول إلى الله، وفي القديم كان التعليم مهنة الأنبياء ويسوع المسيح كان المعلم الأوَّل الَّذي حرَّر الإنسان وأعتقه من الهمجية والجهل وعبادة الأصنام والبشر، وفيما تغادرين أيتها الأم الرئيسة جيروم صخر مدينة زحلة إلى فرنسا في مهمة جديدة وأخيرة ربم، اسمحي لي أن أستعرض بعض إنجازاتك المباركة على مدى سبعة عشر عامًا من بناء الحجر والبشر في مدينة المعالفة وسعيد عقل وميشال طراد وكثيرين، عَمِلت فيها بلا كلل ولا ملل ولا إحباط لإنجاز ما عجز عنه كثرٌ، وتمكنت من تحويل ثانوية مار يوسف للراهبات الأنطونيات في كسارة إلى معلم تربوي من أكبر الصروح التربوية في زحلة، بل منارة للعلم والثقافة بعد إضافتك إليها الأبنية الجديدة القائمة على آلاف الأمتار من الأراضي والملاعب المكشوفة والمغلقة والقاعات والمسارح وما شابه.

حصادك أيتها المرأة المباركة كان وافرًا، وأفضالك على أولادنا كثيرة ولا تُنسى، واسمحي لي باسمهم أن أقبل يديك المباركتين عربون وفاء وشكر، نعم محظوظة هي مدينة زحلة بك، كذلك طلابك، وبالطبع أصدقاؤك، كيف لا وأنا على يقين أنه قد يخجل أمام إنجازاتك وخدمتك عشرة وزراء تربية تعاقبوا على عشر حكومات لبنانية خلال وجودك في رئاسة الثانوية الأنطونية، ومعظم الحكومات كانت فاشلة تربويًّا تجاه المدرسة الرسمية بالتحديد، وكان أعضاؤها يتقاذفون الأزمة من العام ٢٠٠٥ إلى العام ٢٠٢٢ تاريخ السقوط المدوي للنظام السِّياسيّ اللُّبنانيّ وللدولة المترهلة الموافق مع تاريخ انتهاء مشوارك المبارك في الصرح الأنطوني - زحلة.

بين إنجازات الأم جيروم في الأنطونية
وإنجازات عشرة وزراء تربية في لبنان.

الأم جيروم صخر رئيسة ثانوية مار يوسف للراهبات الأنطونيات زحلة تغادرنا خلال أيام قليلة إلى العاصمة الفرنسية بعد تعيينها رئيسة دير وبيت البروفيدانس في باريس، ولا أوسمة شرف على صدرها، ولا تبجيل ولا تكريم ولا مقدسات يمنع المساس بها، فلا شيء يدوم للإنسان سوى أعماله، وأنت من زاد الوزنة وزنات كثيرة، سوف نشتاق إليك أيتها الأخت العظيمة والقديسة الحية، كما تعودت على مناداتك .

(صور من الأرشيف لتخرج أولادي الثلاثة خلال مدَّة رئاسة الأم جيروم صخر للثانوية الأنطونية)

بين الاعتداءات الجنسية بحق الأطفال وحضارات زالت عبر التاريخ بعقاب من الله.

عفوًا لقد نفذ رصيدكم من السّتر أيها البيدوفيليين، وحش بشري آخر يغتصب أطفالًا، وسفاح جديدٌ تظهر جرائمه في القاع، مجرمٌ، تافه، قذر وحقير، وهو ليس إنسانًا، بل وحشًا يجب معاقبته وإعدامه بالخازوق، كما أحب رجل أمن شغل منصبًا رفيعًا تنفيذ الحكم فيه، ليجيبه رجل دين استفزه هذا الفعل قائلًا: أقسم بالله أنا مع بيل_غيتس في موضوع اختصار البشرية وإبادة ٢٠٪ من البشر مثل هذه النماذج.

سفاح القاع هو ظاهرة غريبة في المجتمع اللُّبنانيّ، هو شخص صاحب ضمير ميت، ولا يقدر نعمة الله لكل أب وأم عندما يرزقون طفلًا، وهذه منحة لا يعادلها شيء في الدُّنيا، أطفال قاصرون بريئون في بلدة القاع الحدودية طالتهم الاعتداءات الجنسية في جريمة جنسية بشعة يَندى لها الجبين في ظل قانون غير متشدد في عقاب هؤلاء المجرمين، من هنا نرى ضرورة إعادة النظر في المسوغ القانوني والتشدد في فرض أقصى العقوبات بحق الأشخاص الشاذين، وصولًا إلى تنفيذ عقوبة الإعدام فعلًا، والبحث عن سبل احتضان الأطفال «الضحايا» ومتابعتهم عبر اختصاصيين من وزراة الشؤون الاجتماعيَّة والجمعيات الَّتي تعنى بحقوق الإنسان ورعاية الأطفال.

وفي الختام، نذكر جميعنا في دروس التاريخ حضارات عديدة تمكنت في الأرض وبلغت أوجها بفعل ما رزقهم الله من النعم، وكان نتيجة ذلك أن طغوا وكثرت معاصيهم فأمهلهم الله حتى توسعوا وظنوا أن لا موت ولا عذاب حتى كانت نهاياتهم مختلفة؛ فمنهم قوم سلط الله عليهم قومًا أو أرسل إليهم عذابًا

بين الاعتداءات الجنسية بحق الأطفال وحضارات زالت عبر التاريخ بعقاب من الله.

من السماء أهلكهم به؛ فالله يمهل ولا يهمل، ويعطي البشر من النعم، ويجعلهم أسياد زمانهم، لكنهم يزدادون طغيانًا وتكبرًا، إشارة إلى أن الحضارات القديمة الَّتي سادت أزمنة بادت كلها بقوة الله، وأصبحت مجرد أطلال وأحجار تدل على وجود بشر في يوم من الأيَّام، لذا علينا أخذ العبرة من تلك النهايات، ووجب أن نتيقن أن كل قوّة وسلطة متجبرة مهما بلغت من الظلم والتجبر، فهذا إيذان بنهايتها وتحطيم أسطورتها المزيّفة، وأن هناك من هو أقوى منها، وهو الله الدائم الوجود.

بين إطعام الأفاعي البشرية عسلًا وتغيير طبيعتها السامة.

هل تبقى الأفاعي البشرية في لبنان، وتبقى معها سمومها القاتلة حتى انقضاء الدهر؟ وهل هذا هو قدر اللُّبنانيّين؟ وهل يمكن نزع سمومها وإجبارها ملازمة جحورها ومراقبتها وتعريف الأجيال القادمة عليها وعلى ألاعيبها الوسخة السامة؟ وهل جميع الأفاعي هي سامة، يجب الحذر منها وعدم الرأفة أو الرحمة بها؛ لأنها إن تمكنت فإنها تلدغ الإنسان حتى الموت بلا رأفة أو رحمة؟ ولا بد من الاعتراف أن هدوء النَّفس عند شعب لبنان المسكين لم يأت مِن فراغ، وربما سكنت في نفوس أبناء هذا الوطن المعذب آلاف الصرخات الَّتي لا حدُود لها، ولكن لم يسمعها غير الله.

إلى ذلك، فإن تشبيه بعض رجال الاقتصاد وحكام المال ورجال السياسة وأصحاب المصارف اللُّبنانيّة وكبار التجار المهربين المحتكرين والمرتهنين للخارج وعملاء السفارات بالأفاعي البشرية ليس مصادفة، فكل مصائب لبنان جاءت على أيديهم وكان خراب بيروت نتيجة حتمية لسمومهم الَّتي يستمرون بإطلاقها في الإعلام وعبر شاشات التلفزة ومواقع التواصل الاجتماعي، والَّتي قضت إلى حدٍ كبيرٍ على سمعة الوطن والمواطن، وعلى طموحات شعب قرر الهجرة هربًا من ظلم وسموم لدغات الأفاعي البشرية القاتلة.

وهكذا نجد أن العديد من أهل السياسة والمال والقانون ربما في لبنان مدانون بجرائم حرب قتلوا فيها وظلموا، سرقوا، بطشوا باسم الوطن والقانون وأثبتت جميع التقارير الدَّوليَّة تورطهم، ولم تطالهم يد العدالة، ولا تزال الأقلام الحقيرة والأبواق المأجورة تدافع عنهم وتبرر جرائمهم باسم الواجب الوطني وعدم التفريط بتراب الوطن؛ أمسخرة حقيقية هذه؟ أم استخفاف في عقول

اللُّبنانيّين الَّذين فقد معظمهم جنى عمره؟ المشكلة هي فينا، نحن شعب يطبل ويزمر لحكامه منذ أيام الانتداب، وربما قبل ذلك بكثير، وربما المشكلة هي أننا أغفلنا هذه الحكمة القائلة: «إذا وضعت أحدًا فوق قدره فتوقع منه أن يضعك دون قدرك»، «وتخبزوا بالأفراح» إلى أن يأتي اليوم الَّذي يتوقف فيه الصغار عن الزحف واللحس، عندها يتوقف الكبار عن الهيمنة.

بين الأميرة أولغا العظيمة والملك ديكران العظيم وقادة انقرضوا.

تُعيد الكنيسة الروسية في الحادي عشر من تموز عيد أميرة كييف أولغا، الملقبة بأم روسيا، وهي المرأة الَّتي جعلت من روسيا أمة أرثوذكسية، فبعد وفاة زوجها الأمير الوثني إيغور في العام ٩٥٥ زارت القسطنطينية حيث، أحسن إمبراطور الروم استقبالها، واقتبلت المعمودية هناك على يد البطريرك بوليافكتوس، ثم تنبأت بوفاة ابنها الَّذي رفض توسلاتها لاقتبال الأرثوذكسية، كما تنبأت باهتداء روسيا إلى الأرثوذكسية فكان حفيدها هو الأمير العظيم «فلاديمير» الَّذي اقتبل سر العماد وأمر بعمادَّة الشَّعب الروسي، وجعل الأرثوذكسية دين الدَّولة الروسية الرسمي منذ العام ٩٨٨ ميلادي، وتعدّ الأميرة أولغا والأمير فلاديمير الكبير بالنِّسبة لروسيا الأرثوذكسية تمامًا مثل هيلانة وقسطنطين الكبير بالنِّسبة إلى الروم، ومثل الملك ديكران العظيم بالنِّسبة إلى الأرمن، وكل هؤلاء القادة استطاعوا أن ينقلوا شعوبهم من عصور الظلام إلى النور .

أما ملك الملوك ديكران الثاني الكبير الَّذي حكم من العام ٩٥ إلى العام ٥٥ قبل الميلاد فقد وصلت مِساحة أرمينيا في أيامه إلى ٣٠٠ ألف كلم مربع، وهو مؤسس الإمبراطورية الأرمنيَّة، وفي عهده شهدت بلاده توسعًا جغرافيًّا سريعًا، إذ وصلت حدودها من بحر قزوين إلى البحر المتوسط، أسس مدينة ديكرانا غيرد وأعلنها عاصمة لإمبراطوريته، وازدهرت في أيامه التجارة والصناعة والفنون، وخاصَّة فن النحت والرسم والشعر، في عهده شهدت بلاده ازدهارًا غير مسبوق على جميع الأصعدة وأصبح لها أكبر وأقوى وأعظم جيش في تاريخه، إذ تخطى عديد جيشه المليون، وعند سماع تقدم جيشها كان الخصم يعلن الاستسلام خشية منه، على سبيل المثال فينيقيا الَّتي فتحت له أبوابها وأعلنت استسلامها، لذلك

كرم شعبها الملك ديكران ولم يحرقها .

الملـك ديكـران شـكل رعبًـا بالنِّسـبة إلى رومـا، حيـث شـهدت خسـائر جغرافيـة وعسـكرية كبـيرة في عهـده، ويعـدّ الملـك ديكـران بالنِّسـبة إلى الأرمـن رمـزًا للقـوة والشـهامة، ويمكنني القـول: إن ملـك الملـوك ديكـران وهايـك ناهابيـد همـا مـن الشـخصيات الأرمنيـة النـادرة الَّتي لديهـا هـذه المحبـة العميـاء مـن قبـل الشَّـعب الأرمني، وحتى يومنـا هـذا تقـام لذكراهمـا مسرحيـات وأناشـيد ومقـالات، وتنصـب تماثيـل لهـما، وتمـت طباعـة أوراق نقديـة وطوابـع عليهـا صورهمـا.

بين متر قماش وذقن ببلاش مهنة رابحة.

قد تقوم القيامة على مقالة اليوم ولا تعود تقعد، كيف لا وأنا أنتقد تصرفات بعض رجال الدين من كل الطوائف في لبنان والعالم، خاصَّة أنني قريب من بعضهم وتربطني أواصر صداقة وأخوة مع الأتقياء منهم، وأرفض أن يؤخذ كلامي تعميمًا؛ لأن صلوات بعضهم ترافقني في حياتي وأسفاري، وأنا الَّذي أستجديها منهم طوعًا، لكن بالحقيقة فإن ما هو مؤسف أن أرى بعض رجال الدين يُعبرون عن طوعهم لله بالمظهر من قماش أو لحية دون أن يكون الإيمان هو جوهر الالتزام الديني لخدمة النَّاس والفقراء والمحتاجين، وأن رأسمال التدين عندهم هو مجرد متر قماش وذقن ببلاش، نعم هكذا تحول بعض رجال الدين إلى تجار أديان يكذبون على النَّاس، ويمنحون البركة للمجرمين، ويغطون أعمال سارقي أموال البشر .

يقول ألبرت أينشتاين: «إن الإيمان الأعمى بالسلطة هو العدو الأكبر للحقيقة»، وقد تكون السلطة روحية وزمنية على حد سواء، وهل هذه تسمى عبودية؟ وهل تنتج فقط الخضوع للجبار السماوي، إنما لكهنته أَيضًا؟ لهذا أرى أن لا دول بلا نظام ولا أديان من دون سلطة ومن دون أشخاص يستغلون تلك السلطة في السيطرة على البشر والتحكم في يومياتهم وتقاليدهم وعاداتهم، وبالطبع في تصرفاتهم وجمع الثروات والأموال منهم طوعًا أو كرهًا، وهل تصرفات بعض رجال الدين تهدف إلى إرجاعنا إلى الماضي؟ حيث كان ساحر القبيلة يتمتع بحظوة ورهبة كبيرة بين أفراد القبيلة، ويحصل على أجود المساكن والأطعمة، وذلك من دون أن يضطر إلى بذل أي مجهود أو إجادة أدنى عمل، وإنما كل موهبته قدرته على التخاطب مع الأرواح الخفية الَّتي تجلب الدعم والنصر والرخاء للقبيلة وتنجيها

من الأزمات، فإنْ نجح فإنَّ ذلك هو بفضل الساحر، وإن فشل فما أسهل أن يتم إلقاء اللوم على الحظّ!

نعم هذا هو حالنا مع بعض رجال الدين الَّذين يتمتعون بنفوذ بارز في إدارة حياة النَّاس مقابل حصولهم على أموال طائلة، رغم كون بعضهم فئة ليس لها أي دور إنتاجي في المجتمع وفي إصلاحه، ويكفي أن نتصور ماذا سيحدث للعالم لو استيقظنا يومًا ووجدنا جميع عمال التنظيفات قد اختفوا، بالطبع ستكون هناك أزمة كبيرة، ولكن ترى ماذا سيحدث للعالم لو صحونا غدًا ولم نجد أي رجل دين؟ عمليًّا لا شيء ربما سنجد المزيد من السلام بين البشر، إلى ذلك أختم لأقول: إنه قد يخطئ من يظن أنه يمكن فصل ما يقوم به رجال الدين عن الدين نفسه، فإذا كان رجال الدين أتقياء، كما هو حال العديد ممن أعرفهم، فإن ذلك يجعل المؤمن قريبًا منهم، ثُمَّ من الله، أما إذا كان عكس ذلك، فإنَّنا نجد الفرصة مؤاتية لتمدد الحركات التصحيحية الَّتي يقودها بعض رجال الدين بغية حرف الدين عن غايته وتحقيق المكاسب المادِّيَّة لهم، وأختم مع قول الأب ميشال الحايك: إنه عندما يجتمع الأحبار للانتخاب منهم من يصلي لكي يحل الروح القدس عليهم، ومنهم من يصلي لكي يحل عنهم لكي يسيئوا الاختيار فتمتزج آراؤهم وخِياراتهم بوحول الأرض.

بين الاتكال على الله وتدبير أمور حياتنا.

التدبير الجيد للأمور الحياتية هو واجب على الإنسان الَّذي ميزه الله بالعقل والفكر من غيره من الكائنات البشرية، ولا يوجد تعارض بين مبدأ الاتكال على الله وتدبير الإنسان أموره بنفسه بالشكل الَّذي يراه مناسبًا بما يرضي الخالق، كما أن التخطيط للمستقبل هو أمر واجب على الإنسان في سبيل الوصول إلى الاستمتاع بالنجاح في هذه الحياة، وبحسب الكتاب المقدس (غل٦: ٧) «فَإِنَّ الَّذي يَزْرَعُهُ الإنسان إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيضًا»، ولكن لماذا وصف الله الرّجل الَّذي قام ببناء مخازن جديدة بالغبي؟ وهل علينا أن نترك أمر المستقبل لمشيئة الله؟

يخطئ بعضهم في ظنهم أن بعض نصوص الكتاب المقدس تتعارض مع الاستعداد للمستقبل بالعمل والتدبير الحسن، ويمدح الجميع الإنسان الَّذي يستعد للمستقبل، ويصفونه أنه صاحب رؤية مستقبلية، ويؤيد الكتاب المقدس الاستعداد للمستقبل بعدم إضاعة الفرص في العمل في الوقت المناسب، لئلَّا يأتي وقت لا يستطيع الإنسان العمل فيه، كقوله: «مَنْ يَجْمَعُ فِي الصَّيْفِ فَهُوَ ابْنٌ عَاقِلٌ، وَمَنْ يَنَامُ فِي الْحَصَادِ فَهُوَ ابْنٌ مُخْزٍ» (أم١٠: ٥)؛ ومن لا يستعد في الوقت الحاضر لمستقبله الروحي (في مثل العذارى) قائلًا: «أَمَّا الْجَاهِلاَتُ فَأَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَلَمْ يَأْخُذْنَ مَعَهُنَّ زَيْتًا» (مت٢٥: ٣)، وأكد المثل أيضًا حرمان هؤلاء العذارى الجاهلات من التمتع بالعرس السماوي.

أخيرًا أرى أنَّه إذا كان العيب ليس في العمل للمستقبل، فهو في هدف ونوعية العمل. أما من لديه المقدرة أن يتعب في العمل والتدبير الحسن والتخطيط لأمور حسنة فهو إن لم يفعل ذلك يحسب له ذلك خطية، كقول الكتاب: «فَمَنْ يَعْرِفُ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنًا وَلاَ يَعْمَلُ، فَذلِكَ خَطِيَّةٌ لَهُ» (يع٤: ١٧). وإذا كان بعضهم يدعون أن قول الرب بعدم الاهتمام بالغد قول يتعارض مع العمل للمستقبل: «فَلاَ تهتموا للغد، لأَنَّ الغد يهتم بِمَا لِنَفْسِهِ يَكْفِي اليوم شره» (مت٦: ٣٤)؛ وإذا كان التخطيط للمستقبل أمرًا نافعًا لأمور هذه الحياة الفانية، أليس من الأولى التخطيط للحياة الأبديَّة؟

بين إرضاء النَّاس وإرضاء الذات رحلة عذاب.

تعلمت منذ الصغر أن إرضاء النَّاس غاية لا تدرك، وأن إرضاء الذات يعلو ولا يعلى عليه، وعليه أنصحك صديقي القارئ، أن لا تنتظر تقييم أعمالك وتقديرك من أحد أو حتى انتظار الليكات كما هو حاصل الآن من جنون يضرب البشر على صفحات التواصل الاجتماعي، فإذا فعلت ذلك إما أن تفشل أو تعيش بقلق إلى أن يعطيك النَّاس تقديرًا، ومع الوقت يصبح عندك هوسٌ في إرضاء النَّاس لا إرضاء الذات، وإرضاء النَّاس غاية لا تدرك كما نعلم، وفي هذا السياق يقول الأديب نجيب محفوظ: «أحيانًا يكون أقوى إنجازاتك في الحياة هو أنك ما زلت في قواك العقلية، وما زلت تتعامل بأخلاق مع أنك محاط بكمية لا تحصى من الحمقى».

المشكلة الَّتي نقع فيها غالبًا هي أننا نبني شخصياتنا رغبة وإرضاء للنَّاس، حيث نخلق صورة ذهنية واسعة ومؤثرة عن تأثير ذلك لنا، النَّاس تتسابق لإرضاء الآخرين بغية تعزيز النَّفس وتلميعها دون إرضاء الذات الداخلية، والَّتي لا تمثل حقيقتها النَّفس الخارجية المشبعة بالرغبات المؤقتة، ويمر علينا أوقات نشكك في تصرفاتنا ونعيش في جلد الذات، وتحميل أنفسنا فوق طاقتها، ثم نكتشف مع الأيَّام أن المشكلة بعيدة من تصرفاتنا، وإنها كامنة في نظرتنا إلى ذاتنا وتصديق الصورة المرسومة من الآخر، وانشغالنا بتلميع هذه الصورة وإرضاء النَّاس، علمًا أن ذلك غاية لا تدرك.

كلنا بدأنا غرباء وسنظل غرباء، ورحلة البحث عن الذات طويلة، ويجب ألّا نهدر الوقت في أعمال نندم عليها مستقبلًا؛ لأن إرضاء النَّاس يستلزم التضحية في رغباتنا، وإرضاء الذات يستلزم التخلي عن الآخرين، وفي الأخير فإن إرضاء الرب يعلو ولا يُعلى عليه، وإرضاء الذات ثقة وتميز عن الآخرين.

بين الحب والغرور والكبرياء والبدائل المستحيلة.

هل من مكان للبدائل في قانون الحب والكبرياء؟ يبدو وحسب رأيي أن الإجابة عن هذا السؤال صعبة، فعند التقاء الحب والكبرياء يموت الشعور؛ لأن الحب والكبرياء هما مثل الماء والنار لا يجتمعان وإذا اجتمعا فإن أحدهما سيقتل الآخر. ومن وجهة نظري أَيضًا فإن الحب الحقيقي لا يسمح للكبرياء أن ينال منه، فلا حب في وجود الكبرياء، وهذا دليل أنه حين يكون الحب قائمًا على المصلحة يكون الكبرياء بمنزلة المخرج لأحدهم للخروج من الحب الَّذي يعيشه الطرف الآخر وحده.

وبين الغرور والكبرياء تنتهي معظم الحكايات عادة، ويقع الحب قتيلًا بين امرأة عنيدة ورجلٍ ذي كبرياء، وفيما هما يراقب الواحد منهما الآخر من بعيد، ويعرف كل منهما أهميته عند الآخر، لكنهما يستمران في المكابرة وتنتهي الحكاية، فيما الأفضل وقف العناد والعودة، وبلا the end. نعم، الحب مثل الحياة تمامًا له أربعة فصول: الشعور والاعتراف والشوق والبقاء، وفيما أجملها هو الشعور؛ فإن اللذة هي في الاعتراف والصعوبة في تحمل الشوق والصدق في البقاء، ويبقى الاهتمام ثم الاهتمام هو الداعم للحب، بل أهم من الحب نفسه.

بين الحب والغرور والكبرياء والبدائل المستحيلة

وهكذا أجد أن الحب هو الحرب الوحيدة الَّتي إما أن يكسب فيها الطرفان وإما أن يهزما فيها، كما أجد أَيضًا أن الإنسان هو من يصنع الغرور في بعض البشر؛ لأنه يعطيهم حجمًا أكبر من حجمهم الطبيعيّ، وليعذرني بعض أصحابي VIP واعتراضي على حركاتهم الصبيانية واستغرابي لاتخاذهم الغرور والكبرياء طريقًا في الحياة، ألا يدرون أن أمهاتهم ولدتهم عراة في ذات يوم بائس منحوس. ما أجمل التواضع من دون ضعف! وما أجمل القوة من دون غرور! وليعذرني الجميع ويتواضعوا.

بين الجهلاء والحكماء وكتاب مرداد.

«الحظّ هو لعبة الحكماء، أما الجهلاء فهم ألعوبة الحظّ»؛ هذا ما كتبه الأديب ميخائيل نعيمة، صاحب المؤلفات العديدة من «مذكرات الأرقش» إِلى «الغربال» إِلى سيرته الذاتية المعنونة «سبعون»، والمنشورة في ثلاثة أجزاء، تلاها سيرة جبران خليل جبران باللغتين العربية والإنكليزية وقد ترجمت بعض مؤلفاته إِلى ثلاثين لغة، وصولًا إِلى كتاب «مرداد « الَّذي نُشر لأول مرة في لبنان عام ١٩٤٨ باللغة الإنجليزية، وترجم لاحقًا إِلى العربية.

في كتاب مرداد نقرأ أجمل ما كتب ميخائيل نعيمة: «الزمان لا يأتي ولا يروح، فهو ليس هنا ولا هناك، الغد لا يشرق على العائشين في الأمس، والأمس ميت للذين يرقبون مجيء الغد»؛ ثم يضيف: «إن لم تجدوا السبيل إِلى قلوب النَّاس، تعذر عليكم الوصول إِلى قلب الله. وأنتم ما لم تبلغوا قلب الله فأي جدوى لكم من حياتكم؟ «لا بخورًا يريدكم الله أن تحرقوه أمامه بل يريدكم أن تحرقوا غضبكم وكبرياءكم وقساوة قلوبكم كي تكونوا أحرارا وقاديرين على كل شيء .»

يضيف نعيمة: «من كوة الندم لهوة العدم، هنالك الضوضاء، ها هنا السكوت إن شئت مت لتحيا أو عش لكي تموت؛ «»إنَّ حسنة تعلن ذاتها لأسوأ من سيئة صامتة»؛ «لا تطالبوا العالم بما لا تطالبون به أنفسكم»؛ «الحب لا يعري، والنور لا يعار؛ أحبب ترَ ما لا يرى؛ أنر وسر أنّى تشاء؛ أين المسير يوم الزحير، يوم ما للأرض أنباض ولا للسماء أنفاس»؛ أين نحن يا شعب لبنان من كتابات العظماء في زمن الشح الأخلاقيّ، الفكري والعاطفيّ والماديّ؟

بين أشجار الكرفس وتنكر العالم لزراعتها.

اسمها شجرة البزروميا أو كوناكاربس، وهي الشجرة الَّتي تنكر لها الجميع وجمعوا فيها من العيوب ما جمعه مالك في الخمر؟ أعطت الكثير، ولاقت من الذم الكثير، مع عطائها من دون أن تطلب شَيْئًا، فأشجار البزروميا توصف بأنها كريمة على بيوتها، بخيلة على البيئة، واسعة الانتشار رغم أضرارها، وقد غزت عددًا من المناطق الزِّراعيَّة في الآونة الأخيرة، ولها أضرار بيئية، فضلًا عن تدميرها البنية التحتية وتسببها في إتلاف أساسات الأبنية والأماكن المحيطة بها، كما أن لها تأثيرًا كبيرًا في شبكات المياه والصرف الصحيّ والمنازل، وكذلك استهلاكها الماء بكثرة، كما أن أضرارها صِحِّيَّة على الإنسان لتسببها بحساسية في الجلد، ولالتصاق الأتربة وأنواع من البكتيريا الضارة في أوراقها .

إن شجرة البزروميا مستديمة الخضرة، ويتراوح ارتفاعها بين ٣ – ٥ أمتار، ذات معدل نمو سريع جدًّا، تتحمل العوامل البيئية القاسية، حيث ارتفاع درجة الحرارة، كما تتحمل الجفاف والرياح والملوحة، لكنّ المزارعين قلقون من تطفل هذه الأشجار على مزارعهم، ولا بد من بحث أسباب انتشارها على مِساحات شاسعة في الأودية، وما يذكره بعضهم من أضرار كبيرة على البيئة تتمثل في استنزاف المياه الجوفية مع ما تسببه من أمراض صدرية للإنسان كالربو والحساسية.

وما يهمنا من الموضوع هو تفادي وجودها في المناطق الزِّراعيَّة؛ لأنها تؤذي الزراعات المفيدة، ولها أضرار جسيمة ما جعلها تصنف من ضمن الأشجار غير المرغوب فيها، خاصَّة فى المِساحات المروية، فهي تتشعب بشكل عشوائي وتمتد جذورها في الأرض إلى عمق يصل إلى أكثر من ١٠ أمتار، وخطورتها في أنها تبقى حية لأوقات طويلة من السنين، ويمكن أن تنبت في أي وقت وفي أي فصل من فصول السنة، لذا يجب أن يجتهد الجميع وتتضافر الجهود من الجهات ذات العَلاقة المعنية للتخلص منها وبشكل سريع؛ لأن كثيرًا منها قد تكاثر وتشعّب بشكل كبير.

بين إفلاس صغار المزارعين وتحكم الشركات الكبرى في الاقتصاد العالميّ.

ماذا ينتظر صغار المزارعين اللُّبنانيّين؟ لكل المهتمين وأصحاب الشأن دعوني أخبركم قليلًا عن صغار المزارعين الأميركيين المنتقلين إلى رحمة الله بسبب جشع الشركات الكبرى. فمن الحقل إلى السوبر ماركت تتمتع كبرى الشركات الأميركية بقدر هائل من التسلط على حياة أكثر من ٣١٣ مليون مواطن أميركي، وتتركز مهمة إطعامهم جميعًا في أيدي العشرات فقط من الشركات العاملة على تعظيم ثروتها، لذلك ينتهي الأمر بالشَّعب الأمريكي إلى تناول الأطعمة غير الصِحِّيَّة المعالجة بالموادّ الكيميائية ودفع ثمنها مليارات الدولارات شهريًّا، ولسوء الحظّ يبدو أن الأميركيين راضون تمامًا عن الوضع الراهن، وسوف يكونون أكثر مرضًا وبدانة، وأقل صِحَّة، عامًا بعد عام، وتصبح شركات الأغذية الكبرى أكثر قوة وبطشًا.

تمتلك أربع شركات أميركية ما يفوق نسبته ٥ , ٨٣٪ من سوق لحوم البقر، أضف إليها ٦٦٪ من سوق لحوم الخنازير، وعلى ٥ , ٥٨٪ من سوق لحوم الدجاج، أما قطاع الحبوب فإن أربع شركات فقط تسيطر على ٥٠٪ من سوق الولايات المتحدة و ٤٣٪ من سوق الحبوب في جميع أنحاء العالم، وحدها شركة مونسانتو تمتلك السيطرة على أكثر من ٨٥٪ من مِساحة زراعة الذرة في الولايات المتحدة و ٩١٪ من مِساحة زراعة فول الصّويا، وهكذا حين يتركز الكثير من القوة في أيدي العدد القليل من الأيدي فإن الأخطار الَّتي تصاحبها تكون هائلة، وقد تم القضاء على صغار المزارعين في جميع أنحاء أمريكا، وأُجبروا على التخلي عن الأعمال التجارية بسبب الممارسات التجارية المفترسة الَّتي تقوم بها هذه الشركات الكبرى.

في العشرين عامًا الماضية استحوذت

Whole Foods Market Wellspring، خبز الحياة والسيرك

Food for Thought، و Fresh Fields، و Wild Oats Markets، على كامل السوق الأميركي تقريبًا، واليوم تهيمن على السوق، وليس لديها منافس وطني، وقد زاد إجمالي مبيعاتها خلال ٥ سنوات لتصل إلى ١١,٧ مليار دولار، وتضاعف صافي أرباحها إلى ٤٦٥,٦ مليون دولار. وعندما ننظر إلى كبار موزعي الموادّ الغذائية نجد أن حِصَّة شبكة وول مارت دولار واحدٌ من كل ثلاثة دولارات تصرف على الموادّ الغذائية في الولايات المتحدة، ومن الواضح أن ذلك يمنحها قدرًا هائلًا من القوة، في قطاع التموين تستحوذ أكبر عشر شركات للوجبات السريعة على ٤٧٪ من إجمالي المبيعات، وبالنظر إلى قصة حب الأمريكيين للوجبات السريعة لا يبدو أن هذه المحلات في خطر.

بين السَّفير الآدميّ والقيم والمبادىء والإنسانيّة.

خلال تجوالي وترحالي في العالم قابلت العديد من سفراء لبنان، ومنهم من كان وطنيًّا فوق العادة، ومنهم من كان غير مبالٍ، ومنهم الآدميّ، وهذا موضوع بحثنا اليوم من أمثال السفراء: أنطوان شديد وجان معكرون وشوقي بو نصار والبير سماحة وبلال قبلان وإلياس لبّس وصولًا إلى السفراء: مصطفى أديب وفؤاد دندن ويوسف صدقة وفادي زيادة وفوزي كبارة وجورج أبو زيد وفاسكان كالفاكيان وميلاد نمور وسامي نمير وربيع نرش وعلي حبحاب وزياد عطاالله وقبلان فرنجية وكلود حجل وإلين يونس ومايا داغر وميرا ضاهر، واللائحة تطول ممن التقيت بهم شخصيًّا، وما أعجبني في هؤلاء الدبلوماسيين اعتزازهم بلبنان، وقدرتهم الصلبة على الصمود أمام هذا الطوفان من الكراهية والأحقاد الَّذي يلفّ لبنان، كما صرت أملك قناعة تامة وأكيدة أن الصعوبات والمصائب الَّتي مرّ بها كل واحد منهم في حياته المهنية أدَّتت دورًا كبيرًا في تجديد مشاعر الرحمة في قلبه، وجعلته يتفهم الضَّعف البشري بشكل أعمَق وأصدَق .

منذ القدم وسكان هذه المعمورة يتفقون على أن الإنسان لا يُولَد مرة واحدة، بل عدة ولادات؛ فالولادة الأُولى هي خروجه مِن رَحِم أمه، والثانية هي خروجه من السّذاجة والسّطحيّة، والثالثة هي خروجه مِن المعتقدات والعادات الَّتي تكبل عقله وإنسانيته، والرابعة هي خروجه مِن الأوهام والأهواء إلى حياة نقية؛ فالمصائب والصعوبات تحطم كبرياء الإنسان بطريقة مُرعِبة ليدرك بعدها معنى أن يخطئ أو أن يستسلم، حيث إنه يُدرك نعمة التقدير في لحظات الفقدان، ويتعلم الشفقة والغُفران في لحظات الرَّفض، ويستَشعِر عظمة الله عادة في لحظات الضياع.

القيم والمبادىء لا تتجزأ، ولا تحضر وتغيب غب الطلب ولا حالة وسطية، إمّا أن يكون الإنسان آدميًّا أو فاقدًا لإنسانيته. وهنا تستحضرني كتابات الروائي والناقد الاجتماعي البريطاني إريك بلير المولود في الهند والمعروف باسم مستعار هو جورج أورويل، والَّذي يتميز بمعارضته للشمولية حين قال: «لم يكن البقاء على قيد الحياة هدفًا للمرء بل البقاء إنسانًا، وقد كنت عاجزًا عن فهم قصده، في يوم من الأيَّام، كنت أفكر مليًّا كيف يمكن للآدمي أن يحتفظ بإنسانيته إن لم يكن على قيد الحياة، أما اليوم وبعد كل ما حل بنا من مصائب على أيدي أوادم السياسة والمال في لبنان وما تلاها في الانتخابات النيابية الأخيرة من خلاف حاد في السياسة بين الأفرقاء، قابلها تحالف في الأصوات ومن سرقة في وضح النهار لحقوق المودعين وأموالهم وجنى عمرهم من قبل أصحاب المصارف، جعلني أفهم كيف يمكن أن يكون الإنسان آدميًّا يعيش على قيد الحياة، ويكون فاقدًا لإنسانيته في ذات الوقت.

بين نشر الثقافة والتأسيس للمعرفة
وعذابات شعب لا يموت، خطوات.

أصبحت المعرفة في لبنان هذه الأيَّام تقدم على شكل وجبات سريعة يتهافت عليها اللُّبنانيّون، وصارت المفاهيم الفكرية والثقافية تقدم بشروحات مجتزأة غير دقيقة هدفها نشر ثقافة غريبة لا تؤسس لبناء مواطن مثقف، ولست أتحدث عن مواطن يحمل شهادات، ويقال عنه: متعلم. وقد يكون نشر الثقافة أَولى من محاولة الوصول إلى المعرفة مباشرة؛ فالثقافة هي خطوة للمعرفة، وبعد حَيْرتي لما حل بنا وأخذ المشورة من أساتذتي علمت أن ما يحدث في هذه الأيَّام من انهيار أخلاقي بالتزامن مع الانهيار المالي والاقتصادي هو بسبب هجرة العديد من النخب الثقافية والعلمية من أهل العلم والاختصاص بعد إقصائهم عن تولي زِمام الأمور وإدارة البلاد والعباد في جمهورية الموز اللُّبنانيّة.

ولعل مِن أقسى صور عذاب اللُّبنانيّين هذه الأيَّام أَيضًا تَكرار المَشهد المقرف يوميًّا مع الوجوه التلفزيونية نفسها، والأخبار والمطالب والأوجاع نفسها، والمسلسلات المدبلجة نفسها، والَّتي لا تشبه ثقافة المجتمع اللُّبنانيّ، كذلك مضمون التصريحات السِّياسيّة نفسه عن وعود وعن أشياء تافهة عديمة القيمة، وفيما المتحدثون مُقتنعون أن حقوق طائفتهم ينبغي أن تكون هكذا، أقول لهم: من جهتي مبارك عليكم الكراسي والطائفة والدين، فالمواطن بات لا يستطيع تحمل هذا، ولا التأقلم مع ذلك، هذا هو الجحيم بحد ذاته.

وإذ صرنا نردد مع الإمام علي بن أبي طالب: «مغبون من تساوى يوماه»، فالسؤال هو: أي نوعٍ مِن الحياة هذا عندما يصل المواطن اللُّبنانيّ ليتعجب مِن عَدم قُدرته على التمييز بين يوم أمس ويوم غَد؟ نعم هذا واقع أصبح يعيشه الشَّعب في «قطاع لبنان»، يا لَلأَسَف الشديد! على غرار ما يعيشه الشَّعب في قطاع

بين نشر الثقافة والتأسيس للمعرفة
وعذابات شعب لا يموت، خطوات.

غـزة، وهـل مسـتقبلنا بـات ضاحيـة فقـيرة في الشـمال؟ لـذا فالمطلـوب مـن المواطـن اللُّبنـانيّ اليـوم أن يجـد نفسـه، وأن يبحـث عـن الله في حياتـه، وعـن قـدرة التحمـل لديـه، وإذا كان زج اللُّبنانيّـين في أوضـاع معيشـية صعبـة ونمـط معيشـة لا ينتمـي إليـه هـذا الشَّـعب بعـد أن تـم تجريـده مـن كل شيء وتحويلـه إِلى رقـم، لكنـه في القريـب سـوف يشـعر أنـه عـاد يسـتعيد أبسـط الأشـياء الَّتـي كان يملكهـا، وأن الأقـدار عـادت لتبتسـم لـه وعـادت الحيـاة في خلايـاه، وعندهـا سـوف يكتشـف ويعـي معنـى أن الله معـه، وهـو موجـود في حياتـه، وبالمناسـبة فـإن تفـاؤلي الدائـم لم يكـن يومًـا تفـاؤلًا دونكيشـوتيًّا، بـل كان نتيجـة الاتـكال عـلى الله وعليـه فقـط.

بين حب بلا ارتباط، وحب روحي، وفهم الحياة.

كل شيء في الحياة ينمو كما تنمو الأجسام، ومعها تنمو أَيضًا المعاني والقيم والعَلاقات والحب، فجسم الإنسان لا ينمو وحيدًا، ولعل أرقى درجات الحب هو الَّذي لا يؤدي إِلى الارتباط، فلا المرأة تقيده ولا الرّجل يقيدها، وهكذا يتحابّان سواء أكانا معًا أم بعيدين، وهنا نفهم عمق كلمات تشيخوف عندما قال: «لست أمام عيني ولكنك كل ما أرى»؛ فالقيود الَّتي ترافق أي ارتباط بنظر هؤلاء هي مقبرة الحب. الحب موجود لكن المسألة حسب سلم القيم والأولويَّات عند كل شخص، هناك من تكون قيمة الحرية أعلى لديه، لهذا يرى الحب أرقى بعدم تقييده، وهناك من تكون المسؤوليَّة قيمة غالية لديه، لهذا يرى أن القيد هو تعبيرٌ أصيلٌ عن الحب.

يقول جبران خليل جبران: «مرة كل مئة سنة يلتقي يسوع الناصري بيسوع النَّصارى في حديقة بين جبال لبنان فيتحادثان طويلًا، وفي كل مرة ينصرف يسوع الناصري، وهو يقول ليسوع النَّصارى: يا صاحبي إننا لن نتفق أبدًا»، وفي الجهة المقابلة من سهل البقاع يعير انتباهه صوت امرأة تنده رجلًا قائلة: «أحن إليك ثم أتذكر أنك ظلمتني فأصمت»، وهل يعني ذلك أن الحبيبين تظالما من شدة الحب والتعلق، لكن الحياة يجب أن تستمر، والأولاد هم ثمرة الحب الَّذي يؤمن ديمومة البشرية، وهكذا نجد أن الحبيب إذا وصل إِلى مرحلة صار فيها يعرف كل شيء، لكنه يظهر لشريكه أنه غبي ولا يفهم شَيْئًا، فهو حتمًا فهم الحياة بطريقة صحيحة، ونجح في التغاضي لاستمرار العَلاقة .

وأخيرًا أرى أن أقوى العَلاقات هي الَّتي يكون فيها بينك وبين الشخص الآخر ارتباط روحي عميق، بمعنى أنك عندما تكون مع الشخص تصبح أكثر

بين حب بلا ارتباط، وحب روحي، وفهم الحياة.

حقيقيـة وأكثـر عفويـة مـن دون خـوف مـن الأحـكام، وكأنـك مـع نفسـك، فتشـعر بشـعور عميـق بالراحـة والتوافـق والحـب والقـرب، فالعَلاقـات الروحيـة هـي مـن الأمـور الَّتـي تجعلنـا نتشـافى، ونصبـح نسـخة أفضـل مـن أنفسـنا.

بين نعمة السكوت ونهضة الشعوب، إياكم المعلم.

لا خير في السكوت، كما أنه لا خير في الكلام إلا إذا قُرنت الأقوال بالأفعال فهناك من لا يليق به الكلام والحوار والنقاش؛ وهناك من لا يليق به السكوت لحظة واحدة، وقد يكون السكوت أحيانًا على شكل إجابات صامتة، وهو نعمة من دون شك لها معانٍ كبيرة، ونسأل الله أن يحفظ لنا هذه النعمة من الزوال، فكم من أشخاص ظننت أن صمتهم غباوة. وعندما تكلموا اكتشفت العكس تمامًا.

وإذا كنا نعيش في لبنان واقعًا مؤلمًا بكل تفاصليه فلا داعي للمزايدة والكذب على النَّاس، وقد كنا نأمل خيرًا من حكومات لبنان منذ انتهاء الحرب اللُّبنانيّة في العام ١٩٩٠ حتى اليوم، ولكن يا لَلأَسَف! ما جرى ويجري أمام أعيننا منذ بداية حياتنا حتى اليوم، وما رافقها من ظلم وقهر واستبداد بحقوق النَّاس ما أوصلنا إلى حالة معيشية مزرية لا تقبلها العقول ولا ترتضيها الضمائر، وهكذا نجد أنه ليس هناك أجمل من نعمة الصَّمت عندما يكثر الضجيج؛ لأن من يهدم لا يمكنه أن يبني، وفي هذه الحالة ليس هناك أجمل من نعمة الهدوء عندما يتوحش البشر، ويأكل الفاجر حقوق النَّاس، على عينك يا دولة.

وفي مثال لنهضة الشعوب وتطورها عسى أن يتعظ به وزراء التربية في لبنان لإنصاف الهيئات التعليمية في المدرسة الرسمية والخاصَّة، وخاصَّة أساتذة الجامعة اللُّبنانيّة، يقول مؤسس سنغافورة لي كوان: «أنا لم أقم بمعجزة، أنا قمت بواجبي فقط نحو وطني، فخصصت موارد الدَّولة للتعليم، وغيرت مكانة المعلمين من طبقة بائسة إلى راقية في سنغافورة؛ فالمعلم هو من صنع المعجزة، هو من أنتج جيلًا يحب العلم والأخلاق بعد أن كنَّا شعبًا يشتم بعضه في الشوارع».

بين ملكوت السموات والاتكال على الله.

ملكوت السموات يشبه حبة خردل أخذها إنسان وزرعها في الحقل ومتى نمت فهي أصغر البقول تصير شجرة، كما يشبه خميرة أخذتها امرأة وخبأتها في ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر الجميع، هكذا كَلم يسوع الجموع بأمثال ومن دون مثل لم يكن يكلمهم، كما يشبه كنزًا مخفى في حقل وجده إنسان فأخفاه ومن فرحه مضى وباع كل ما كان له واشترى ذلك الحقل، هو يشبه إنسانًا تاجرًا يطلب لآلئ حسنة فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن مضى وباع كل ما كان له واشتراها، كما يشبه شبكة مطروحة في البحر وجامعة من كل نوع فلما امتلأت أصعدوها على الشاطئ وجلسوا وجمعوا السمك الجيد إِلى أوعية، وأما الرديء فطرحوه خارجًا. متى١٣ (٤٤-٥٢).

هكذا يكون في انقضاء العالم يخرج الملائكة ويفرزون الأشرار من بين الأبرار ويطرحونهم في أتون النار؛ هناك يكون البكاء وصرير الأسنان، قال لهم يسوع: «أفهمتم هذا كله». فقالوا نعم يا سيد، فقال لهم: «من أجل ذلك كل كاتب متعلم في ملكوت السَّماوات يشبه رجلًا، رب بيت يخرج من كنزه كل جديد وعتيق».

الاتكال على الله هو حاجة وضرورة للصمود والتثبت بالأرض لحين خلاصنا، آن لنا أن نعلم أن الله الَّذي أخرج يونان من بطن الحوت سليمًا معافى لن يعجز أن يبعد عنا أحزاننا ويخلصنا من المصائب الَّتي نحن فيها، لنكن على يقين أن الله محب، وسوف نرى عجائبه في محبته ورحمته لنا. «أصرح لهم أني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا فاعلي الإثم». ربما هذه الكلمات سوف تكون آخر كلام يسمعه حكام لبنان بصوت من السماء.

بين السكوت من الملل والسكوت من الألم
ارفعوا أصواتكم في وجوههم.

ليس من يكتب بحبر القلم مثل الَّذي يكتب بدم القلب، وليس السكوت الَّذي يحدثه الملل مثل السكوت الَّذي يوجده الألم، كثر هم أصدقائي الَّذين سكتوا لأن آذان حكامنا قد انصرفت عن همس الضَّعفاء وأنينهم، ومن الحكمة أن يسكت الضعيف عندما تتكلم القوى المتحكمة في السلطة وفي رقاب النَّاس وأرزاقهم، تلك القوى الَّتي تتلاعب بالنقد الوطني أمام جنون الدولار وإفقار النَّاس وسرقة ودائعهم.

يقول أينشتاين: «العالم مكان خطرٌ جِدًّا للعيش، ليس لكثرة الأشرار فيه، بل لصمت الأخيار عما يفعله الأشرار». نحن الآن في زمن الرويبضة، كما جاء في تعريفه في بعض الأحاديث، حيث يتكلم الرّجل التافه في الأمور العامة وأمور الجماعة والعامة مع عدم قُدرته على ذلك لفساده، وفي زمن الرويبضة يتم تأمين الخائن وتخوين الأمين وتصديق الكاذب وتكذيب الصادق، وحيث نرى الأمور الَّتي كانت تشغل أفكارنا وميولنا وعواطفنا قد انزوت في الظل والمسائل الَّتي كانت تتلاعب بآرائنا ومبادئنا قد توارت من الإهمال، والأحلام الجميلة الَّتي كانت تتمايل على مسارح وجداننا قد تبددت كالضباب .

قد يكون السكوت علامة من علامات الضجر أو الخيبة أو الملل، المهم أنه ليس من علامات الرضا بالتأكيد، وأجزم بذلك رغم الكم الهائل من التعب والملل والضجر الَّذي يعيشه شعب لبنان، والَّذي لا يوصف في مقابل كمية كبيرة من النكد واللَّامبالاة من سلطة فاجرة، لكن هل هذا هو اكتئاب أم ضياع أم ماذا، تحديدًا؟ شعب لبنان صار خائفًا من الرتابة والملل، وخائفًا من أن يخنقه

بين السكوت من الملل والسكوت من الألم
ارفعوا أصواتكم في وجوههم.

السكوت، وخائفًا من أن يزداد الملل من كثرة الكلام، وأن يصل إلى وقت يصبح فيه عاجزًا عن الاستمرار في الصمود والقبول بالأمر الواقع، لست أعلم إلى متى سيبقى هذا الشَّعب صامتًا؟ وهل هذا السكوت هو من علامات فقدان الأمل؟

بين المماطلة والفقر والتَّجرِبة اللُّبنانيّة.

المماطلة هي سلوك بشري شائع، وفي اللغة اللُّبنانيّة غالبًا ما يتم الخلط بينها وبين الكسل، حيث اعتاد اللُّبنانيّون على مثال حكامهم استخدام مصطلحات مثل «تأجيل» و«تأخير»، «وانتظار حتى وقت لاحق»، والسؤال برسم كل قارئ؟ هل شعرت يومًا بأنك تفعل كل شيء حتى لا تلقي بنفسك في مهمة مؤلمة تؤديها؟ وقد تكون من أوجه المماطلة الميل إلى تأجيل ما يمكن فعله الآن والانتظار حتى الغد، وينطبق هذا على المهام الأساسية في الحياة اليومية والمواعيد الَّتي يتعين القيام بها، وفي كثير من الأحيان يتم استبدال الأنشطة أو الإجراءات بمهام غير ملحة.

وبين ما التزمت به الحكومات اللُّبنانيّة في بياناتها الوزارية على مدى ثلاثين عامًا، وبين ما نفذته تبقى معاناة الشَّعب اللُّبنانيّ قائمة، وتبقى دموع الأمهات عند وداع أبنائهن المهاجرين من بلاد الأرز وصمة عار على جبين كل أصحاب الحل والربط في لبنان، وكلنا يعلم أنهم بصعوبة يمونون على ربط ربطة عنقهم، وبعضهم يستعين بسائقه لفعل ذلك. وإذا كان أركان الفقر الَّذي نعيشه أو مطلوب منَّا أن نعتاد على عيشه هم خمسة، فإن المماطلة أساس لهذه الأركان الَّتي تكتمل بالكسل، النوم، التَّراخي والخوف.

وإذا كان شعب لبنان لا ينام ولا يتكاسل ولا يماطل ولا يخاف، ورغم ذلك صار حاله أفقر من النملة، ربما هذا سببه فقدان الرؤية لوطن نستحقه وفشل كبير لحكامنا في فهم المتغيرات الإقليميَّة والدَّوليَّة وضرورة السير مع رياح التغيير وليس ضدها، وفي أمثلة من التاريخ فإن سنغافورة الَّتي كانت أفقر من مدينة بيروت في الستينيات فإن صادراتها اليوم أكثر من روسيا، كندا والهند ونحن نتخبط في طلب إجازات التصدير والتسكع على أبواب الوزارات يومًا

بطولـه لتقديـم الطلـب وأيامًـا للحصـول عليـه، ويحدثونـك عـن إنجـازات وهميـة بعـد أن قامـوا بهـدر ١٧ مليـار دولار، وهـذا المبلـغ كافٍ بنظـر الاقتصاديـين لبنـاء دولـة مـن أساسـها، ولا تنسـوا أن تماطلـوا.

بين كراهية الأبناء للأهل وقصة نبيلة.

أسئلة كثيرة تراود عقل نبيلة وتفكيرها، منها: هل أهلي هم أعدائي في الخفاء أم أنا مخطئة؟ وفي لحظة اعتقادها أن أهلها هم أول أعدائها، صرخت تقول: «اللَّهم اكفني شر أهلي، أما أعدائي فأنا كفيلة بهم»، تضيف: أهلي أصبحوا أعدائي؛ ومشكلتي أن أقرب النَّاس صاروا غرباء عني، فمنذ صغري وأنا أقاسي الألم والكره، ولطالما حاولوا إقصائي عن العائلة بشتى الطرق، لسنوات طويلة عشت مع عمِّي في الولايات المتحدة الأميركية، فكان لي أبًا وصديقًا. وابتعادي من أهلي جعلني فتاة عنيدة الطبع، متمردة على الأهل، حتى صرت أكرههم وأحقد عليهم، وصرت أعتقد أن ما أفعله هو الصواب، وضقت ذرعًا من كثرة تدخلهم في كل تفاصيل حياتي، وغالبًا ما كنت أقابلهم بوقاحة وربما بفجور، وأوجِّه لوالدي كلامًا قاسيًا وجارحًا، خارجًا من قلب أسود حاقد، لكن ما هو أكثر غرابة أن أخواتي شرعوا يبادلونني الحسد والغيرة أَيضًا.

تتابع نبيلة: «أنا فتاة طموح، أريد أن أهتمّ بمستقبلي، ولكن مُشكلتي مع أهلي: أمي وأبي هي قديمة، فمنذ طفولتي لا يزال الكلامُ الجارِحُ والإهانة وسيلةً لتأديبي، مع مراقبتي لمُجتمعي، وملاحظتي اهتمام الأهل وعنايتهم باحتضان أولادهم، وأنا إنسانة أحتاج إِلى الشعور والإحساس بأنني فتاة مَحبوبة عندهم، أهلي لا يعرفون حتى مجاملتي، والآن أنا كبرت، وبكل صراحة صرت أخجل من تصرفاتي معهم، نفسيتي تَغيَّرت، وهذا يُحزنني، كنتُ فتاة حسَّاسة عطوفًا، لكن الآن أحس أن في داخلي ابنة شريرة، تكْره أمها وأباها كرهًا شديدًا، لساني دائمًا لا يرحمهما؛ لأنَّهما كانا ولا يزالان هكذا معي، لست متأكدة من مشكلتي معهما، حيث إن كل فرد منهما يرى نفسه الأحسن، أستغرب كيف صرت غير مهذبة

بالإجابة عن كلامهم لي؟ لكن والله هذه لست أنا، وخوفي كبير من عقاب السماء عن كل شيء، ليتهما يقدمان لي فرصة لأتقرّب منهما، أنا أعرف السبب: إن أمي وأبي يكره الواحد منهما الآخر، وهذا انعكس علينا، لكن هذا الوَضْع لا أستطيع أن أتحمّله، أنا صِرت إنسانةً عصبيةً لا تقوى على تحمل أي شيء. (انتهت قصة نبيلة)

وتعد كراهية الأبناء لأهلهم من الأزمات النَّفسيَّة الخانقة والمزمنة الَّتي تؤثر بشكل واضح في السلوك والشخصيَّة، وإن كان كره الأبناء للأمّ والأب بحد ذاته ليس اضطرابًا نفسيًّا أو مرضًا، إلَّا أنه قد يتسبب بالعديد من المشاكل والاضطرابات النَّفسيَّة، ويعتقد علماء النَّفس أن انكسار الرابط العاطفيّ بين الأم والأب وأولادهما يشكّل ضغطًا كبيرًا على الأبناء والأهل معًا، وقد يقود إلى القلق والاكتئاب عند الأولاد، وإلى تأثيرات سلبية كثيرة على العَلاقات الأسريّة في المستقبل، بالإضافة إلى الأسباب الشائعة من القسوة والظلم وسوء المعاملة، كما يُرجع علماء النَّفس كره الأبناء للأهل إلى تضخيم الأخطاء الَّتي قد يرتكبها الأهل في تربية أبنائهم أو في حياتهم الخاصَّة، والنَّظر إليها بمنظار مختلف يجعلها أكثر تأثيرًا في حياة الأولاد.

بين الرقاد والموت والحياة الأبديَّة.

الرقاد هو النوم لمدَّة زمنية حتى المجيء الثاني للمسيح، وتبعًا لذلك ليس هناك من موت في المسيحية، بل رقاد وانتقال إِلى الحياةِ الأبديَّة، ولكن هل من يرفض نعمة الرّبّ يسوع المسيح وحضوره في قلبه يموت موتًا وليس رقادًا؟ الرب يسوع قال عن صديقه لعازر: «لقد رقد. متكلمًا عن رقاد الموت» (يوحنا١١: ١١-١٤)، كذلك القديس بولس تكلم عن الموت، وعبارة الراقدين لها عَلاقة بالقيامة: «وسيقيم الربّ الراقدين معه ويقوم أولًا الأموات بالمسيح». (١ تسالونيكي ٤: ١٦)

وهناك رقاد مريم والدة الإله الَّذي نعيده في١٥ آب «رقاد السيّدة»، وانتقال يوحنا الرسول (٢٦ أيلول)، ونتكلّم عن رقاد القدّيسين الراقدين، وفي أناشيد عيد رقاد السيّدة نردّد مرارًا: «في رقادك ما تركت العالم يا والدة الإله، فإنّك انتقلت إِلى الحياة بما أنّك أمّ الحياة»، وننشد أَيضًا: «إن اللحد صار سلّمًا إِلى السماء، والموت صار عربونًا للحياة. في أيقونة القيامة نرى فيها المسيح القائم من بين الأموات، والَّذي وطِئ الموت بالموت، يمدّ يده ممسكًا بيد آدم وحواء، وهما يمثّلان البشريّة كلّها، وكأنه يقول لهما: لك أنت أَيضًا قيامة، ويقول الكتاب: قُم أيّها النائم. فيضيء لك المسيح. (أفسس ٥: ١٤)

على أن تذكار الموتى في القدّاس الإلهي يقيمها الكاهن، ويصلّي لأجلهم، ويذكرهم في تقدمة القرابين وفي زياحها، كما تُقام صلاة «نياحة» خاصَّة تلي القدّاس الإلهي، وذلك في اليوم الثالث والتاسع والأربعين للوفاة، وفي ذكرى نصف السَّنة والسَّنة، وبحسب القديس سمعان التسلونيكيّ تقام الصلاة للميت في اليوم الثالث؛ لأن المتوفَّى المؤمن أخذ كيانه من الثالوث الأقدس، واليوم الثالث

يذكّرنا بقيامة المسيح في اليوم الثالث، أما اليوم التاسع فيذكّرنا بطغمات الملائكة التسع، والمتوفى مدعوّ لأن يكون مثل الملائكة في تمجيد الله، أما اليوم الأربعون فله أثر في العهد القديم، حيث حدَّ اليهود أربعين يومًا على موت موسى، كما يذكّرنا بصعود المسيح إِلى السماء بعد أربعين يومًا من القيامة.

مغفرة وتسامح لأجل المستقبل.

زار الحبر الأعظم البابا فرنسيس مقاطعة إدمنتون، حيث التقى الشعوب الأصلية لكندا ولبس زيهم وقبل أيدي امرأة كندية مسنَّة من السكان الأصليين، وقال البابا فرنسيس: «أعزائي الشعوب الأصلية لكندا، لقد جئت إلى أراضيكم الأصلية لأخبركم شخصيًّا عن حزني، وأطلب مغفرة الله والمصالحة والشفاء والتعبير عن قربي والصلاة معكم ومن أجلكم». وتعدّ زيارته إلى كندا هي الأولى في رحلة للاعتذار عن دور الكنيسة الكاثوليكية في إدارة مدارس داخلية انتهكت فيها الطفولة في كندا بين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حيث سُجل، عَنوة، زهاء ١٥٠ ألف طفل من السكان الأصليين بشكل قسري في أكثر من ١٣٠ مدرسة داخلية مدعومة من الدَّولة تدير معظمها الكنيسة الكاثوليكية، وقد تم إبعاد هؤلاء الأطفال عن أسرهم، وعزلوا عن لغتهم وثقافتهم، وكان العديد منهم ضحايا سوء معاملة واغتصاب وسوء تغذية، ما أدَّى إلى وفاة زهاء ستة آلاف طفل، ما اعتبرته لجنة تحقيق وطنية «إبادة جماعية ثقافية»، وشكل صدمة كبيرة في المجتمع الكندي.

وينتظر السكان الأصليون لكندا زيارة البابا بفارغ الصبر على أمل أن يجدد اعتذاراته التاريخية الَّتي عبر عنها في شهر نَيسان من الفاتيكان، ومن المتوقع أن يقوم البابا بمبادرات رمزية، من بينها إعادة عدد من القطع العائدة للشعوب الأصلية والمعروضة في متاحف الفاتيكان منذ عقود، وقال جورج أركاند جونيور، رئيس اتحاد الشعوب الأصلية في كونفدرالية، المعاهدة ٦ في مؤتمر صحافي، الخميس في إدمونتون: «إن هذه الرحلة التاريخية هي جزء مهم من رحلة الشفاء، لكن ما زال يتعين القيام بالكثير، فيما حذر إيرفين بول، زعيم قبائل «لويس بول كري»،

من أن «الزيارة قد تؤدي إلى فتح جروح ناجين».

بكل الأحوال، ومهما كان رأي بعضهم فإن المهم هو أن رأس الكنيسة الكاثوليكية يعتذر نيابة عن بعض أعضاء كنيسته المتورطين في ملف المدارس الداخلية، وها هو يقدم الاعتذار لهم شخصيًّا في أراضيهم، وهنا عظمة التواضع. وكان البابا قبيل توجهه إلى كندا صرَّح أمام الحاضرين في ساحة القديس بطرس في الفاتيكان يقول: «لسوء الحظّ ساهم العديد من المسيحيين في كندا، ومن ضمنهم بعض أعضاء الجماعات الدينية في سياسات الاستيعاب الثقافي الَّتي أضرَّت في الماضي بشكل خطير بالسكان الأصليين وبطرق مختلفة»، وكانت قضية الاعتداءات على أطفال الشعوب الأصلية قد تفجرت في العام ٢٠١٥، وقد أعرب وقتها رئيس الحكومة الكندية ترودو عن حزنه لاكتشاف ٧٥١ قبرًا لأشخاص مجهولين في مدرسة داخلية سابقة للسكان الأصليين في قرية مارييفال في مقاطعة ساسكاتشوان في غرب كندا.

بين اللجاجة والإلحاح في الطلب من الله والبشر.

يشكك الكثير من المؤمنين من استجابة صلواتهم أو يملُّون من تَكرار طلباتهم من الرب لضعف محبتهم له، ويسوِّغون عدم اللجاجة في الصلاة بفلسفة عقلية تقول: إن الله يعرف كل شيء، فلماذا التَّكرار؟ أما المسيح فإنه أراد أن يظهر أهمِّيَّة الإلحاح في الصلاة أمام الله، لأن هذا ينمي إيمان الإنسان، ويظهر مدى محبته له، على أن اللجاجة والإلحاح الشديدين في الإيمان الَّذي أظهره بارتيماوس للحصول على الاستجابة فعلت فعلها، فقد كانت صرخاته: «يا يسوع ابن داود» تعلن إيمانه به أنه المسيح .

ومن الإلحاح في الإيمان إلى الإلحاح في الحياة غير المستحب في نظري، حيث إن كثرة اللجاجة والإلحاح لشخص ما يزعج ويضايق ويضر بالعَلاقة، كما أن كثرة مضايقة أحدهما للآخر تتسبب في أن يطفح الكيل، كما يقول المثل في سلطنة عمان: «من كثرة الصفع تعمى العين»؛ ومن تجرِبة شخصيَّة تعمدت أثناء تربية أولادي في طفولتهم عدم الإلحاح عليهم كثيرًا، فربما الإلحاح يتعبهم، وكنت أتركهم قليلًا لبعض الوقت علَّهم يعيدون حساباتهم ويوافقون؛ وفي نقاش مع صديق لجوج فوق العادة، يقول: «تعلمت أن لا أتوقف عن طلب الدعاء لعل في لحظة مناجاة الله تحلّ محبته فتغمر القلب تباشير الفرح، والحدس لا يمكن أن يأتي من العدم، هناك شيء ما يقف خلف ذلك الإلحاح المفرط»؛ يضيف هذا الصديق اللجوج: «في الأخير تجذبني الطريقة الَّتي يلتئم بها جرح الإنسان، والإلحاح الَّذي يتحول بمرور الوقت إلى صمت لا يشبه الرضى ولا يشبه الرفض، نصمت كما لو أننا آلَيْنا على أنفسنا ألا نعبِّر عن شيء قبل أن نرحل».

ولكنني لم أوافق صديقي اللجوج في رأيه، واسترجعت له أحداثًا عن

عدم اقتناعي بالإلحاح، وأخبرته قصة من التاريخ، وهي: أنه ربما لم يندم إنسان على الإلحاح كما ندمت زبيدة زوجة هارون الرشيد، فقد تحدَّت زوجها يومًا في أمر، وغلبته، فألحت عليه أن ينام ليلته تلك مع أقبح جارية عنده، فقدر أن تحمل جاريته بالمأمون، وألحت عليه فيما بعد أن يجعل ابنها الأمين وليًّا لعهده بدلًا من المأمون، فلما صار خليفة حاربه المأمون وقتله، فكانت تقول قاتل الله اللجاجة والإلحاح، لأن إلحاحها أدى في الأخير إلى قتل ابنها؛ ومع قول الإمام علي بن أبي طالب، أختم: «قد تورث اللجاجة ما ليس للمرء إليه حاجة».

بين شاه إيران وابنة السَّفير التركي، والمصور أرشاك.

كان طاهر لطفي سفيرًا لتركيا في بغداد في الثلاثينيَّات، وكان يصطحب ابنته شرمين الَّتي كان جمالها حديث أهل المدينة إِلى حفلات الاستقبال الَّتي كانت تقيمها السفارات في الأعياد الوطنية، وفي الحفلات الَّتي كانت تقيمها السفارة التركية، كما كانت تظهر أثناء ممارستها لعبة التنس في النوادي الرياضية، وقد تعاظمت شعبية الفتاة التركية في العراق وعبرت شهرتها الحدود إِلى إيران، حيث قام أقارب الشاه محمَّد رضا بهلوي بالتحدث إليه عن شرمين، وأرَوه صورها قبل أن يلتقيا في حفل استقبال، حيث هام الشاه بالفتاة الجميلة من النظرة الأولى، ودون أن يضيع الوقت أرسل إِليها هديّةً، صندوقًا خشبيًا يحتوي على قلائد وأقراط وأساور مرصعة بالزمرد.

ولم يكن ذلك الصندوق هدية فحسب، بل كان طلبًا ليد الحسناء التركية، وقد حمل رُسل الشاه الَّذين قدَّموا الصندوق إِلى السفارة التركية في بغداد رسالة تقول: «بقبولكم هذا الصندوق أو أخذ قطعة من المجوهرات الَّتي فيه تشيرون إِلى قبولكم طلب الخطبة»، ولكن «العريس الإيراني» لم يكن في عقل شرمين ولا في قلبها، فرفضت الهدية وأُعيد الصندوق من دون أن تُمس محتوياته إِلى الشاه الَّذي غضب من جوابها، وفي ردة فعل منه تزوج من أميرة تدعى ثريَّا، أما الفاتنة التركية شرمين فإنها التقت مع طالب الطب إحسان دوغرماجي الَّذي وقع في حبها بعد أن رآها في حديقة بيت العائلة في أنقرة أثناء دراسته الطب، وظل يرسل إليها الورود الحمراء حتى تعلقت به، وأُقيم زفافهما في كربيج في أنقرة .

وبذلك تكون الورود «الحمراء التركية» وليس «الزمرد الإيراني» هي الَّتي سرقت قلب ابنة السَّفير الشابة الوحيدة في السابعة عشرة «ذات الجمال الأخَّاذ،

والعيون الخضراء الفريدة، والجمال النقي»، كما تصفها ابنتها الروائية التركية نازلي إيراي، وقد وضعت الابنة صورة أمها على غلاف كتابها، وهي الصورة ذاتها الَّتي خطفت قلب شاه إيران، والصورة نفسها الَّتي عرضها المصور العراقي أرشاك في واجهة محله وسط بغداد طَوال ما يقارب ٦٠ عامًا إلى أن دمرت الغارات الجوية استوديو أرشاك الشهير .

بين السلطان والخان والشاه والأمير.

«السلطان» هي كلمة قديمة وجدت بالعربية والآرامية وتُرجمت حرفيًّا على أنها «قوة». وتستخدم كلمة «سلطان» للإشارة إلى الحاكم، وهكذا فإن كلمة سلطنة هي نفس الكلمة الأوروبية «إمبراطورية»، والسلطان هو النظير للإمبراطور في الشرق، والسلاطين كانوا تجسيدًا للسلطة العلمانية على عكس الأئمة الَّذين هم قمة السلطة الدينية. أما الخان فهو مصطلح شرق أقصويّ وليس شرق أوسطي، جاء من المغول والأتراك بداية، وكان يطلق على الخانات زعماء القبائل وبعد ذلك بدأت تسمية الأباطرة مثال جنكيز مؤسس أكبر إمبراطورية في تاريخ البشرية خانًا.

أما الأمير فهو يعني سيِّد، والكلمة من أصل عربي، لكنها توغلت في البيئة التركية لتحل محل العنوان التركي الأصلي «eleteber» وبالمعنى نفسه من حيث الجوهر إذا كان لقب «خان» يمكن مقارنته بلقب إمبراطور روسيا، فإن «الأمير» هو أمير منطقة، وحاكم دولة داخل الإمبراطورية (خانات). في آسيا الوسطى وحده جنكيز حمل لقب خان، كما كان الفاتح تيمورلنك يحمل لقب أمير، رغم أنه أسس إمبراطوريته الخاصَّة، واللَّافت أن كلمة أميرال تعني أمير البحر أو سيد البحار .

أما كلمة شاه فقد ترجمت من الفارسية على أنها «الحاكم»، وقد تم العثور على هذه الكلمة في تكوين الكلمات «باديشة» و«شاهين شاه»، وهو مشتق من «بادي شاه»، وهو اللقب التركي «باشا». ومن المثير للاهتمام أن لقب «شاه» هو الأقدم، وسبق لقب «سلطان»، لكن مع ضعف بلاد فارس أصبح العنوان ثانويًّا، لذلك كانت تسمية مؤسس الدَّولة العثمانية: عثمان، غازي، باديشة، وفي حالة أحفاده تم استخدام الشكل المختصر «باشا» للإشارة إلى القادة العسكريين والولاة، وصار يسمى رئيس الدَّولة بالسلطان.

بين ثقافة الاختلاف والأخلاق والمستقبل.

مما لا نقاش فيه أن ثقافة الاختلاف تعني احترام وجهة نظر الآخرين، والاختلاف في الآراء والأفكار بين النَّاس هو درجة من درجات التفكر والتدبر، ويعدّ ظاهرة صِحِّيَّة شرط ألا يتحول إلى تهميش لآراء الآخرين والتقليل من قيمتها ومصداقيتها، على أن قبول النَّاس الاختلاف والنقاش المثمر فيما بينهم يغذي العقل وينمي الفكر، وعدم تقبل الاختلاف والجدال ما هو إلا تباعد وتنافر بين وجهات النظر، ويبدو أن المستقبل لن يفتح ذراعيه إلا لأجيال تحترم ثقافة الاختلاف، وتعرف قيمة العلم وتقدسه.

وهكذا نرى أنه كلما كانت الأوطان أكثر تطورًا وتقدّمًا واستقرارًا، كانت إمكانية التعايش والتقارب والانسجام بين أبنائها أكثر، وكم نحن بحاجة ماسة في لبنان إلى قبول ثقافة الاختلاف في الرأي قبل ثقافة الفساد! وعلينا أن نتعلم كيف نفصل بين رفض الفكرة ورفض صاحبها، فالاختلاف ليس كراهية، وثقافة الاختلاف لا تقود للاختلاف إذا اقترنت بالأخلاق، ومتى تجردت منها تحولت إلى خلاف وعداوة، وربما أن ما نقوله من كلام خطأ يحتمل الصواب، وما يقوله الآخرون من كلام صواب يحتمل الخطأ.

وفي الأخير، فقد وجدت أن الاختلاف عدّة أنواع ، ولو شاء الله لجعل النَّاس أمة واحدة بلا اختلاف بينهم، واستنتاجًا، فإنه في الحياة لا يوجد شخص يلائمك تمامًا في أن يكون شريكًا لك في الزواج أو العمل أو السكن، لكنه يوجد شخص يتنازل من أجلك وتتنازل من أجله؛ لأنكما ترغبان بالبقاء معًا؛ ولأن الوقت ليس له أمان، والحياة رحلة قصيرة جِدًّا، فإنك فجأة تصير ترى الأشياء الَّتي كنت تضحي لأجلها عابرة وتصير تمرّ بجانبها ولا تلتفت إليها، وسوف تكتشف بنفسك أن قلب أمك وحده كان الجنة على الأرض، ولا تتفاجأ لسرعة تغير من حولك من البشر، بل تفاجأ بسرعة قدرتك على العيش من دونهم، وقبول اختلافهم، حتى رحيلهم.

بين ضياع الوطن والأمل الوحيد بجيش لبنان.

فُقِدَ وطن أخضر اللون،
كان يُدعى «لبنان الأخضر»،
يرتدي مليون شجرة صنوبر وأرز وشربين،
يعيش فيه أكثر من ٥ مليون إنسان،
وصفهم العالم بالأذكياء،
الولاء عندهم ليس للوطن،
بل لرجال الدين.
وطن عمره عشرات الآلاف من السنين،
كان ملاذًا للخائفين،
فأصبح خوفًا للآمنين.
وطن مجروح من كلِّ الجوانب،
يتجول الموت على طرقاته،
حاصدًا سَنَوِيًّا خمسمئة قتيل،
ينتشر رعب «التعاطي» في أزقته،
والخوف على مستقبل شبابه،
ما عاد شَكًّا، وصار يقينًا.
السرطان فيه يلتهم الأجساد،
ويفتك بالأرواح، ويحصد تسعة آلاف سَنَوِيًّا.
على من يحبه ويحنّ إليه،
أن يدعو الله أن يعيد له الأمن والأمان،

ويخلصه من الفاسدين.
ومن بعض التجار الجشعين،
ويجعل مستقبله أفضل من ماضي؛
آمين.
مَن يَفقد مالًا،
بمالٍ غيره يُعوَّض.
ومَن يَفقد صداقة،
بصداقة غيرها تُعوَّض.
ومَن يَفقد عزيزًا بموته،
بعزيز غيره يُعوّض.
أمّا من يَفقد وطنًا
فلا شيء بغير الوطن يُعوَّض.
كل ما بقي لنا من أمل في هذا البلد،
هو هذا الجيش اللُّبنانيّ العظيم.
عشتم وعاش صاحب العيد
الَّذي ما أحببت غيره،
والله العليّ العظيم.

بين العنف الأسريّ واختلال التوازن بين القوة والسيطرة.

يحدث العنف الأسريّ بين الأشخاص الَّذين تجمعهم عَلاقة حميمة، ويُسمى أَيضًا بعنف الشريك الحميم، وقد يأخذ عدّة أشكال، بما في ذلك الإساءة العاطفيّة والجنسية والجسدية، وتزداد العَلاقة سوءًا بمرور الوقت، ويحدث العنف الأسريّ في كل الثقافات والشعوب وفي جميع أنحاء العالم، ووفقًا لدراسة أجراها مكتب الإحصائيات القضائية في الولايات المتحدة، فإن٨ , ٤ مليون امرأة أبلغت عن تعرضهن للإيذاء الجسدي من قبل أزواجهن الحاليين أو السابقين أو أصدقائهن الحميمين، وسجل تعرض ٩ , ٢ مليون من الرجال للاعتداءات الجسدية من قبل شريكاتهم من النِّساء.

وتبعًا لبعض الدراسات وجدت أن نسبة إبلاغ الرجال عن الإيذاء الَّذي يتعرضون له على أيدي الشريك الآخر على الأرجح أقل بكثير من الحالات الحقيقية، كما أنني وجدت أن نصف النِّساء الفلسطينيَّات وقعن ضحايا للعنف المنزلي. وتبعًا لدراسة حديثة في مصر، فإن ٨٠٪ من النِّساء اللَّاتي شملهن الاستطلاع في الريف المصري قلن: إن الضرب أمر شائع ومسوَّغ في كثير من الأحيان، ولا سِيَّما إذا رفضت المرأة ممارسة الجنس مع زوجها. بدورها منظمة حقوق الإنسان وجدت أن أكثر من ٩٠٪ من النِّساء في باكستان تعرضن لشكل من أشكال سوء المعاملة داخل منازلهن. وتقدر الإحصائيات غير الرسمية أن ٩٧٪ من النِّساء الهنديات عانين من العنف في مرحلةٍ ما من حياتهن.

وفي الأخير، لا يظن أحد أن المرأة هي من تتعرض لعنف أسري فقط، فهناك رجال يتعرضون لمثل ذلك العنف، إلَّا أن الخوف من «الوصمة» الاجتماعيَّة، و«التشهير»، وطبيعة الثقافة الَّتي تسود في المجتمعات الريفية، تؤدي إِلى عدم

«البوح» بذلك العنف الَّذي يتعرض له الزوج على يد زوجته أو تقديم شكوى؛ ففي ولاية لاغوس في نيجيريا، فإن ثلثي النِّساء هنَّ ضحايا للعنف المنزلي. وفي تركيا ٤٢٪ من النِّساء فوق ١٥ سنة تعرضن للعنف الجسدي أو الجنسي، كما وجدت أن نسبة ضحايا العنف المنزلي للنِّساء في أستراليا من السكان الأصليين قد تكون مضاعفةً بنسبة ٤٠ مرة، مقارنة بالنِّساء من غير السكان الأصليين، وأظهرت دراسة كندية أن ٧٪ من النِّساء و٦٪ من الرجال تعرضوا لسوء المعاملة على أيدي شركائهم الحاليين أو السابقين، لكن النِّساء من ضحايا العنف الزَّوجيّ أكثر عرضةً بمرّتين من الضحايا الرجال.

بادت: إن غدًا لناظره قريب.

انتقلت أوروبا من عصور الظلام الوسطى إلى العصر الحديث بمفاهيم كتابين؛ الأوَّل: «المنطق الجديد» للكاتب البريطاني فرنسيس بيكون، والثاني: «مقال في المنهج» للكاتب الفرنسي ديكارت؛ ولا شيء يدوم على هذه الأرض، كم من حضارات سادت ثم بادت! وكم من أمم تتالت وتناوبت البقاء ثم الفناء! فلا يخطر ببالنا أن هذا العالم الَّذي نعيشه اليوم بدُوَله ومُدنه سيكون هو نفسه في المستقبل حضارات «سادت ثم بادت».

حضارات سادت ثم بادت، ملوك حكموا ثم اختفوا، إمبراطوريات تسيّدت العالم ثم انهارت، دول تلد دولًا، ودول ابتلعت أخرى، وفي الصورة، أسفل المقال، الأميرة سعاد فضل حفيدة السلطان علي بن دينار- سلطان دارفور، والأميرة سعاد تبلغ الآن من العمر (٧٠ عامًا تبيع الشاي في العاصمة السودانية الخرطوم حتى تعتاش؛ وربما لا تعلم أن جدها كان يرسل أموال الزكاة شرقًا وغربًا، ويحكم أرضًا بحجم مِساحة فرنسا اليوم، قبل أن يجتاحها عسكر الاستعمار، ويأخذوا ثرواتها في العام ١٩١٦، وكانت أهم إنجازات جدّها السلطان قبل قتله أنه قام بالقضاء على الفقر في سلطنته، وأصبح جميع أبناء شعبه يملكون الأراضي والمواشي.

وقد سجل التاريخ القديم والحديث الكثير من الحضارات الَّتي سادت ثم بادت، أما لبنان فكان وسيبقى حضارة سادت ثم سادت ثم سادت ولا تزال رغم الضائقة الاقتصاديَّة والانهيار المالي والأخلاقيّ «بعدك بتشوف حالك أنك لبناني»، لولا أن الغرب قد استفاد من ثروات لبنان الشبابية المهاجرة بعد أن غطّ حكامنا في سبات عميق لكان لبنان اليوم درة الشرقين، لكن الخير قادم، ولبنان سوف يعود إذا أراد الله، لكن السؤال: هل حان الوقت كي نحسم ترددنا، ونهتم بالشباب اللُّبنانيّ بدل تقديمه هدية مجانية للغرب؟

الإجابة برسم من يقرأ.

بين الكآبة والكتابة.

كتبتها ماري قصيفي.

لا تصدّقوا كاتبًا أو فنّانًا يحدّثكم عن السَّعادة والفرح والأمل، فمن ليس مكتئبًا ليس كاتبًا، فبين الكآبة والكتابة عَلاقة تتعدّى الرابط في اللفظ، لأنّ الكاتب الحقيقيّ هو من التقط أولئك الَّذين لفظتهم الحياة إِلى هامش العيش، وجعل لهم في وجدانه مسكنًا دائمًا، كذلك حال الرسّام والنحّات والموسيقيّ والراقص والسينمائي، ليس من الضروري أن يجرح المبدع قلبه ليسقي قلمه من دمائه، كما طلب إلياس أبو شبكة، يكفي أن يغمس الشاعر ريشته في الدماء حوله كي يكتئب ويكتب.

الداعون إِلى الأمل والتفاؤل ودعاة المحبة والساعون إِلى السلام ليسوا أدباء ولا شعراء، بل مبشّرون؛ فالكتابة الَّتي لا تصدر عن جرح، ولا تحدث جرحًا، هي كَنَبة يستريح عليها كلّ من كتب ومن قرأ؛ أمّا تلك المكتوبة بالأظافر على اللحم الحيّ فهي الكآبة في أبهى أشكالها. هي الصليب الَّذي لا يتّسع إلّا لمصلوب واحد هو الكاتب نفسه.

اهربوا من الكتابة، من هذا النوع من الكتابة، فهي جرح مفتوح لا تجفّ دماؤه، وقد تغرقون في سيل نتنه. ابتعدوا من هذه الكتابة، فهي تطلب منكم أن تروا وتصغوا وتلمسوا وتعيشوا وتتألموا وتموتوا، أنقذوا أنفسكم من هذه الكتابة، ولا تحسدوا من أصابته لعنتها. لا تحسدوا من لا تسكت الأصوات في رأسه، ويضجّ الموتى في سكون وجدانه، ويحيا في حياة واحدة آلاف الحيوات من دون أن يعرف كيف يعيش ويستمتع.

بين تأنيب الضمير والكرامة الزائدة.

غالبًا ما أجد أن تأنيب الضمير يجعل الإنسان يشعر بأنه الشخص الأسوأ على وجه الأرض، ولكن ما دام يشعر بهذا التأنيب فهو من أصحاب القلوب النقية الَّتي أصبح وجودها نادرًا في أيامنا، يا لَلأَسَف! وتختلف الأسباب الَّتي تجعل الإنسان يشعر بتأنيب الضمير باختلاف الشخص واختلاف الموقف الَّذي يمر به، ويعدّ الخوف من جرح مشاعر الآخرين من أبرز الأسباب الَّتي من الممكن أن تتسبب في هذا الشعور، فيعاتب الإنسان نفسه عن كل كلمة وكل فعل يفعله حتى ولو كان صحيحًا ومقتنعًا به، لكن هذا الفعل ربما تسبب في غضب شخص ما حسب اعتقاده.

وهناك أشخاص يعاتبون أنفسهم على تقصيرهم في أي واجب من واجباتهم، وهذا التقصير سببه المرور في حالة من الإخفاق في أمر ما، مثل الطالب الَّذي يقصر في دروسه فتكون النتيجة رسوبه في المدرسة وغيرها من المواقف، وهناك أشخاص آخرون يعاتبون أنفسهم بسبب تقصيرهم في صلاتهم، وهذا الأمر جيد ويشير إلى خوفهم من الله، ويعاتبون أنفسهم لتقصيرهم في عبادته؛ وبالرغم من أن تأنيب الضمير أمر جيد، ولكن في بعض الأوقات يصبح مرضًا ويجعل صاحبه مرهقًا عقليًا بصورة دائمة يردد صبحًا ومساءً عبارة «لو كنت فعلت كذا لصار كذا»، وبالطبع هذا التفكير لن يغير شَيْئًا، ولا بد من التخلص من هذا النوع من التأنيب للضمير، وأن يتعلم الإنسان تقدير ذاته، وأن يصبح فخورًا بنفسه وبتصرفاته، كما يجب أن يتذكر الأمور الإيجابيّة الَّتي قام بها، والَّتي سوف تساعده لتحقيق أحلامه والوصول إلى أهدافه؛

ولأن الحياة تغيرت والنَّاس تغيروا أَيضًا، فالمفروض بنا أن نتعامل مع بعضنا

بعضًا بصورة ودِّية، وأن لا نعطي بعض البشر حجمًا أكبر من حجمهم الطبيعيّ، ما معناه أن نحترم أنفسنا ونحترمهم لكونهم بشرًا فقط، وأن نضع ضوابط لطريقة تعاملنا مع بعضنا؛ لأن الكرامة الزائدة والتقدير الزائد لم يعد يفيد مثل أيام الماضي، وعلى المواطن اللُّبنانيّ أن يرفع نفسه، وأن لا يقلل من قدره، مهما ساءت أوضاعه الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والماليَّة بصورة مؤقتة وظرفية، وعليه أن يعامل النَّاس بما يستحقونه فقط.

بين عون الإنسان لأخيه وعون الله له.

لفتني إحياء دولة الإمارات العربية المتحدة في شهر أيلول من كل سنة «اليوم الدَّوْلِيّ للعمل الخيري»، وذلك لتأكيد النهج القائم على تعزيز العمل الخيري، وحرصًا منها على بناء عالم يكون فيه الإنسان عونًا لأخيه الإنسان وسندًا له، فقيمة العطاء المتأصلة في شعب الإمارات أساسها قيادة حكيمة رسخت في أبنائها أن يكونوا نموذجًا يحتذى به في التطوع؛ فالله يعين الإنسان على قدر معونته لأخيه.

ولا ننكر حاجة الإنسان لأخيه الإنسان، فابن آدم قد يكون عونًا لأخيه ما دام لا يؤذيه ولا يخرب له حياته ويدمر له مستقبله ومستقبل أولاده، في وقت صار فيه كثيرون من البشر أشرارًا لا يعرفون الله، وصارت الجريمة هي أسهل الحلول المتاحة لحل النزاعات بينهم، وفي مراجعة لتقارير القوى الأمنية عن عمليات قتل يومية لأفراد العائلة أنفسهم، كمثل الشقيق الَّذي يقتل شقيقه، والابن الَّذي يقتل والديه، «والخير لقدام في انعدام المحبة بين الأسر».

وقد بات واضحًا أن معظم شعوب العالم تعيش هذه الأيَّام على القهر، قهر الإنسان أخاه الإنسان، خاصَّة عندما يحكم أو يتحكم أو يصبح صانع قرار؛ وكلنا أمل أن نصل إِلى اليوم الَّذي تصبح فيه حكومات هذه البلدان عونًا لأبنائها، تقدم لهم النصح في تحقيق العدالة الاجتماعيَّة وتحفظ كرامات شعوبها، كما أن المواطن الصَّالح يستطيع بحكم إمكاناته ومكانته الاجتماعيَّة، وبحكم شأنه وحجمه المالي، أن يخفف عن النَّاس آلامهم، فإما أن يكون الإنسان مصدر شر، وإما أن يكون مصدر خير، فالخير بيده والشر بيده، فطوبى لمن قدرت يداه على الخير، والويل لمن قدرت يداه على الشر؛ فإذا أراد إنسان أن يعرف مكانته عند الله فعليه أن ينظر في ما جنته يداه، وأن يسأل نفسه كل يوم: ماذا أفعل حتى أنال رضى الله؟ فهل من يتعظ؟

بين الإفراط في نمط الحياة وحب التملك والغيرة القاتلة.

الإفراط في التواضع ليس نقصًا، وهو في كثير من الأحيان يجلب المذلة لصاحبه، كما أن الإفراط في اللين ليس ضَعفًا بل طيبة زائدة ربما، والإفراط في العمل ليس طمعًا بل طموحًا وضرورة ظرفية للاستمرار في المقاومة والصمود، وهو بأي حال، أفضل بكثير من الإفراط في الراحة الَّذي يعدّ خمولًا، مثله مثل الإفراط في الحذر الَّذي يتحول إلى وسواس يقتل الطموح، ومن سوء حظ الإنسان الناجح هو وجود أشخاص حوله يفسدون حياته وحياتهم أَيضًا نتيجة البغض حينًا والحب الزائد حينًا آخر، والَّذي قد يبلغ حد التملك في معظم الأحيان، وهنا المصيبة الكبرى والهلاك الحتمي للعَلاقات بين البشر.

ويأتي السؤال الوجيه: هل حب التملك هو حب أو مرض نفسي؟ وهل هو في أساسه غيرة محببة أو أنانية خبيثة؟ في الغالب أجد أن حب التملك يتنوع بين السيطرة والاستيلاء، وبين الرغبة في الاحتفاظ بالأشياء من مال وممتلكات عينية، وبين أن يكون تملكًا للأشخاص بما يشبه الحب الجنوني المفرط فيه من الغيرة والامتلاك، وهو حب مبطن بالخوف والشك والإخضاع.

وفي الغالب تكون الغيرة غير مبررة، وقد تصل إلى الشك والاتهامات بأمور ليس لها أساس من الصِحَّة، ومن الاتهامات الشائعة هى مغازلة الآخرين أو الخيانة أو محاولة إملاء أوامر بين الشركاء والشعور بالغضب لعدم طاعتها، وغالبًا تصل لعدم تقبل أي انتقاد نابع عن عدم وجود ثقة بالنَّفس، ثُمَّ إنه من السهل أن يتم استفزاز الشريك وتعكير مزاجه، وكما أن هذا النوع من الأشخاص لا يمكنه تحمل مسؤوليَّة المواقف السَّلبيّة، وسوف يحاول التهرب منها وإلقائها على الشريك، وبالنتيجة يتحول إلى مرض يقتل صاحبه.

بين رفقة السوء والتداوي بالعزلة والكتابة.

يبدو أن التداوي بالعزلة هو من ضرورات الحياة، ويمكن للمرء أن يتعافى أحيانًا بعزلته، لكن بعض الأطبَّاء يرون أن التداوي بالعُزلة أشبه بالمسكِّنات ولا يصلح علاجًا، بل إنه يؤجِّل الوعي، ويمدُّ في عُمر الوجع، وقد ذهب اليونان قديمًا في الاعتقاد بأن الأمل هو الشر الأكثر مكرًا وخداعًا، والَّذي يتمادى العقل معه حتى يمسه الجنون، في المقابل اكتشفت أن الأطبَّاء هم على خطأ حين قرأت يومًا ما عاينه الروائي كارلوس ليسكانو الَّذي اتخذ من الكتابة دواءً ليتخلص من العذابات الَّتي عايشها بعد وفاة والديه، وللتخلص من الضيق الَّذي تخلقه الزنزانة لينتهي به الأمر روائيًّا وكاتبًا: ومن أجمل ما كتب يقول: «الكتابة كانت بالنِّسبة إلي طريق النّجاة الوحيد لأحيا. لم أكن كاتبًا قبل دخول السّجن، وبين جدرانه وفي عزلتي بداخلها ولد فيّ الكاتب».

وأذكر جيِّدًا في صغري عندما كانت والدتي تقول لي: «حين كنّا في أعماركم كانت البساطة تغلب على أيامنا، ولم نكن نعيش العذابات الَّتي يعيشها جيلكم والأجيال الَّتي ستأتي من بعدكم»، على الرغم من التقنيات الَّتي وصلت إلى الأجيال الجديدة من أبنائنا فلا أجد أحدًا منهم سعيدًا بما لديه، وعليه تكون العولمة قدمت لهذه الأجيال التطور، وسرقت منهم أشياءَ كثيرة، وفرض التعقيد الحياتي نفسه على أبناء هذا الجيل الَّذي يتحمل ضغوط الحياة، والَّتي تضاعفت نتيجة الحصار الاقتصادي المفروض على لبنان، وإقفال المؤسسات التجارية والبطالة بين الشباب نتيجة الانهيار المالي في البلاد .

وفي خضمّ كل الانهيارات لمؤسسات ما كان يعرف بالجمهورية اللُّبنانيّة، أرى المواطن اللُّبنانيّ المثقل بالتعب والقلق على المصير الَّذي ينتظره وينتظر أبناءه

بين رفقة السوء والتداوي بالعزلة والكتابة

يبحث عن مغتسلٍ بارد يخفف عنه أثقال كل ما كُلّف به، عن رغبة أو عن غير قصد؛ فبعضهم يسد الفراغ بتدخين النرجيلة، وبعضهم الآخر بالعمل، ويداوي بعضهم نفسه بالعزلة، ويغتسل بعضهم من أدران الحياة بالحبر والكتابة، تمامًا كما فعلت حين لم أكن أعي وأنا أركض نحو هذا الخلاص، تلك الخلفية العلمية الَّتي عرفتها مؤخرًا، والَّتي تقف وراء هذا التحرّر، وهذا السلام الداخلي الَّذي أحصل عليه فقط من خلال الورقة والقلم؛ وهكذا صارت الكتابة مصدر التفاؤل الَّذي أنعم به والخوف الَّذي لا أعرفه، وصورة لبنان الجميل القادم تقف بين عقلي وقلبي ونظري.

بين المرض والخوف منه موت بطيء.

يجب ألّا نبدد لحظات السعادة بمخاوف وهميّة، وما أجمل كلمات مارون عبود عن الخوف من المرض حين كتب: «فلنغلق الأبواب على الماضي والمستقبل ونعش حاضرنا؛ فالحاضر وحده مضمون لنا لنتمتع به؛ أما أن نصرفه في الخوف من المرض والزلازل وغير ذلك من البلايا فهذا هو الضلال القاتل»، وعليه، يكون خوف الإنسان الزائد على الأشياء أن تنكسر، قد يكسره هو ويبقيها هي على حالها؛ فالخوف أخطر من المرض، فاحذروا.

وفي الحياة ليس هناك أشخاص VIPكبار؛ لأن الكل صغار أمام مشاكلهم، وأمام الألم والوحدة وافتقاد التقدير والعطف والاطمئنان، وأمام الخوف من المجهول، ومن المرض، ومن فقدان الرفيق، ومن الموت، ومن تساقط أوراق العمر، ومن ضياع الشباب وضياع بهجة الحياة، ومن عشرات المخاوف والهواجس، والَّتي بمعظمها واهية؛ وهكذا، فإن من يخاف الفقر فقير، ومن يخاف المرض مريض، ومن يخاف الموت ميت؛ فالخوف حماقة، والوقاية نباهة.

كما يجب علينا أن نقر أنه ما من أحد لم يعرف لحظة الذل ولحظة الضَّعف ولحظة الخوف ولحظة القلق، وما من أحد لم يعرف ذل الفقر وذل المرض وذل الحب ربما، وتعاسة الوحدة، وحزن الفقدان أو عار الفضيحة أو هوان الفشل أو خوف الهزيمة؛ وهكذا، فإن خوف الموت يحلِّق فوق رؤوسنا جميعًا سواءً أكنَّا أصحاء أم مرضى؟ كما أن الملايين الَّتي يمتلكها بعض النَّاس لا تعفي أحدًا منهم من المرض والشيخوخة والعمى والموت، حيث إن قيمة الإنسان هي ما يضيفه إلى الحياة بين ميلاده وموته.

بين الذكاء والغباوة، ارحمنا، يا أللّه.
Intelligence and stupidity

بين الذكاء والغباوة اختلاف في القدرات تمامًا مثل النجاح والفشل، حيث نجحت مواقع التواصل بتحويل الصيصان إلى ديوك، وتم تقليص عدد الأغبياء نوعًا ما، والمطلوب هو المحاولة بطرق أخرى في مجال آخر، فلا أحد فاشل، والعقل يستذكي ويستغبي ويعطي صاحبه صفة الذكاء والغباوة؛ أما القلب فهو أقل قدرة على فعل ذلك، وليس هناك رابط بين العقل والقلب، خاصَّة في الحب الَّذي أسقط الأذكياء والأغبياء سواء، لذلك أعتقد أن الذكاء والغباوة هما وصفان لأفعال وليس لأشخاص، وعلى سبيل المثال، إذا اتخذ شخص ما خطوة صحيحة يقولون عنه: ذكي، ولكن إذا اتخذ بعدها خطوة خاطئة يقولون عنه: غبي؛ وهنا نلاحظ أن الصفة مقرونة بالأفعال؛ فالوعي هو الَّذي يساهم باتخاذ القرارات الجيدة أكثر من القرارات السَّيِّئة، وكلما زاد الوعي زادت القرارات الجيدة، وتبقى وجهة نظري هذه قابلة للنقاش لمن يرغب.

وربما وجدت الأخطاء في الحياة ليتعلم منها الإنسان وليس ليكررها، فمن الطبيعيّ أن يخطئ الشخص الذكي، ولكن من الغباوة أن يكرر أخطاءه، وعندما زرع الله في الإنسان روح الإيمان فإنه أخذ في الحسبان أَيضًا غباوته، لذا لا يجب أن يعتمد الإنسان فقط على مستوى الفهم أو الذكاء.

فهذا لا يكفي، ويجب ألّا يعتمد على قدراته ومهاراته، وهذا لا يكفي أَيضًا، فالأهم حسب خبرتي، هو الاتكال على الله هو وحده الأمين، والقادر على إنجاز ما حسبناه مستحيلًا في أوقات كثيرة، وربما سوف يتعجب بعضهم لهذه النَّظريَّة؛ فالمسألة ليست مسألة ذكاء أو غباوة بقدر ما هي أَيضًا توفيق من الله

ورضى من الأهل، وما أكتبه ليس فلسفة ولا عواطف بقدر ما هو خلاصة تجارِب.

وفي الأخير، يمكنني التأكيد والجزم أن الله كان رفيقي في كل أعمالي على مدى أكثر من ثلاثين عامًا، كان يسهل ما يراه خيرًا لي، ويعرقل ما هو ليس لي، ويمكنني سرد عشرات المرات الَّتي شاهدت تدخل الله في حياتي، وكنت متأكدًا من أنني لست وحيدًا، وكان يمنحني المهارة المطلوبة لكل مهمة خططت لها مسبقًا: «توكل على الرب بكل قلبك، وعلى فهمك لا تعتمد.» (سفر الأمثال ٣: ٥)؛ وربما يكون الله قد أخذ في الحسبان ذكاء الإنسان وفهمه، بالإضافة إِلى قدراته ومهاراته على أنها أشياءُ جيدة حقًا، ما يعني أنه يتركه يستمر في التعامل مع الأشياء كشخص بالغ، وهو يتدخل في النتيجة ساعة يشاء. ويبقى في الحياة أن الفرق كبير بين الذكاء والغباوة، والفهم والحفظ، والتعلم والدراسة، والمعرفة والمعلومات، والجهل والعلم، وتبقى الحكمة هي في حفظ مسافة بين الذكاء والغباوة.

بين لبنان الكرامة والشَّعب العنيد، أين المواطنة؟

على أنغام كلمات أغنية «وعد يا لبنان» الَّتي غنتها الفنانة باسكال صقر عقب اغتيال الرئيس بشير الجميل في العام ١٩٨٢ وكلماتها الَّتي لا تنسى « تعصف معو الكرامة وحرية الإنسان»، والَّتي حفظناها ورددناها لسنوات طويلة، تعالَوا معي اليوم لأخبركم في العام ٢٠٢٢ بعد أربعين عامًا بالتمام، عشية ذكرى استشهاد الجمهورية الَّذي استكمل باستشهاد الرئيس رفيق الحريري، مرورًا باستشهاد الرئيس رينيه معوض والعشرات من السياديين في بلاد الأرز الَّتي صارت بلاد «كرتونة المونة»؛ عن أي كرامة للمواطن اللُّبنانيّ في بلاده، دعوني أحدثكم عن الشَّعب العنيد الَّذي صار شعبًا ذليلًا يعيش الفقر المدقع، يا لَلأَسَف الشَّديد !

حبذا لو وزارة التربية تعيد صياغة مادَّة التربية الوطنية للصفوف الابتدائية، وتعيد تعليم أطفالنا مفاهيم التَّنشئة الوطنية من تعريف الوطن والمواطن، وتعريف الخيانة وقيم الحرية، السيادة والاستقلال والكرامة والذل واحترام القانون .

في جمهورية الموز اللُّبنانيّة اليوم صارت الكرامة غضبًا والمحبة غضبًا والغضب الأحلى بلدي، كما يقولون حيث لا كرامة ولا شعب عنيد، وعذرًا منك فيروز بعد أن انهارت البلاد وافتقر العباد وانهارت العملة الوطنية، ومعها كرامة المواطن الآدميّ صاحب الأخلاق، وصارت السياسة مخجلة، وبعض رجالاتها دمى تحركها الأحزاب السِّياسيّة والدول الإقليميَّة إلا الجيش اللُّبنانيّ الَّذي بقي شامخًا صلبًا يتحدى المخرز ببطون خاوية وأسى؛ وهذه بطولة من نوع آخر.

نعم، لبنان ليس بخير، ولم يعد كما كان، لا «مصرف العرب»، ولا «سويسرا الشرق»، ولا «بلد الإشعاع والنور»؛ لبنان صار وطنًا لا يشبهنا بشيء،

نعـم لم يعـد يشـبهنا، ولا أدري إذا كنـا نسـتحقه أصـلًا، والسـبب أننـا لم نعـرف كيـف نديـر بلـدًا، لا بـل لا نسـتحق أصـلًا أن نديـر بلـدًا هـو أرض للقداسـة ومنبـت للقديسـين، حتـى أننـا عـلى الأرجـح لا نعـرف كيـف نديـر مزرعـة، ولا نعـرف كيـف نخطـط أو ننظـم أو نطـوّر نظامنـا السِّـياسيّ الطائفـي البـالي، مـا أعرفـه هـو أننـا قمنـا بتسـليم إدارة شـؤون البـلاد والعبـاد عـلى مـدى ثلاثـين عامًـا منـذ العـام ١٩٩٢ حتـى اليـوم لغـزاة وطغـاة وسـارقين وجلّاديـن، وسـوف تلعننـا وتلعنهـم الأجيـال القادمـة مـن دون أدنـى شـك، نحـن لا نعـرف معنـى المواطنـة، ولا نعـرف شـكلها ولا لونهـا ولا أهميتهـا، ولا ينفـع أن نحـب وطننـا دون أن نعتنـق المواطنـة، نمارسـها ونطبقهـا ونهـدي ثمارهـا ونتائجهـا إِلى الأجيـال القادمـة .

بين سلام الروح وسعادة القلب، ومصدر الحب.

خلق الله قلب الإنسان حتى يحبه، إذًا، فالدور الحقيقي والأساسي للقلب هو أن ينبض بالحياة والحب، وأن لا يتصرف إلا من خلالهما، وعدم فعل أي شيء بالقوة، ونحن البشر كل ما علينا فعله هو أن نراقب بهدوء كبير الروح الحقيقية لأفعالنا، ومن أين تنبع؟ وإلى أين تتجه؟ والسؤال هنا: هل قلوب كل البشر هي مصدر الحُب الإلهي؟ وهل يكتشف الإنسان ولو متأخرًا أن قلبه هو الَّذي كان يؤثر فيه في أعماله الصَّالحة من خلال دافع الحب؟ وهل يكتشف أَيضًا أن كل ما فعله من أجل الله كان قليلًا وقليلًا جِدًّا، ويجب عليه أن يزيد من العطاء والسخاء؛ لأن جمال القلب لا يكون إلا بالخوف من الله، تمامًا كما أن جمال الروح لا تكون إلا بشكره أَيضًا.

وفي الحياة قد يبذل الإنسان قصارى جهده لإرضاء روحه ونفسه البشرية الزائلة، لكنه يعود ويخجل من أنه لم يفعل سوى القليل لإرضاء الله، وأن أعماله الصَّالحة قد حركتها دوافع دنيوية بدلًا من إنتاج مشاعر متواضعة وأنها كانت أوهامًا فارغة لمجد باطل، وهو في الحقيقة لم يفعل شَيْئًا يستحق الثناء، وهكذا تتمثل حرب الإنسان مع ذاته الَّتي ذكرها أيوب في مراقبة روحه باستمرار والقيام بذلك دون حذر أو قلق؛ فالمقصود هو إرضاء الروح وتهدئة حركاتها عند الاضطراب، وذلك بالصلاة حتى يحصل الاطمئنان، وفي مثل هذه الحالة تُتلى الصلوات بلا انقطاع حتى تتحرر الروح من هذه الاضطرابات، لكن هل الصلاة وحدها هي الوسيلة الوحيدة لعلاج اضطراب الروح واستعادتها هدوءها؟

في الأخير، يروى أن ملحدًا سأل كاهنًا بسخرية: أنت تتحدث معنا دائمًا عن ثقل الذنوب وما شابه ذلك، صدقني، أنا شخصيًّا لا أشعر بأي وزن، قل لي

كم كيلوغرام ذنب بنظرك لدي؟ يجيب الكاهن بهدوء: أخبرني يا بني إذا وضعت حجرًا وزنه ١٠٠ كلغ على ظهر شخص ميت، فماذا سيشعر؟ يجيب الملحد: «لن يشعر بشيء، لأنه مات»، وهكذا يجيبه الكاهن، يحدث للإنسان خارج نعمة الله «ميت في خطاياه وجرائمه» (أفسس. ٢: ١)؛ ولهذا السبب أنت لم تعد تشعر بثقل الخطيئة بعد الآن، حيث إن حس الخطيئة ومعرفتها هما علامتان على الصِحَّة الروحية؛ فإذا لم يشعر الشخص الخاطئ بالألم والعار، فإنه يموت روحيًّا قبل أن يموت جسديًّا.

بين صلاحيات الرئيس، ودولة بثلاثة رؤساء.

ما كان يعرف بالجمهورية اللُّبنانيّة يحتضر الآن بسبب التقاسم الطائفي بين الشيعة والسُّنة والمسيحيين والدروز، والنظام السِّياسيّ الفاشل الَّذي قام على مبدأ: «ستة وستة مكرر»، وهذا الأمر جعل منها دولة تسير بثلاثة رؤوس، أو ربما عشرة رؤوس، وست أرجل، وربما عشرين رجلًا، وكل رأس يريد أن يجرها لمصلحة طائفته، وباتجاه مصالحه فقط، فأسلمت الروح ولم تعد تتحرك وهي تغرق الآن، وهكذا ومع دولة بثلاثة رؤوس لا يمكن أن تستمر حياة خمسة ملايين مواطن لبناني في السجن اللُّبنانيّ الكبير، فيما تبقى حياة ما يفوق ١٢ مليون لبناني في الانتشار معلقة بدولة فارقت الحياة؛ وبالمناسبة، لماذا لا تتم الدعوة إِلى استفتاء حول النظام السِّياسيّ الجديد؟ وأي وطن نريد؟ بعد أن أنشأت فرنسا في العام ١٩٢٠ في لبنان دولة برأسين، ثم عادت فرنسا بعد ١٠٠ عام، لتكتشف أن دولة الرأسين فشلت، وحل مكانها دولة الرؤوس الثلاثة، ومضى العمر ونحن ننتقل من الأحادية إِلى الثنائية إِلى الثلاثية، وربما ذاهبون إِلى التعددية في إدارة البلاد.

الدَّولة الفاشلة تطلق النار على نفسها، تقتل شعبها، نتيجة الفساد والهدر والسرقة، نتيجة السمسرة والجهل، نتيجة الإهمال، والأهم نتيجة فشل ٣٠ سنة نظام طائفي فاسد؛ نعم لتغيير النظام اللُّبنانيّ ليكون نقطة الانطلاق من جديد، لا وطن ولا دولة تحكم بثلاثة رؤوس، نظام بثلاثة رؤوس و١٨ مذهبًا لا يمكن أن يبني دولة، ومن المؤكد أننا بحاجة إِلى نظام جديد يحترم المواطن وحقوقه وينصف الجميع، ومن الضروري أَيضًا لتحقيق أهداف ومشاريع مفيدة للمواطنين اللُّبنانيّين أن يتم خلق فريق واحد متجانس متكامل لينفّذ المشاريع، وعلى هذا الأساس يحاسبهم الشَّعب.

بين صلاحيات الرئيس، ودولة بثلاثة رؤساء

ما يسمى «باتفاق الطائف» المشؤوم لا يمنح الفرصة لبناء دولة، كما كانت قصة الطائف تركيبة وخدعة، ولا أدري كيف دخلت فيها الأطراف المتنازعة! وما هي الأثمان الَّتي قبضوها! «لأن الموجود عالورق غير الموجود في الجغرافيا»؛ وهكذا تم شطب معظم صلاحيات رئيس الجمهورية وخلق تنين بثلاثة رؤوس. ورأس الدَّولة أي رئيس الجمهورية هو الأضعف بينها.

من ناحية الصلاحيات الدستورية، وفي الأخير، أرى الحلول بحسب رأيي الشخصي بالدَّولة العلمانية بالكامل الَّتي تراعي الخصوصية اللُّبنانيّة مع نظام رئاسي يعتمد المداورة بين الطوائف، وفريق عمل يحكم البلد، وليس ثلاثة رؤوس متناحرة.

بين اعتذار العاقل، وتفلسف الأحمق كفى.

لا بد للإنسان العاقل والمثقف أن يكون له دور في رفض ما يرى أنه خطأ، وفي تأييد ما يرى أنه صالح للمجتمع، ويا ليت حكامنا سمعوا للعقلاء حين تكلموا في شؤون الوطن أو انتقدوا ممارسات وسخاء مسؤول مالي رفيع المستوى في هندسات مالية فاشلة، أو أنهم تنبهوا لخطأ هنا أو هناك بدل صم آذانهم لسنوات، وفي الحياة فإن عدم الاستماع إلى صوت عاقل اليوم سوف يتبعه فعل أحمق غدًا، ولو أن الإصلاحيين في التاريخ الَّذين نادوا منذ مئات السنين بفكرة «المستبد العادل» عادوا اليوم إلى الحياة لقالوا» فهمتونا خطأ، كنا نقصد «المستبد العاقل»، وإذا كان العطار لا يصلح ما أفسد الدهر، وإذا كان الانهيار المالي والاقتصادي في لبنان قد حصل في حاكمية «مستبد متهور»، فهل هناك أمل في تصحيح الوضع ووقف الانهيار بوصول «مستبد عاقل»؟

ورغم تغير القناعات من وقت لآخر، فإنَّنا قد نرى رأيًا صائبًا في مرحلة من العمر، ونعود نراه خطأً في مرحلة أخرى، ولا سِيَّما مع مرور العمر، وأكبر خطأ يقع فيه المواطن العاقل هو اعتقاده أن جميع حكامه طيبون مثله، على أن مواقفي الثابتة في رفض الواقع الأليم والمعاكسة في رفض الخنوع، وعدم قبول الواقع الأليم ولو بالكتابة كأضعف الإيمان؛ لأن كل ما أملكه هو قلم فقط، فلا سلطة مؤثرة عندي للتغيير؛ فعندما أفكر بسلطة العقل من موقعي وفق قناعاتي الوطنية الثابتة أرى أن صلة الرابط بين الأحمق والعاقل قد تكون شعرة أكثر رقة من شعرة «معاوية «، وسحبها بالقوة تميل الكفة من جهة إلى أخرى، وحينها يبدأ الإصلاح.

عمليًّا نحن نعيش اليوم «عقل القطيع» المطيع في مواقفه وقدرته السريعة

عـلى النسـيان والتنـاسي والتأقلـم بـكل مـا يقـدم لنـا، وهـذا خطـأ، فرغـم أن موقـع الذئـب هـو أعـلى النبـع، فهـو يسـتمر بالادعـاء أن الحمـل هـو مـن عكـر صفـاء المـاء، وعليـه أن يعاقـب؛ فـلا أنـا مـع الحمـل في ضعفـه ومواقفـه المتصلـة بالسَّـلبيّة الطوعيـة، ولا أنـا مـع الذئـب في ظلمـه وزوره واسـتبداده السـلطوي، لـذا أدعـو رجـال الكنيسـة إِلى التوقـف عـن مباركـة اسـتبداد الذئـب وإنصـاف الحمـل ولـو مـرة واحـدة، «والحمـل هنـا هـو المواطـن المسـكين»، وإِلى تمثيـل الحـق العـادل الَّـذي يحكمنـا جميعًـا ليـس في نوايانـا المبيتـة فقـط، وإنـما في أعمالنـا، وإِلى التفريـق بـين الأحمـق والعاقـل في السـلطة، وكفـى تملُّقًـا لمصالـح شـخصيَّة، ومنافـع ماليـة خاصَّـة؛ «وإن كُنـتُ قـد ظلمـتُ أحـدًا بـشيءٍ، فـإنّي أَرُدُّ لـهُ أربعـةَ أضعـاف». إنجيـل لوقـا (١٠؛١٩).

بين كبر المِساحات وكبر العقول، أفريقيا عِبرة.

ليس مهمًّا كيف يبدو حجم القارة الأفريقيَّة على الخريطة، بل الأهم كيف يبدو حال أهلها على أرض الواقع! معظم سكانها الأصليين هم تحت خط الفقر ينهشهم المرض والجوع والجهل. وكأن هذه القارة لا تملك شَيْئًا، ويبدو أن العبرة ليست في عدد السكان والمِساحات الشاسعة، بل في نوعية القيادة والشَّعب، وغالبًا ما يكون ملوك الدول الفقيرة ورؤساؤها أغنى من ملوك الدول الغنية ورؤسائها، ولا أدري صِحَّة المقولة أنه: كلما ضاق المكان، استطاع العقل أن يمتلك قدرة على التفكير أكثر بعشَرة أضعاف، وأن المخترعين كانوا يعيشون غالبًا في أماكن صغيرة وضيقة.

وإذا كان بعضهم يرى أن سبب تخلف هذه القارة هو الاستعمار الخارجي الَّذي يتقاسم الكعكة ويوزّعها غربًا، فيما حكامها بمعظمهم عملاء، فكيف لهذه البلدان أن تزدهر وتتقدم معها شعوبها؟ والملاحظ أن مشكلة هذه القارة أنها تحولت إلى منتج أوّل في العالم لليد العاملة الرخيصة لخدمة الدول المتقدمة، وقد حولها الغرب إلى أسواق لمنتوجاته، ولكن هل تتخيل عزيزي القارئ، أن ميزانية أفريقيا كلها تعادل ميزانية شركة واحدة في ألمانيا أو الولايات المتحدة الأميركية، وهكذا فإن قيمة الدول لا تقاس بالحجم أو بالمِساحات، لكن بما تنتج وتصنع.

وإذا كانوا قد أطلقوا على أفريقيا ألقابًا مثل القارة الغنية الفقيرة، أو القارة المستباحة، والأصح أن هذه القارة هي مستعمرة تسرق وتنهب ثرواتها ممن يدعون الحرية والحقوق منذ عقود، وإليكم بعض المعلومات عن القارة السوداء الَّتي تبلغ مِساحتها ٣٠ مليون كلم٢، وهي أكبر من أوروبا والصين والولايات المتحدة الأمريكية مجتمعة؛ ولديها ٦٠٪ أراضٍ صالحة للزراعة، كما تملك ٩٠٪

مـن احتياطـي المـوادّ الخـام، لديهـا احتياطـي ذهـب بنسـبة ٤٠٪ ؛ كـما تمتلـك ٣٣٪ مـن المـاس، ويبلـغ عـدد سـكانها ١,٣ مليـار نسـمة. والسـؤال: مـن يـدري، هـل تصبـح تسـمية «الولايـات المتحـدة الأفريقيَّـة» هـي الاسـم الجديـد للولايـات المتحـدة الأميركيـة بعـد تشـتت غالبيـة سـكان القـارة الأفريقيَّـة في كل أرجـاء أمـيركا؟

بين السياسة والدبلوماسية، دهاليز.

ترتبط السياسة غالبًا بالأحزاب السِّياسيّة، أما الدبلوماسية فإنها ترعى أنشطة الدول فيما بينها ونيابة عنها، وفيما ترسم الدول العظمى سياساتها الخارجية تبعًا للمصالح الاقتصاديَّة، وتخلق لذلك ما يعرف بالسياسة الماليَّة والسياسة النقدية للبلاد، وفيما السياسة الماليَّة تنحصر بالإنفاق الحكومي وجمع الإيرادات، عندما يكون الطلب منخفضًا في الاقتصاد، ما يُمكّن الحكومة من التدخل وزيادة إنفاقها لتحفيز الطلب، أو يمكن أن تخفض الضرائب لزيادة الدخل المتاح للأشخاص والشركات.

وغالبًا ما تكون السياسة النقدية للبلاد في قفص الاتهام، كما حصل في لبنان مثلًا، حيث انهارت الليرة اللُّبنانيّة ١٠٠ مرَّة منذ الاستقلال حتى اليوم، منها ٢٠ مرة خلال السنوات الثلاث الأخيرة، فيما الدينار الجزائري خسر من قيمته أكثر من ٨٥٠ مرة منذ استقلال الدَّولة أَيضًا، وفيما يرى كثيرون من أهل الاختصاص أن السياسة الماليَّة المتّبعة في لبنان قد أدّت إِلى تشوّهات في الاقتصاد اللُّبنانيّ، وإِلى ارتفاع كبير في الدين العام الَّذي أصبح مشكلة بنيويّة تُكبّل قدرات الدَّولة وتحدّ من إنتاجيّة الاقتصاد اللُّبنانيّ وتنافسيّته، فإن النظام الضريبي الحالي يخدم الاقتصاد الريعي ولا يُحفِّز الاقتصاد المنتج الخالق لفرص عمل مستدامة، وعليه فإن إصلاح السياسة الماليَّة هو من أولويات الحكومات القادمة حتمًا.

تشير السياسة الخارجية أساسًا إِلى المواقف والإستراتيجيات الَّتي تعتمدها الدَّولة بقصد تعزيز مصلحتها الوطنية، والَّتي يمكن أن تختلف من بلد إِلى آخر، ويمكن رؤية سياسة الولايات المتحدة الأميركية الَّتي تبدلت بعد الحرب العالمية الثانية، مثالًا جيِّدًا؛ فبعد أن كانت تعتمد العزلة وعدم التورط في قضايا الساحة

الدَّوليَّة في سياستها الخارجية تبدَّل هذا الموقف، حيث أصبحت أكثر انخراطًا في الشؤون العالمية، ربما بسبب ظهور الشيوعية وما تبعها وصولًا إلى التنين الصيني.

على أن أهمِّيَّة الدبلوماسية في تطور العَلاقات الدَّوليَّة كبيرة للغاية، حيث إنها الرابط الرئيسي بين الدول، كما أنها الوسيلة الأولى للتواصل بين الدول بعضها ببعض، ومتابعة مدى إحكام الاتفاقيات وتنفيذها، كما أنها تدعم بشكل كامل التبادل الثقافي والسِّياسيّ والتجاري بين الدول، وهناك العديد من المهام الَّتي تقوم بها البعثات الدبلوماسية، مثل المفاوضات بينها وبين الدَّولة المضيفة، وحماية الرعايا على أراضيها مع حماية المصالح الخاصَّة بالدَّولة الموفدة، ومتابعة مدى الالتزام بكل ما اتفقت عليه الدولتان، وتوطيد العَلاقات الدَّوليَّة وخاصَّة السِّياسيّة والاقتصاديَّة، ومن حقي كمواطن أن أسأل: هل ينحصر عمل السفارات المعتمدة في لبنان بالدبلوماسية فقط أم أنها تتعاطى السياسة، بل أكثر من ذلك؟

بين شعوب مظلومة، وقساوة حكام الأرض، وعدالة السماء.

تتحول الدول الفقيرة والمناطق المستضعفة حول العالم إلى ما يشبه المقابر الجماعية لشعوبها، وستظل على حالها ما دام حكامها ينهبون خيراتها ويبنون القصور ويضخون الأموال في البنوك الأجنبيَّة، ويبيعون أوطانهم للغرب مقابل الاستمرار في الحكم، وهكذا فإن شمس العدالة لن تشرق على هذه الدول، وستبقى على حالها حتى يرث الله الأرض. وفيما الغرب يرى أن الديمقراطية لا تفيد الشعوب القاطنة في هذه الدول المصنفة عالميًّا بدول العالم الثالث أو الدول المتخلفة؛ لأن الشَّعب سوف ينتخب بائع الحلوى، ويترك نصائح طبيب مرض السكري؛ لأنه يمنعه من تناول الحلوى، كما أن هذه الشعوب بعيدة كل البعد من الثقافة والعلم والمعرفة بنظر المايسترو العالمي الَّذي يصنفنا أَيضًا من مواطني هذه الفئة من الدول حتى تهجرها الكفاءات وتلهث وراء وطن وأرض جديدة .

لكن في الواقع أن شعوب دول العالم الثالث ليست بمعظمها كما توصف، ولا أرغب بالتعميم، لكنها أَيضًا شعوب تمتلك كفاءات عالية ولديها القدرة على التقدم الفكري والحضارة والازدهار والثقافة والعلم، وهم يحبون الحياة، كل ذنبهم أنهم فقراء الحال لا أكثر، لذلك يتركون بمعظمهم دولهم، ويهاجرون بحثًا عن المال والكرامة اللذين فقدوهما في موطنهم الأصلي؛ من هنا ضرورة أن يدرك المسؤولون معنى «الإنسان قبل البنيان»، وأن التنمية البشرية شرط كل تنمية، وبها يتم استثمار الطاقات العالية الَّتي يتمتع بها الفرد العربي الَّذي ما زال يعاني الإهمال والتهميش، وحاله كما وصفه الكواكبي: «خاملًا فاسدًا ضائع القصد، حائرًا لا يدري كيف يميت ساعاته وأوقاته»!

بين شعوب مظلومة، وقساوة حكام الأرض، وعدالة السماء.

على أن البحث في هذا الموضوع بالذات جعلني أسترجع كلامًا للرئيس الأميركي الأسبق رونالد ريغان، قال فيه: «إن أفضل العقول ليست في الحكومة، فلو كان الأمر كذلك لكانت الشركات قد استقطبتهم للعمل فيها»، لذلك فإن المضي بالبلاد نحو الحضارة هي مصلحة لكل مواطن فيما لو عاش مطمئنًا على حريته وصحته ومستقبل أبنائه، ولكن هل فات الأوان وصار الاتجاه نحو المجهول حتميًّا؟ سؤال سيظلّ يدور في أذهاننا ونحن نراقب معظم هذه الأنظمة وهي تعيد إنتاج نفسها دون تغيير إيجابيّ يذكر، ولن نستطيع التخفي خلف إصبعنا والاعتقاد أننا فاشلون، فبعد خروجنا الحتمي من كل مصيبة أو مأزق جديد تعيشه هذه البلاد فإنَّنا نستحق أن نعيش ونبني بلادنا ونستمر في هذه الأرض الَّتي وهبنا إياها الله أمانة غالية لحين استرجاع أمانته.

بين بناية النكاية في المنارة والضغينة بين الإخوة.

تقول القصة: إنه عندما توفي والدهما قام الولدان بتقاسم الأرض بشكل متساوٍ، وفي أحد الأيَّام أتى تخطيط الدَّولة في إنشاء طريق فأخذت معظم أرض الابن الأصغر ولم يتبقَ من أرضه سوى مِساحة رصيف صغيرة جدًّا لا يتعدى ٦٠ سم ونهايتها ٤ أمتارٍ (مثلثة الشكل)؛ ويقال: إن هناك مشاكل اندلعت بين الإخوة، فقام الأخ الأصغر ببناء البناية (نكاية) بأخيه ليقطع عليه المنظر الَّذي يطل على البحر.

على الرغم من أن المبنى هو أحد أشهر المباني في لبنان، فإن كثيرين يجهلون بعض أبرز المعلومات إثارة حول بناية النكاية أو الضغينة أو «الشختورة»، وهو أنحف مبنى في بيروت، فخلف واجهة وهمية ضخمة تخدع ناظرها يقع أضيق مبنى في العاصمة اللُّبنانيّة، ومن المعلومات الَّتي لا يعرفها كثيرون أن المنزل صالح للسكن، وفيه العديد من الغرف، ومع ذلك فهو يمتاز بنوافذه الضخمة المعرضة لأشعة الشمس وإطلالة البحر الرائع، وكما كان تأسيس المبنى موصومًا بالضغينة والنكاية، رافقته السّمعة السَّيِّئة، ولا سِيَّما مع استخدام إحدى شققه «كَبَيت للدعارة» إبَّان الحرب اللُّبنانيّة، وفي تناقض آخر يكتنفه، استخدمت شقة أخرى في المدَّة نفسها لإيواء لاجئين مشردين.

والمبنى الشهير أسَّسه المهندس المعماري اللُّبنانيّ صلاح الدين عيتاني وشقيقه فوزي عام ١٩٥٤ على مِساحة ١٢٠ مترًا مربعًا، وفيما تحالف شقيقان لتصميم وبناء هذه التحفة المعمارية الفريدة، كان غرض صاحبه الوحيد منه حجب واجهة البحر عن شقيقه الَّذي يقع مبناه خلف هذا «البناء الحائط» مباشرةً إثر خلاف على الإرث، حسبما يُشاع، وهناك أمثلة عديدة عن المنازل الَّتي

بين بناية النكاية في المنارة والضغينة بين الإخوة.

تبنى دون موافقة الإخوة عليها، يبلغ ارتفاع المبنى ١٤ مترًا، وعرضه من أربعة أمتار في أوسع نقطة منه إلى ٦٠ سنتيمترًا في أضيق نقطة، ولكنه يبدو من الأمام بناء كاملًا، يعود ذلك لوجود الشرفات والنوافذ الَّتي توحي بأن وراءها غرفًا فسيحة؛ وقد تتساءل إذا نظرت إلى المنزل من الجانب الهندسي عن سبب بناء هذا الجدار الضخم، بالرغم من عدم وجود شيء خلفه، إلا أن هذا هو السبب الرئيس وراءه، وهو الضغينة بين الإخوة.

بين سلامة القلب وسلامة العقل، سلامة فهمك.

يبدو لي أن أقصر طريق إلى الله هو سلامة القلب وحسن الظن بالآخرين، وربما يكون الوصول إلى قلب الله أسهل مما نعتقد بكثير، إذا تخطينا الخوف الَّذي يعدّ سببًا أساسيًّا لفقدان الإنسان للسلام الداخلي؛ فالخائف يتصور أمورًا ومتاعب ومخاطر لا وجود لها، خاصَّة وهو يسعى لفرض إرادته على الآخرين، وربما على إرادة الله نفسه، والملاحظ أن الإنسان يتضايق عندما لا تسير الأمور بحسب رغبته، وإن لم يحدث له ما يريد نجده يفقد السلام الداخلي وصفاء القلب، رغم أن عليه أن يعرف أن ليس كل ما يطلبه يتحقق، وربما يكون عدم تحقيقه هو لمصلحته، وهي إرادة الله بالطبع .

ومن سلامة القلب إلى سلامة العقل الَّذي يفقد الإنسان سلامه الداخلي أَيضًا عند تعقبه ومتابعته لما يراه أخطاء من النَّاس، حتى لو لم تكن هذه الأخطاء موجهة إليه، فهو ربما يرى نفسه مرشدًا اجتماعيًا أو «قصة كبيرة بالفهم»، يريد أن يعيش النَّاس حسب مشيئته، وحسب ما يراه هو مناسبًا لمشيئته ومشيئة مشغليه من غسل لعقول النَّاس بأيدلوجية غريبة عن مجتمعهم وإلا يتضايق؛ وتكبر القصة وصولًا إلى التخوين وإخضاع الآخرين لاختبار في الوطنية.

ومن سلامة العقل إلى سلامة الفهم عند أهل القرار في بلادنا، نسأل الله أن يريحنا من الظلم اللاحق بشعب لبنان الَّذي أفقده سلامه الداخلي، وجعله يضطرب بسبب التفكير فيما ينقصه، وفقد معه القناعة، وهي الطريق الوحيد الَّذي يوصله إلى السلام الَّذي يضيع كل يوم، ربما بسبب الخطيئة أو بسبب الخوف من نتائجها، ولا علاج إلَّا بالتوبة وانسحاق القلب، وربما فقدنا سلامنا الداخلي أَيضًا بسبب رغبتنا في حلول سريعة ولو مؤقتة؛ فالمهم عندنا هو الوصول إلى بر الأمان مهما كان ذلك مكلفًا، وإن تأخر الأمر تجدنا نضطرب، بينما المطلوب هو القليل من الصبر والكثير من الإيمان، وربما انتظار الوقت لكي نصل إلى الحل بلا قلق؛ فالمسألة اليوم هي مسألة وقت، ونحن في آخر النفق المظلم، والخلاص قادم لا محالة .

بين الوجع في التخلي والعلاج المكلف.

«في التخلي تجلٍّ»، كما يقولون، وكلما تخلينا في الحياة عن أحلام وأشخاص، وعَلاقات متعبة، تجلت لنا حياة هادئة مُلهمة تناسب وعيَنا الحالي، فإذا لم نتخلَ عن عاداتنا الموروثة وبعض التقاليد البالية، وقررنا بعناد الاستمرار في عيش الروتين القاتل من حياتنا إرضاء للمجتمع، فإنَّنا نكون قد حكمنا على روحنا بالفناء لإسعاد الآخرين، وتلبية مئات الدعوات والواجبات الاجتماعيَّة المرهقة الَّتي لا ترحم روادها؛ صدقوني تخلصوا من هذه العادات والعَلاقات الَّتي تشبه الأشغال الشاقة، وتحرروا من الإدمان عليها، على أن رحلة التعافي من التعلق بها قد لا تستغرق إلا القليل من الوقت، وكلما أردت التراجع عن قرارك بالتخلي عنها تذكر حقك في الحياة، كما تشاء أنت وليس كمًا يشاء غيرك، واشغل وقتك بما ينفعك، واملأ جدولك بالجديد والمفيد، ولا تحزن مهما كانت الخسائر في عُمرك، ومهما فاتتك أشياء تحبّها، ومهما طال انتظار الأماني، ومهما كانت ظروفك صعبة، ولا تدع إيمانك بالله يهتزّ؛ لأنه وحده الَّذي يعطيك القوة والرجاء.

أعجبني قول جميل Needing nothing، attracts everything لا يحتاج إلى شيء، يجذب كل شيء، «وهذا يعني أنه عندما تأتي من مكان لا تحتاج فيه إلى أي شيء، ولا تبحث عن شيء خارج نفسك لتكون سعيدًا، فإنك تفتح مِساحة لمزيد من الأشياء المدهشة لدخول حياتك، وإذا لم تأت «الأشياء» فلا بأس، فأنت لست بحاجة إليها؛ فالسعادة الحقيقية لا توجد دائمًا في المال والممتلكات، بل هي موجودة أَيضًا في داخلنا، وهي حالة عقلية، وعلينا التعلم جيِّدًا أن كل ما نحتاجه هو موجود بداخلنا بالفعل، وهناك أمثلة لا حصر لها لأشخاص يبدو لنا أنهم يمتلكون كل شيء من الناحية المادِّيَّة، لكنهم فارغون من

الداخل، والاستغناء عنهم صار عندي فعل أمر داخلي صادر عن العقل ويجب الاستمرار به، فليست الأشياء أبدًا بزيادة الأصدقاء ونقصانها، بل بالراحة، ولن يكملنا الآخرون أبدًا؛ فالسعادة هي أعلى مستويات النجاح.

في الأخير، وجدت أن التخلي عن الأشياء المؤلمة هو أمر جيد، ويجب عدم الرضوخ والاهتمام لرغبة القلب في بقائها، على أن وضع مسافة آمنة بيني وبين الآخرين هو أمر جيد أَيضًا، وأن اكون شديد الحذر في العَلاقات القائمة، بعدما كنت لا أجيد ذلك، وأراه مخالفًا لقواعد الآداب في المجتمع، إلى أن اتخذت القرار بإفراغ بعض الحمولة الزائدة الَّتي أرهقتني طويلًا، ومن خلال هذه المقالة أتقدم بالاعتذار من بعض أصدقائي الَّذين سوف أضطر مرغمًا إلى الابتعاد من الأجواء الرومنسية الَّتي يعيشونها، وصولًا إِلى أجواء الصخب اليومية؛ لأنه «لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها».

بين الحياة مع الحاقدين والمفلسين وعواجيز الفرح.

فيما تستمر الأزمة الماليَّة والأخلاقيّة الَّتي تضرب لبنان، بات الوضع صعبًا جِدًّا، وهو بأمسِّ الحاجة إِلى رؤية واضحة لكل مشاكله وموارده ومكامن الهدر، وإِلى خطط تنمية شاملة تشمل الحجر والبشر معًا، تبدأ باختيار شباب مثقف قادر على الإنقاذ عبر أفكار سليمة لقيادة البلد نحو بر الأمان، وانتشاله من بين أيدي عواجيز الإعلام المأجورة والأبواق المرتشية الَّتي تضرب سمعة البلد، وتحطم معنويات شبابه، وتدفعهم إِلى الهجرة .

منذ زمن طويل وأنا أعمل في الصناعة بعيدًا من معشر الأشخاص المتذمرين المفلسين الحاقدين الخاسرين الَّذين لم يحققوا أي تغيير في حياتهم المهنية، ولا يزالون يعيشون في الماضي، حجتهم دائمًا أقبح من ذنبهم، لديهم اعتراض دائم على كل حل، كيف لا؟ وهم يملكون أفكارا وحلولًا «غب الطلب» لمشاكل الصناعة والتجارة والزراعة والاقتصاد المحلي والعالمي حتى في تغيير النظام السِّياسيّ في لبنان وحلول عديدة لتأمين رفاهية المواطن اللُّبنانيّ وصولًا إِلى المشاكل الكبرى، وتحليل أسباب تفكك الاتحاد السوفياتي وتقسيم قبرص وصولًا إِلى حرب كاراباخ والحرب الأوكرانيّة الروسية وانتهاء بمستقبل العالم في ظل بروز قوى عظمى تسعى لتقاسم النفوذ في العالم مع المايسترو الحالي.

«عواجيز الفرح» هو تعبير يطلق على جمع من النِّساء العجائز والرجال الكهول أو الشيوخ الَّذين ما إن اجتمعوا في الأفراح حتى يبدعون في تأليب وتأنيب وانتقاد العروس والعريس وأهل هؤلاء وأولئك، حتى «المعازيم» لا يسلمون من الرشقات الكلامية، وقد تذكرت هذا المصطلح فيما كنت أطالع بين الحياة مع الحاقدين والمفلسين وعواجيز الفرح.

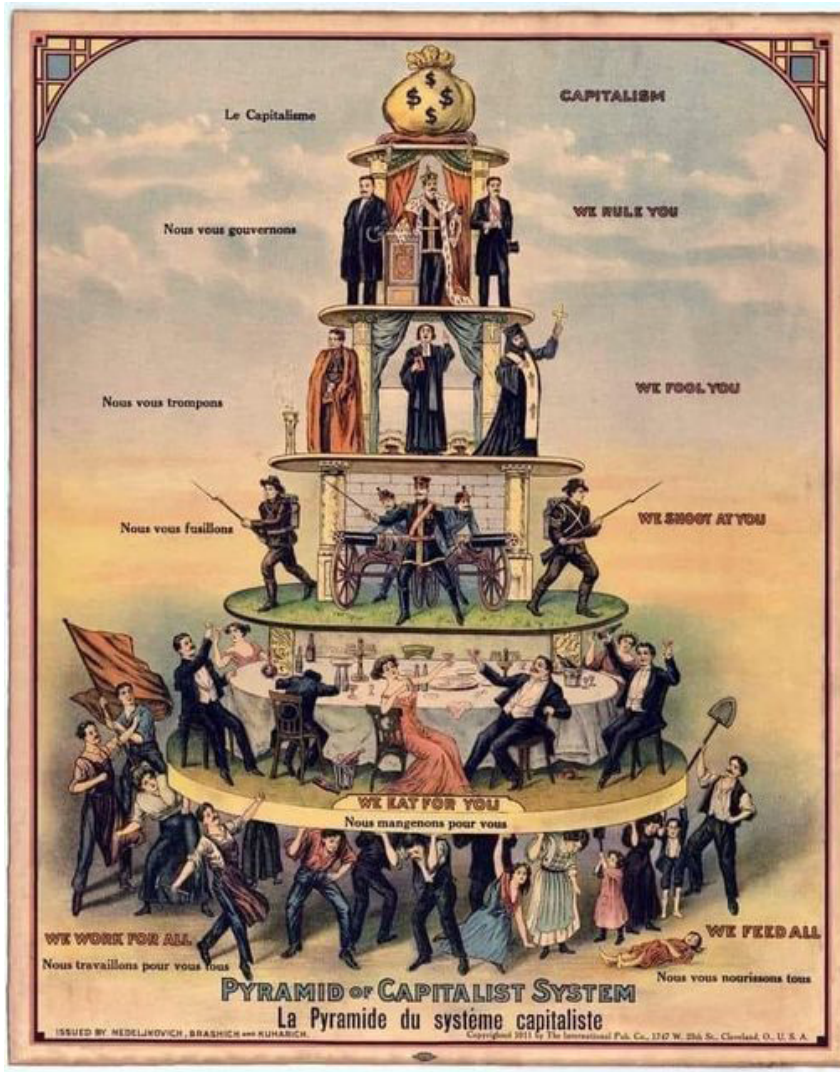

(لوحة تختصر التاريخ، رسمها الرسام الروسي «نيكولاس لوكهوف» عام ١٩٠١، وسمَّاها «الهرم الاجتماعي»، يبدو أعلى الهرم طبقة الحكام ثم الكهان ثم طبقة العسكر ثم النبلاء والشَّعب).

بين طريق الحقّ والحياة، وطريق الخطيئة والموت، لا طريق ثالث.

في التاريخ أدخل آدم الخطيئة إِلى العالم، وكان الموت نتيجة للخطيئة (رومية ٥: ١٢، ١كورنثوس ١٥: ٢١) . وهذه حقيقة في الكتاب المقدس؛ لأن «أُجرة الخطيئة هي الموت» (رومية ٦: ٢٣)، وكان من الضروري أن يموت المسيح على الصليب ثمنًا لخطايا العالم، ورغم أن المسيح دفع ثمن خطايا البشر فإن الديانة المسيحية قد تركت الخِيار الحرّ للمسيحيين بين طريقين: طريق الحقّ والحياة، وطريق الخطيئة والموت، وإِلى تحمّل نتائج خِياراتهم، وبالتأكيد لم يكن هناك طريق ثالث وثقافة ثالثة مختلفة في الجوهر لا يمكن أن تلتقي أبدًا مع كلام المسيح الَّذي أراد ان يكون الحب هو أقرب طريق إِلى الله، فلماذا يختار بعضهم طريق التكفير والترهيب والكراهية؟

لا يوجد في الحياة إنسان لا يريد تحقيق أي شيء في حياته، فكل البشر يحاولون الحصول على ما يبتغونه، لكن ليس جميعهم يعرفون كيف يفعلون ذلك! فهناك من يكرر محاولاته ويستنفذ طاقاته ويمتص حماسه دون تحقيق ما يصبو له ويطمح إِلى بلوغه، وقد يكون الخلل في الطريق المتبع في ذلك، لذا السؤال هنا بكل بساطة: كيف نتعامل مع تحديات الحياة ومصاعبها المستمرة؟ وما هو الطريق المناسب الَّذي يجب أن نسلكه لكسب أكبر قدر من النجاحات الممكنة دون فقدان التصالح القائم مع ذواتنا ودون خسارة أخلاقنا ومبادئنا الَّتي نعتز بها؟ على أن اختيار طريق الحق والحياة هو الطريق الأنسب للوصول إِلى إرضاء الله، رغم الألم الَّذي تواجهه النَّفس البشرية لتحقيق ذلك .

وهكذا أرى في رسالة القديس بولس إِلى أهل رومية: «بعد أن أُعتقتُم من الخطيئة صرتم عبيدًا للبِر»، ما معناه أن الإنسان قد أعتق من عبوديته للخطيئة

الَّتي كان فيها، وصار عبدًا للبِر الَّذي أخذه بالمعمودية، كما يتابع بولس الرسول: إن العبودية للخطيئة هي «عبادة الإثم للإثم»، بمعنى أن الإثم الَّذي هو ذروة الخطيئة يولد الإثم، ويعود ليؤكد أن العبودية للبر هي للقداسة الَّتي هي تنزّه عن كل معصية وتوغل في حياة المسيح، وحتى لا يفهم أحد أنه من الممكن أن يخلط بين الخطيئة والبِر، بحيث يأخذ من هذا ومن تلك، يعود بولس ليؤكد: أن عبيد الخطيئة هم أحرار من البِر، إذ إن النور والظلمة لا يجتمعان .

بين النِّساء والحريم في المجتمعات العربية.

المرأة مخلوق عظيم، وهي ليست نصف المجتمع، بل المجتمع كله، مع أنها تعشق النكد، وفي دراسة أجراها باحث ألماني على أن الأأنثى العربية تسعى لتقليد المرأة الأوروبية في تصرفات النِّساء، تمامًا كما أن بعض الرجال يشبهون الذكور في تصرفات الأولاد، وعليه فالفرق بين النِّساء والحريم هو نفسه الفرق بين الذكور والرجال، وتعريف الذكر هو شخص يحمل الصفات الفسيولجية الذكرية، وغالبًا ما يكون له شارب ولحية يشبه الرجال في الشكل ويختلف عنهم في الصفات وإدراكه معنى الحياة والشجاعة، ويهتم كثيرًا بمعنى الرجولة، وليس كل النِّساء حريمًا، وليس كل الحريم نساءً أَيضًا، حتَّى إنَّه هناك ذكور تجدهم أسوأ من الحريم، ويبدو أن الفرق كبير بين النِّساء اللواتي يحملن صفات الجمال الروحي والفكري والجسدي، وبين الحريم اللواتي لا تتعدى اهتماماتهن أبواب مطابخهن، ولا يحملن في الغالب صفات الهدوء والأدب والكرم والتعقل واحترام رأي الآخر والحكمة وسرعة البديهة في كل مراحلها العمرية الَّتي تعيشها.

وهكذا وجد الباحثون أنه إذا لم تتمتع المرأة بهذه المواصفات فهي من صنف الحريم الغافلات تمامًا عن كل ما هو حولهن، اللواتي تمر أيام طويلة دون أن يستخدمن حواسّهن وجوارحهن لتجديد وترميم عَلاقتهن بأزواجهن، هذا إذا لم تتحول العَلاقة بين الحرمة وبين زوجها إلى بائع ومشترٍ، «وعلى قدر ما تدفع تأخذ»، حيث تقوم بإعداد الطعام له، وكأنه «كلب حراسة» يلقى أمامه بالطعام دون أي لمسة ذوق أو احترام لشخصه الَّذي له الحق في أن يحصل على رعاية خاصَّة، مهما كانت طباعه جافة، ومهما كان متقشفًا في إنفاق مشاعره تجاه الزوجة، وصدقت أمي رحمها الله حين قالت: «الكلمة الحلوة تلين العود اليابس، يا ابني».

حريم اليوم يشبهن حريم الأمس، ينفقن ساعات طويلة في التنظيف، وليس لديهن استراتيجية للحفاظ على هذه النظافة مدة كافية؛ لأنهن لا يمارسن عملًا آخر غير تكرار ما حدث في اليوم الأوَّل، يعتقدن أن التربية عصا، والعَلاقة

الزَّوجيّـة إصبـع «أحمـر شـفاه»، يمضـين بـلا أهـداف، ويرحلـن مـن دون أثـر، ولا إنجـازات، ويتعاملـن مـع الـزوج مثـل credit card ، ولهـذا يسـتنزفن ميزانيتـه حفاظًـا عـلى عروشـهن مـن أن تزلزلهـا نسـاء أخريـات.

والكتـاب المقـدس يخبرنـا عـن نسـاء صالحـات مثـل الملكـة أسـتير، النبيـة دبـورة وأبيجايـل، كـما يتحـدث عـن نسـاء سـيئات مثـل حـواء، زوجـة لـوط والملكـة إيزابيـل. وقـد فـرض الكتـاب إكـرامَ الأم (أمثـال ١ : ٨)، وقـد امْتُدِحَـت المـرأة المقتـدرة، وأُثْنِـيَ عليهـا ثنـاءً عاطـرًا (أمثـال ٣١:١٠)، وقـد أفسـح الكتـاب المقـدس صفحاتـه لذكـر النِّسـاء الشريفـات بقصـد تكريمهـن، مثـل العـذراء مريـم المباركـة بـين النِّسـاء والمنعـم عليهـا، وهـي مثَـل أعـلى للأمهـات وللنِّسـاء قاطبـة (لـو ٢ : ٢٧، ٣٣، ٤١، ٤٨؛ ٣: ٢٣).

بين الكِيان اللُّبنانيّ والعروبة والعيش الكريم.

لم يعد هناك تعارض بين نهائية الكِيان والعروبة، ومن وجهة نظر البطريرك بشارة الراعي المحقة طبعًا حين يقول: «ليتذكر الجميع أن رئاسة الجمهورية هي ركيزة نشوء الكِيان اللُّبنانيّ»؛ وحسب رأيي الشخصي، فإنه لو تم إدخال مادَّة تعليمية بعنوان «سرمدية الكِيان اللُّبنانيّ» في المناهج المدرسية، تمامًا كما كتبها فؤاد إفرام البستاني وغيره من كبار لبنان في الوطنية، ربما كان لدينا اليوم جيل يحافظ على الكِيان اللُّبنانيّ بعيدًا من الطائفية والعروبة والصمود والتصدّي وغيرها من الشعارات الفضفاضة، ويكون شعارنا واحد: «لبنان أولًا وآخرًا».

ماذا برأيكم، تغيرت أم انكشفت رجالات لبنان في خطاباتهم؟ وها هم أمامكم بعد اعتلاء المَناصب ليس كما قبلها، وبغض النظر عن الدين والمروءة والعروبة «وقرابة المال» بين أهل السلطة، لا أدري كيف «يطيق الواحد منهم أن ينظر لوجهه في المرآة!»، فيما هو يسوِّغ جرائم اغتصاب المصارف لجنى عمر النَّاس المقيمين والمغتربين، ولا أدري كيف لم تمنعهم أخلاقهم على الأقل من منع ذلك! ومهما يكن، فإنهم يومًا ما، وربما بات قريبًا جِدًّا هذا اليوم، سوف يرحلون ويبقى لبنان بخِياراته الوطنية بوحدته وعروبته والعيش المشترك والشراكة الوطنية.

من هنا أرى أن محاربة «عروبة لبنان» والعيش المشترك لم تنجح، ولا خِيار للبنان إلا بعروبته العابرة للطوائف، وأن التعاطي الغبي من بعض الوزراء جلب الويلات لكل القطاعات الإنتاجية في لبنان من زراعة وصناعة وسياحة واستثمارات؛ وعليه، فإن التقاء جميع التَّيَّارات اللُّبنانيّة حول مبادئ الاعتدال والعيش الكريم وكرامة المواطن وحريته، وضمان حقه في الحياة الكريمة وتحصيل العلم والثقافة، والانتقال إلى لامركزية إداريَّة موسعة تجمع الجميع تحت كنفها،

«يغنِّي كلُّ على ليلاه في مدنه وقراه»، وننهض بلبنان الوطن والسيادة والحرية والاستقلال والعيش المشترك، لبنان الرسالة وليس لبنان الطائفة والطائفية، وطن العروبة والأخوة بين أهله ومحيطه العربي .

بين أوروورا الرومانية وأفروديت اليونانية.

أوروورا (Aurora) هي الاسم الروماني للفجر، تظهر أوروورا على شكل امرأة جميلة تطير عبر السماء معلنة وصول الشمس، لها أخ هو سول (الشمس)، وأخت هي لونا (القمر). ولها عدد من الأزواج، وأربعة أبناء، هم: الرياح الأربع الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية. وتقول الروايات الخرافية: إن دموعها هي الَّتي تسبب الندى حالما تطير في السماء باكية أحد أبنائها، الَّذي كان قد قتل، ولا شك في أن أوروورا لم تكن نافذة الذكاء عندما طلبت من زيوس حاكم الآلهة في الميثولوجيا اليونانية أن يوافق على أن يكون واحدًا من أزواجها من الخالدين لكنها نسيت أن تطلب منه أن يدع له الشباب الدائم، ونتيجة لذلك صار زوجها طاعنًا جِدًّا في السّن يزحف زحفًا وأصيب بالخرف، كما أن أوروورا لم تكن مشهورة على نطاق واسع، مع أنّ شكسبير قد ذكرها في مسرحيته الشهيرة روميو وجوليت .

أما أفروديت (Aphrodite) واسمها أفروديتي في الأساطير اليونانية، فهي واحدة من آلهة الأولمب الاثني عشر، وهي ربّة الحب والجمال والنشوة الجنسية، وربة الإخصاب بسائر أنواعه، إخصاب الزرع والحيوانات وربة الحب ومسراته والزواج، مع تسجيل قدرة كبيرة لها على هدم الحب وقتله في قلوب البشر، كما كانت الفتيات غير المتزوجات والأرامل يُصلّينَ لها لكي يحصلن على أزواج، وربة الجمال الَّتي تهب البشر جمال الجسد وفتنته، وسبي العقل، كما أن أفروديت لم تكن إلهة الحب الجنسي فقط كرديفتها الآلهة فينوس، بل هي أَيضًا إلهة الحنان، ولأفروديت العديد من الأسماء الأخرى والألقاب، وتُدعى الآلهة الأم العُظمى.

بين أوروورا الرومانية وأفروديت اليونانية.

جائـزة «أوروورا» يحتفـل بهـا كل سـنة في جمهوريـة أرمينيـا للمواقـف الإنسـانيّة والاجتماعيَّـة والثقافيـة والتكنولوجيـا لأنـاس تركـوا بصمـة ونجاحـات في شـتى المجـالات برعايـة رئيـس الحكومـة الأرمنيَّـة، أمـا جائـزة أفروديـت فقـد تـم إطلاقهـا في لبنـان في العـام٢٠١٨ لضحايـا الرصـاص الطائـش، وفي العـام ٢٠١٩ أطلقـت جائـزة أفروديـت للتوعيـة مـن الرصـاص الطائـش برعايـة رئيـس الحكومـة اللُّبنانيّـة انـذاك، وأعتقـد أنهـا توقفـت بعـد جائحـة كوفيـد ١٩ والانهيـار الاقتصـادي والمـالي في البـلاد .

المصادر: ويكيبيديا، أبحاث في تاريخ الحضارة الرومانية واليونانية .

بين الملك آرداشيس والأميرة ساتينيك والأدب الأرمينيّ.

يـروى أنـه عندمـا كان الملـك آرداشـيس الأوَّل يقـوم ببنـاء مدينـة آرتاشـات عاصمـة لبـلاد الأرمـن نحـو (١٨٩-١٦٠) قبـل الميـلاد تعرضـت بـلاده لغـزوات مـن قبـل قبائـل شركسـية غـزت جورجيـا أَيضًـا، وعـبرت نهـر كـورا متجهـة نحـو أرمينيـا، حشـد الأرمـن حينهـا قـوات كبـيرة لمواجهـة الاجتيـاح لتقـع حرب شرسـة بـين الطرفين هزمـت فيهـا «قبائـل آلان» المهاجمـة، وجـرى أسر ابـن ملكهـم مـن قبـل الأرمـن، حينهـا اضطـر هـؤلاء للتراجـع، وأقامـوا معسـكرًا شـمال نهـر كـورا، ثـم بـدأت المفاوضـات بـين الطرفـين، وقـام ملـك قبائـل الـ آلان بتقديـم العـروض للملـك الأرمنـي لفـك أسر ابنـه، وكان مـن بـين تلـك العـروض كنـوزٌ وأعـمالٌ فنيـة ثمينـة وسـلام أبـدي بـين الأمّتـين، لكـن الملـك الأرمنـي رفـض كل المطالـب، عندهـا جـاءت شـقيقة الأمـير الأسـير الأمـيرة سـاتينيك إِلى ضفـة النهـر، وألقـت بواسـطة المترجمـين خطابًـا تقـول:» أنـا أخاطبـك آرداشـيس الشـجاع، أنـت الَّـذي هزمـت أمـة الـ آلان الشـجاعة، تعـال، وأصـغ إِلى ابنـة الملـك، أعـد الشـاب، فليـس مـن عـادة الأبطـال أن يثـأروا، ولا أن يقتلـوا أبنـاء أبطـال مثلهـم أنـت، وإن فعلـت هـذا صرت عـدوًّا إِلى الأبـد.

وعنـد سـماعه ذلـك نـزل آرداشـيس إِلى ضفـة النهـر لـيرى سـاتينيك الَّتـي أسره جمالهـا، حيـث قـام فـورًا بدعـوة سـمبات أحـد قادتـه العسـكريين، واعـترف لـه رغبتـه برؤيـة سـاتينيك، وأعـرب عـن اسـتعداده لإبـرام معاهـدة سـلام مـع قبائـل الـ آلان، وأمـر القائـد العسـكري بجلـب سـاتينيك إليـه، وهـو مـا قـام بـه القائـد الَّـذي بعـث برسـالة إِلى ملـك الآلان تتضمـن الـرد الآتي: «يرغـب الشـجاع آرداشـيس أن يعطـي عـشرات الآلاف مقابـل تلـك العـذراء النبيلـة ابنـة الـ آلان، كـما أنـه سـوف يصعـد فـوق جـواده الأسـود ويعـبر النهـر كالنـسر المجنـح، ويقـذف بالخاتـم الزمـرديّ، وبالحبـل الأحمـر ليشـده حـول وسـط الفتـاة ابنـة الـ آلان، ورغـم أنـه سـوف يسـبب لهـا شَـيْئًا مـن الألم، لكنـه سـيعود بهـا إِلى معسـكره».

وهكـذا عاشـت الأمَّتـان بعدهـا بسـلام، كـما قـام آرداشـيس بإهـداء مبالـغ مـن الذهـب والجلـود الحمـراء ذات القيمـة العاليـة بـين شـعوب القوقـاز، كـما وقَّـع الملكان معاهـدة سـلام بـين شـعبيهما، وعقـد حفـل زفـاف فخـم ورائـع. يذكـر المؤرخ موفسـيس خوريناتـسي بأنـه خـلال الزفـاف «هطـل مطـر ذهبـي» عـلى آرداشـيس، و»حبـات اللآلـئ» هطلـت عـلى سـاتينيك. وأنجـب آرداشـيس مـن سـاتينيك سـتة أبنـاء، وهُـم: «آردافاسـت، فرويـر، ماجـان، زاريـه، تـيران وديگـران الأوَّل (وهـو غـير ديكـران الكبـير)». وقـد حكـم هـؤلاء الأبنـاء وأحفادهـم أرمينيـا بـما عـرف بـالأسرة الأرداشيسـية الَّتـي ينحـدر منهـا الملـك الأرمنـي ديكـران الكبـير، وتبقـى هـذه القصـة مـن أبـرز المحطـات في الأدب الأرمنـي القديـم الَّـذي يحمـل الأرمـن الكثـير منـه حتـى اليـوم، إذ إن اسـم آرداشـيس وسـاتينيك مـن الأسـماء الشـائعة جِـدًّا بـين الأرمـن، بالإضافـة إِلى مدينـة آرتاشـات مـا زالـت قائمـة حتـى اليـوم في جمهوريـة أرمينيـا، وأضيـف رمـز الأسرة الأرداشيسـية عـلى شـعار أرمينيـا الوطنـي الَّـذي يمثلهـا اليـوم.

بين البطي والرهوان، فك حزام.

مشاكل لبنان الاجتماعيَّة حدِّث ولا حرج، ويمكن كتابة المزيد من الكتب والمجلدات عن المعاناة والقهر والألم الَّتي يعيشها هذا الشَّعب المسكين، وأنا منه، خاصَّة عندما تطالعنا في كل صباح، الأخبار السَّيِّئة عن مصائب جديدة، يذهب ضحيتها أبرياء في بحر لبنان، وعلى طرقاته، في حين أن الفوضى صارت كلمة لبنانية بامتياز، وملاصقة لجميع مؤسسات الجسم اللُّبنانيّ الَّذي ينخره الفساد، ولكي أكون دقيقًا يمكن استثناء المؤسسات العسكرية، والحمد لله. وفي دراسة لأوضاع هذا البلد الرسالة، كما وصفه بابا روما يومًا، وعند البحث بموضوعية عن مكامن العلّة، شرحًا وتفصيلًا، وصولًا لبحث الحلول وتحديد المسؤوليات الَّتي تتوزع بين فشل بعض رجال السياسة اللُّبنانيّة بالمرتبة الأولى في تحييد لبنان عن نزاعات الدول الإقليميَّة، وبين فساد الطبيعة البشرية للمواطن اللُّبنانيّ داخل وطنه، فيما نجده مواطنًا صالحًا ووافدًا يحترم القوانين في الخارج.

ولا ثالث لمصائب لبنان سوى موقعه الجغرافي، وسوى «بلادكم حلوة»، وكل شيء فيها مسموح ومباح، كما قالها يومًا ضابط وهو يهم بالانسحاب عسكريًّا من لبنان في العام ٢٠٠٥، ليعود إليه مدنيًّا في العام ٢٠١١، وهكذا، الجميع يحلم البقاء والحياة في لبنان، حيث الحرام صار حلالًا، والتهريب على مصراعيه، والتعهدات تنفذ حسب مشيئة المتعهد، وتأتيك المصائب بعدها، وكان آخرها مصيبة لبنان في خسارة جورج الراسي على أوتوستراد الموت في المصنع، نتيجة السرعة والتنفيذ السَّيِّئ للأوتوستراد، وغيرها من عشرات الحوادث اليومية القاتلة.

ورغـم أن الـشر صـار طبيعـة بشريـة لمعظـم سـكان المعمـورة، ومظاهـر الخـير والعدالـة والمسـاواة وممارسـة العبـادات المتعـددة هـي أقنعـة مخادعـة، وفي لبنـان أرى الإيـمان مطلقًـا بإمكانيـة الإصـلاح وحتميـة بنـاء وطـن يليـق بشـعبه، والحلـول قادمـة والمسـألة مسـألة وقـت فقـط، وعليهـا أن تبـدأ بوقـف فسـاد أهـل السياسـة ولجـم نـزوات اللُّبنانيّـين، وميـول بعضهـم نحـو الشـطارة والسـباق في الارتهـان للخـارج، وقبولهـم الخنـوع والتأقلـم مـع الأوضـاع المأساوية، وصـولًا إلى نهوضهـم مـن كبوتهـم، ورفضهـم الاكتفـاء بالاستسـلام أو الهجـرة، وليـس أنفـع في هـذا المجـال مـن التربيـة الَّتـي تسـتطيع أن تعـد الأجيـال القادمـة إعـدادًا اجتماعيًّـا لائقًـا بعـد الـتردي المـؤلم للأوضـاع التربويـة للطـلاب في البيـت قبـل المدرسـة، إذ إن الأهـل يتحملـون المسـؤوليَّة الكاملـة بالشراكـة مـع المدرسـة الَّتـي فشـلت مناهجهـا في تأمـين الثقافـة والتعليـم والإعـداد الصَّالـح للأجيـال، حيـث إن أغلـب المـوادّ التعليميـة هـي لـزوم مـا لا يلـزم، وغابـت مـادَّة المواطنيـة عـن المناهـج، وصـارت أغلـب المـدارس أشـبه بشـركات تجاريـة بامتيـاز، وليعـذرني أوليائهـا، فـإن قناعتـي أنهـم كلهـم صـاروا تجَّـارًا، عـلى أن إعـادة النظـر في التربيـة يبـدأ باعتـماد مناهـج تربويـة جديـدة، تحاكـي تطلعـات العـصر، وبـات ذلـك ضرورة، لا بـل مـن الأولويَّـات .

بين الاكتئاب عند البشر والتداوي برفقة الحيوانات.

مما لا شك فيه أن الحضارة الحديثة ساهمت في زيادة معدلات الاكتئاب، كما أن تكنولوجيا التواصل الاجتماعي فجرت الاكتئاب، حالة من الصعب التخلص منها، كما يبدو أن الحيوانات الأليفة لديها الكثير لتعطيه للبشر، ولا يقتصر الأمر فقط على الرفقة الحسنة، ولكن بعض الحيوانات لديها القدرة على المساعدة في علاج الاكتئاب والتوتر، لكن كيف الطريق إلى ذلك؟

إن ما يشعر به الأطفال من انفتاح وأُلفة نحو الحيوانات، يساهم في نجاح هذا النوع من البرامج، ويرى كبار السن هم الأكثر تجاوبًا مع برنامج مساعدة الحيوانات، إذ يتم الاستعانة بها لتحسين الحالة المزاجية لكبار السن، وتوجيه انتباههم للحيوانات بدلًا من التفكير في مشاكل السن والمرض، لكن هل تخيّلت أن تزور الكلاب في مهمة علاجية الأطفال الَّذين يعانون صعوبات في التعلم، أو يتم اصطحابها لقضاء بعض الوقت مع كبار السن في دور الرعايا؟ نعم، هذا ما يحدث بالفعل في أحدث طرق علاجية تساهم الحيوانات الأليفة فيها.

وفي الختام، أرى أن السبب الحقيقي لاكتئاب الإنسان يعود لارتباطه بأشخاص بعيدين عنه، ولاهتمامه بأشخاص يتجاهلونه ولا يعيرونه أهمِّيَّة في حياتهم، فيما هو يضيع العمر في تخصيص الوقت لأشخاص مشغولين جِدًّا عنه، وهنا يخطئ الإنسان عندما يهتم بأشخاص لا يهتمون به كثيرًا، وعليه أن يدعهم يذهبون من حياته؛ لأنهم السبب الأساسي لاكتئابه.

بين راحة البال والثمن الباهظ.

لم أكن أعلم يومًا أن ثمن راحة البال سوف يكلفني خسارة كل هذا العدد من الأصدقاء من حولي، وراحة البال لم تكن يومًا غايتي، والثمن كان صبرًا وتغافلًا في كثير من مراحل حياتي، حتى صار يمثل أهم طموح في حياتي، وهكذا نجد في الحياة أن لكل شي ثمنًا، أما بالنِّسبة إلى المواطن اللُّبنانيّ، فإن راحة البال والأمان ثمنهما البعد من الوطن، وفي الماضي كان اللُّبنانيّون يسافرون لجلب المال وللهرب من الفقر، أما اليوم فإنهم يسافرون حفظًا للكرامة، ومع أن اللُّبنانيّ لا تزال روحه معلَّقة بتراب وطنه، مثل خيط مشبّع بالدم، فإنه بوجوده يبقى الوجع دائمًا، وإذا قطعناه نموت معه أحياء بلا كرامة .

كما أن ثمن راحة البال هو اكتساب إيجابيّات الآخرين، وتجنب سلبياتهم، فإن الأشياء الَّتي تزعجنا في الآخرين، هي الدروس الَّتي يجب أن نتعلمها بأنفسنا دومًا، وهكذا فإن خروج بعض النَّاس من حياتنا هو نعمة تستحق أن نشكر الله عليها؛ لأنه لا يعادلها ثمن، كما أن أغلب النَّاس الَّذين ينعمون اليوم براحة البال لم يتمكنوا من الوصول إلى هذه المرحلة بسهولة، وربما عاشوا أيامًا صعبة، وخذلهم أقرب النَّاس لهم، ودفعوا ثمن راحة البال وثمن الأيَّام الجميلة من حياتهم الخاصَّة.

ولأن سعادة السَّفير جان معكرون أرادني أن أكتب وأشرح مصدر راحة البال عندي، أقول له على مسمعكم: «إنه سيأتي اليوم الَّذي سوف يشكر فيه الدكتور معكرون نفسه على عدم الاستسلام» في مواجهة الانهيارات الكبرى، والفوضى الَّتي سبقت جميع التغيرات العظيمة، وإذا كنت تريد أن تبقى سعيدًا صديقي، أنصحك أن تدع ما حصل بالأمس في الأمس، ولا تأخذه معك إلى الغد، كيف لا! وأنت العظيم في عين نفسك، وفي عيون كل الَّذين عرفوك وأحبوك، وأنا منهم، رغم صراحتك الصادمة أحيانًا، وصدقك النادر في أيامنا؛ وأنت في اللحظة الَّتي تَتقبّل فيها كل شيء، حتى الآلام سيُفتح لك الباب، وتأتيك راحة البال، تذكر كلامي.

بين تراث نمرود وضيافة إبراهيم، والتنافس.

كان نمرود الصياد الجبار أدنى وأقل أهمِّيَّة بين أبناء نوح الثلاثة، وقد جاء من سلالة كوش بن حام الَّتي لعنها نوح، «ملعون كنعان يكون عبد العبيد لإخوته»، ومنذ ولادته لم يكن لنمرود الحق في أن يكون ملكًا أو حاكمًا، لكنه كان رجلًا جبارًا، وماكرًا ومخادعًا وصيادًا عظيمًا للبشر والحيوان، نما عدد أتباعه، وسرعان ما أصبح ملكًا عظيمًا لبابل، وامتدت إمبراطوريته إلى مدن عظيمة أخرى، وكما كان متوقعًا، لم يشعر نمرود بالأمان على عرشه، فقد كان يخشى أن يظهر في يوم من الأيَّام سليل وارث نوح وخليفته سام ويطالب بالعرش، وكان مصممًا على عدم حصول ذلك في ظل مغادرة أحفاد شيم الَّذين أُجبروا على مغادرة تلك الأرض، ولم يكن هناك سوى تارح بن ناحور هو الوحيد من الجيل الثامن الَّذي تمت إزالته، في سلالة نسل سام، لكن لم يكن لدى نمرود ما يخشاه من تارح خادمه الأكثر ولاءً وثقة.

وكان تارح قد خان عائلته قبل مدَّة طويلة، وأصبح من أتباع نمرود الَّذي كان ينبغي أن يكون السيد ونمرود عبده، وقد أصبح عبدًا لنمرود، مثل غيره من النَّاس في ذلك البلد، وكان تارح يعتقد أن نمرود حصل على مملكته هدية من «الآلهة»، ما جعله أعلى وزير في أرضه. مرت السنين، وتارح لم ينجب أولادًا، وكان يقترب من السَّبعين، ومع ذلك لم يكن هناك ابن. صلى لنمرود وأصنامه ليباركوه بابن، لكن صلاته لم تستجب، لم يكن يعلم أن نمرود شعر بالسعادة بسبب سوء حظ تارح؛ لأنه على الرغم من أن نمرود لم يكن لديه ما يخشاه من تارح، إلا أنه لم يكن متأكدًا ما إذا كان أبناء تارح مخلصين له مثل والدهم، لذلك، كان من دواعي سروره الداخلي أن خادمه تارح لم يكن لديه أطفال، وربما لن ينجب أيًّا منهم على

الإطلاق، لكنه لم يستطع أن يكون متأكّدًا من ذلك، ولم يكن نمرود يجازف أمر مراقبي النجوم والمنجمين بمراقبة السماء بحثًا عن أي علامة على ظهور منافس محتمل.

ذات ليلة لاحظ محدقو النجوم ظهور نجم جديد في الشرق، وكان يزداد إشراقًا، دعا نمرود المنجمين واتفقوا جميعًا على أن هذا يعني أن مولودًا جديدًا سيولد، والَّذي قد يتحدى سلطة نمرود، لذا تقرر أنه من أجل منع ذلك، يجب أن يموت جميع الأطفال حديثي الولادة، بدءًا من قصر الملك، وصولًا إلى كوخ العبيد الأكثر تواضعًا، ومن الَّذي سيكلف بهذه المهمة المهمة؟ بالطبع تارح، فهو أكثر خادم موثوق به عند الملك، أرسل تارح رجاله ليجمعوا جميع الأمهات الحوامل، حيث تم تحويل قصر الملك إلى جناح ضخم للولادة. كل الأمهات اللواتي أنجبن فتيات تم إعادتهن إلى المنزل محملين بالهدايا مع المولودة الأنثى، ولكن إذا كان الطفل صبيًّا، فقد قُتل بلا رحمة، لكن المفاجأة أنه ولد الليلة ابن سيتحدى سلطة الملك، والأب هو تارح خادم نمرود الأمين الَّذي لم يفكر أبدًا في أن تارح أصبح أبًا في سنِّ السَّبعين، ومع ذلك، إذا أصبح أبًا، فسيكون بالتأكيد سعيدًا بتقديم ابنه البكر لملكه وإلهه. أرسل نمرود رسولًا إلى تارح على الفور، وأمره بالظهور مع ابنه المولود حديثًا.

في تلك الليلة، أصبح تارح وزوجته أماثلاي بالفعل والدين سعيدين لطفل رضيع، جلب ضوءًا وإشراقًا عظيمين إلى منزلهما، كان تارح يأمُل في أن تكون فتاة، ولن يكون لديه قرار فظيع ليتخذه، ولم يستطع أن يفكر في التخلي عن هذا الطفل الجميل، الَّذي ولد له في سن الشيخوخة بعد هذا الشوق؛ لقد تمكن من إبقاء حمل زوجته سرًا، ولم يعلم أحد من خدامه بميلاد ابنه، كان هناك ممر سري يقود من قصر نمرود إلى كهف في الحقل. أخذ الطفل إلى ذلك الكهف

وتركه هناك، وبينما كان عائدًا إلى القصر، متجاوزًا مساكن الخدم، سمع صرخة طفل، يا له من حظ سعيد! أخذ الطفل وظهر به أمام نمرود، قال تارح: «كنت على وشك إحضار ابني إليك، عندما جاء رسولك»، واعتقد نمرود أن تارح كان مخلصًا للغاية ليتخلى عن ابنه الوحيد الَّذي ولد له في شيخوخته، لم يكن يعلم أنه لم يكن ابن تارح هو من مات، بل ابن خادم، بقي إبراهيم الصغير في الكهف مدة ثلاث سنوات، حيث لم يعرف النهار من الليل، ثم خرج ورأى الشمس في السماء، وفي المساء ارتفع القمر في السماء، محاطًا بعدد لا يحصى من النجوم، وقرر إبراهيم أنه يجب أن يكون هناك إله يحكم الشمس والقمر والنجوم، بل العالم بأسره، وهكذا، ومن عمر ثلاث سنوات عرف إبراهيم أن هناك إلهًا واحدًا فقط، وكان مصممًا على الصلاة له وعبادته وحده، وبدأت حياة مليئة بالعديد من المغامرات الرائعة لإبراهيم.

بين تصدير الخضار والفاكهة، وتصدير المياه الجوفية.

هل صحيح أن المياه تنتقل من دول العالم الثالث إلى دول العالم المتطور عبر تصدير الخضار والفاكهة المستهلكة للمياه؟ مثال ذلك البِطِّيخ الَّذي يتم تصديره من دول شمال أفريقيا نحو دول أوروبا الغنية بالمياه، والأفوكادو من أمريكا الجنوبية، والمغرب نحو أوروبا وأمريكا، وقد تتسبب هذه التجارة في سيطرة شركات وأفراد على مصادر المياه، وشح في المستقبل لمياه الشرب في بلدان العالم الثالث من أجل إنتاج فواكه وتصديرها إلى دول العالم الأوَّل، بدل تخصيص هذه الأراضي لزراعة الحبوب والبقوليات في الدول المصنفة دول العالم الثالث، ونحن منهم، يا لَلأَسَف!

ويطلق على هذه المياه المصدرة تسمية المياه الافتراضيَّة، وذلك حسب دراسات أجريت لتبين أن كل كيلو غرام من البِطِّيخ الأحمر يستهلك ٤٥ لترًا من الماء في حالة الاعتماد على نظام الري بالتنقيط، ما يعني أن بطيخة بوزن عشرة كلغ قد تستهلك ٤٥٠ ليترًا من المياه العذبة، ومع احتواء كل بطيخة على ٨٠٪ من وزنها ماء، فإن تصدير البِطِّيخ على سبيل المثال، يعني انتقال ثمانية كلغ ماء من المياه الجوفية غير المتجددة في كل عشرة كلغ بطيخ مصدرة للخارج، وفي المغرب مثلًا يستهلك زراعة الأفوكا سَنَوِيًّا من المياه ما يعادل استهلاك ثلاثة ملايين مغربي من مياه الشرب، وقد بدأت جمعيَّات عديدة تدق ناقوس الخطر للتصدير غير المباشر للمياه الجوفية في المملكة.

وهكذا نحن أمام ما يسمَّى نظريَّة المياه الافتراضيَّة، وهي نظريَّة أو فرضيَّة طرحها البروفسور جون أنتوني من كلية كينجز في لندن King›s College London الَّذي اقترح تقليل غرس النباتات المستهلكة للمياه مع غرس النباتات

بين تصدير الخضار والفاكهة، وتصدير المياه الجوفية.

المنتجة للحبوب المتحملة للجفاف، والتركيز على الأشجار والنباتات المتأقلمة مع المناخ الجاف، وقد تكون هي الحل لاستمرار الحياة في هذه المناطق الَّتي تتعرض لموجات جفاف ونقص مياه كبير، وأمام انخفاض مستوى الأنهر بسبب الجفاف المتزايد في ألمانيا وأماكن أخرى في أوروبا، توقعوا زيادة كبيرة في صادراتنا الزِّراعيَّة من لبنان إِلى دول الاتحاد الأوروبي، اللَّهمَّ إذا عاد بعض المزارعين إِلى ضمائرهم، وعدم جلد أنفسهم من جديد عبر ري المزروعات من المياه الملوثة بمخلفات مخيمات النازحين وبعض البلديات.

بين تكامل الدبلوماسية السِّياسيّة والاقتصاديَّة، وجلد الذات.

في كانون الأوَّل من العام ٢٠١٧ صرح الأمين العامّ لوزارة الخارجية اللُّبنانيّة السَّفير هاني شميطلي قائلًا: إن هدف تعيين الملحقين الاقتصاديين هو إحقاق تكامل بين الدبلوماسية السِّياسيّة وتلك الاقتصاديَّة، وفعلًا فإن تعيينهم سُجل لوزارة الخارجية، ويشهد لهم بإنجازه، وها أنا اليوم، وبعد مرور ثلاث سنوات على عمل هؤلاء الأبطال المنتشرين في البعثات الدبلوماسية اللُّبنانيّة حول العالم، ومن خلال متابعتي لهم، أرى أنَّهم يعملون من دون كلل أو ملل في ظل ظروف اقتصاديَّة ومالية استثنائية يمر بها لبنان، وبالرغم من عدم تقاضيهم رواتبهم منذ أربعة أشهر، فإنهم لم يعترضوا، ولم يهددوا بالاعتكاف أو الإضراب، وإنما واظبوا على القيام بمهامهم بمسؤوليَّة، وتابعوا العمل على مبادرات كان لها الأثر الإيجابيّ على القطاعات الإنتاجية.

لكن أكثر ما يثير ذهولي هو التنمر المستمر من بعض أهل البيت في وزارة الخارجية اللُّبنانيّة الَّذين لا يفوتون الفرصة للترويج لفكرة التخلي عن عمل الملحقين الاقتصاديين ووقفهم عن العمل بحجة عصر النفقات تارة، أو استبدالهم بدبلوماسيين من الإدارة تارة أخرى، رغم أن هذه المحاولات لم تجد الآذان المصغية لدى المسؤولين الَّذين يعلمون أنها مدفوعة بحسابات شخصيَّة لا أكثر، وتفتقد لأي رؤية لتطوير عمل الوزارة.

بين تكامل الدبلوماسية السِّياسيّة والاقتصاديَّة، وجلد الذات.

في المقابل تثبت الحقائق والإنجازات أن وجود الملحقين الاقتصاديين منذ تعيينهم قبل ثلاث سنوات قد أعطى وزارة الخارجية دورًا محوريًّا في الدبلوماسية الاقتصاديَّة ورفدها بمهارات وخبرات اقتصاديَّة وتجارية رفعت من قدرة الوزارة على الاضطلاع بتلك المهام، لذلك من المنتظر أن تحمل خطط النهوض الاقتصاديَّة المرتقبة رؤية إصلاحية واضحة وتعويلًا متزايدًا على دور الدبلوماسية الاقتصاديَّة والحاجة إلى تطويرها ما يؤمن استدامة وانتظام الوضع الوظيفي للملحقين الاقتصاديين وبرنامج عملهم.

بين الموروث والمقتبس ومقاومة الجهل.

بعد انتهاء جائحة كورونا١٩-COVID ، هل لنا أنْ نقر أنَّ كل شيء تقريبًا في هذا الشرق الملعون عبر العصور هو موروث أو منسوخ من الغرب؟ ومثال ذلك جميع الأنظمة والقوانين ونظام التعليم، وصولًا إلى نظام الاستشفاء والرعاية الصِحِّيَّة وما إلى ذلك، وهذا ما أدَّى إلى نتائج عكسية تبدأ من تكاسل وزراء التربية الأشاوس في العالم العربي بعدم تنميتهم البحث العلمي في المدارس والجامعات العربية باستثناء مبادرات متواضعة لبعض الأساتذة الجامعيين والطلاب، وانتهت بما نحن عليه ننتظر من يصنع لنا غذاءنا، على كل حال ليس الوضع في الغرب أفضل بكثير، هم أَيضًا تعرضوا للفشل في إيطاليا مثلًا وغيرها من الدول الأوروبية حتى في الولايات المتحدة وكندا بسبب فجوات في نظام معيشتهم ومجموعة الأفكار الَّتي كانوا يسعون لنقلها وتعليمها للآخرين.

في المقلب الآخر يقر العديد من العلماء في الغرب أن الأفكار الَّتي ورثوها عن الإغريق القدماء هي أساس الثقافة الغربية، ويجب الحفاظ عليها بأي ثمن، كما أنهم يعترفون أَيضًا أنهم ترجموا ونسخوا وحفظوا نصوص أرسطو مثلًا، ثم قاموا لاحقًا باستخدامها، ولم يتمكن الكثير من المخترعين من الوصول إلى حيث هم اليوم من خلال كونهم أذكياء فقط، بل لأنهم استندوا ما فعله الآخرون قبلهم حتى أصبحوا علماء، بدورهم في الغرب، فإنهم حافظوا على التقليد اليوناني القديم وأبقوه على قيد الحياة، كما أن جميع البيروقراطيات الغربية الحديثة ترجع تاريخها إلى بلاد فارس القديمة، وبالطبع إلى اليونان .

وهكذا نجد أن الأساس هنا ليس من اخترع الأشياء، ولكن من استخدمها بشكل منتج، والعرب بالتأكيد بادروا، وكان لهم اكتشافاتهم

واختراعاتهم مع الرازي وابن سينا وغيرهم، وقبل الأوروبيين بكثير، وهكذا نجد أنه في كثير من الأحيان يتم توريث الثقافات أو نسخها، لكنها تتطور بمرور الوقت وتخضع للمتغيرات، نأخذ مثالًا آخر، هو نيكولا تيسلا الَّذي ورث ونسخ ما فعله «تارتاريا العظيم» في الطاقة المتجددة، نعم، كانت الطاقة المجانية تشكل جزءًا كبيرًا من العالم القديم، وعليه، يكون بحكم الحلال على الجيل الجديد المبدع ترشيح القيم الإيجابيّة من أي حضارة أتت، وتبنّيها وتعديلها

بين ديمقراطية الصَّمت والسّمع والطاعة.

يبدو أنّه صار من الصعب عليّ في بعض الأحيان أن أعطي الأشياء تعريفها الدقيق، وصرت أضيع في جلباب الصَّمت والسّمع والازدحام، وأخرج بذاكرة ونظرة جديدة للأمور من منظور علمي وليس عاطفيًّا، ولكن إِلى متى سوف أظل أتعلم في رحلة العمر هذه؟ ولطالما كان الجميع يتكلمون في ما يعلمون وما لا يعلمون، فما على العاقل في هذه الأيَّام إلا اتخاذ وضعية الصَّمت والسّمع أكثر من الكلام، وهذا أفضل للإنسان ولمن حوله؛ لأن الحكي «ما بقى يفيد» أمام تحجر عقول المسؤولين وسخافة بعضهم، خصوصًا ما رأيناه مؤخَّرًا في مشهدية رجم مستعمرات العدو بالحجارة، بدل الجلوس ليلَ نهارَ في الوزارات والعمل لتسهيل عبور شعب لبنان هذا المنعطف الخطير في تاريخه المعاصر.

وهكذا أوافق كبارنا الَّذين رأوا أن الصَّمت وقت الإساءة حكمة، ووقت الغضب قوة، ووقت العمل إبداع، ووقت الفوز ثقة بالنَّفس، كما أنه وقت الحزن قبول بإرادة الله، ووقت الاستفزاز يصبح الصَّمت انتصارًا، ويصبح أدبًا عند الاستماع إِلى نصيحة النَّاس، وهكذا، فإنه عندما يصرُخ الشَّعب في وجه حكامه مُستغيثًا، فيما هم في سُبات عميق وصمت مريب، ويرون ذلك أنه «شغل سفارات وعمالة»، فاعلم أيُّها المواطن المسكين، أن آذان حكامك قد فسُدت، وأن قلوبهم قد تعفّنت، لكن الصَّمت الطَّويل يصبح مع مرور الوقت مثل سيف يقتل صاحبه.

وإذا كان بعض الكلام يرنُّ في القلب لا في الأذن، فهذا شيء جميل، لذا وجب على الإنسان أن يروِّض نفسه على السّمع؛ فالأذن في القلب والقلب في الأذن، يقول القديس أغسطينوس، وفي الكتاب المقدس نجد في الرسائل الَّتي

أرسلها الرب إِلى الكنائس السبع في آسيا عبارة : أنا عارف أعمالك وتنتهي بعبارة: «من له أذنان للسمع فليسمع». (مر٤: ٩، ٢٣). لنصل إِلى تعداد ٣٩ آية عن السّمع في الكتاب المقدس، وفي الأخير، فإن جدلية المعرفة والخير تذكرني بما قاله سقراط عن أن الإنسان لا يفعل الشر مختارًا بل لجهله بالخير، ومع أن هذه المقاربة تبقى دون مستوى المعالجة اللَّاهوتية لعَلاقة الخير بالمعرفة والشر بعدمها، إلا أن هذا الفيلسوف العظيم استطاع أن يربط بين العلم والخير، وبين الجهل والشر، وأنا من أتباع هذه النَّظريَّة .

بين الانسجام العاطفيّ، والصَّمت الزَّوجيّ.

يكاد لا يخلو بيت في لبنان من المشاكل الزَّوجيّة، وهذا أمر طبيعيّ، خاصَّة في هكذا ظروف اقتصاديَّة تمر بها البلاد والعباد، وتزداد هذه المشاكل كل سنة على أبواب المدارس والجامعات، ولكن مسارعة الزَّوجين إِلى حلها في بدايتها من خلال الحوار الإيجابيّ يمنع من تفاقمها، كما أن اللجوء إِلى الاهتمام بعائلتهما من حيث التثقيف والتوعية والإرشاد حول الطرق الَّتي تساعدهما لوضع خطة مالية مدروسة والالتزام بها، تساعد كثيرًا في تحديد مستوى معيشة العائلة، طبقًا للقول: «على قد بساطك مد رجليك»؛ ومن الأمور المهمّة في التربية المنزلية الفعَّالة أن يخصص الوالدان وقتًا للجلوس مع أبنائهما للتحدث معهم عن أحلامهم ومشاكلهم وأصدقائهم، والأمور الَّتي تم إنجازها خلال يومهم.

وهكذا، فإن فقدان المكانة الاجتماعيَّة بما في ذلك المال والمقومات المادِّيَّة، لأحد الزَّوجين يفقد العَلاقة العاطفيّة بين الرّجل والمرأة الكثير من قوتها حتى لو كان الانسجام الروحي والفكري بينهما متوفرًا، «فالقلة تولد النقار»، رغم وجود أفكار موروثة ومتداولة بأن الحب يتولد مع العشرة، وهي فكرة مغلوطة، فإنه يستحيل للحب أن يستمر طويلًا ولا بد من أن يفتر، وإذا كان الجاحظ يقول: إن «الظَّفَر بالمعشوق يُسرع في حل (انتهاء) العشق، فإنه أَيضًا لا يمكن أن تستمر عَلاقة حب، مهما كانت عاصفة لأكثر من عشرات السنين مثلًا، وهذا مؤكد؛ لأن حياتنا الاجتماعيَّة بكل أشكالها مبنية على التوافق الروحي، وهذا يعتمد على عنصر مهم يجهله كثيرون وهو: «النَّفس البشرية»، فإذا كانت النَّفس طيبة تبقى أيام الأزواج هنيئة وحياتهم سعيدة، حتى الشفاء من الأمراض المزمنة لها عَلاقة بالنَّفس البشرية .

ويطلق بعضهم على الصَّمت الزَّوجيّ تسمية الطَّلاق النَّفسي، حيث تستمر فيه العَلاقة الزَّوجيّة أمام النَّاس فقط، لكنها منقطعة الخيوط، ويؤكد علماء النَّفس أن معظم حالات الطَّلاق لا تحدث تلقائيًّا أو فجائيًّا، ويمر الطَّلاق العاطفيّ في خمس مراحل، وهي: فقدان الثقة، فتور الحب، الأنانية، الصَّمت الزَّوجيّ، وأخيرًا الطَّلاق العاطفيّ، ويمكن تسمية ظاهرة الصَّمت الزَّوجيّ أَيضًا بظاهرة الخرس الزَّوجيّ، وهو السكوت السَّلبيّ لكلا الزَّوجين، وانعدام لغة الحوار فيما بينهما، والَّتي يلجأ فيها أحد الزَّوجين إِلى الصَّمت أو الرد باقتضاب على الطَّرف الآخر، مهما حاول الأخير فتح قنوات الحوار، ويعدّ هذا مؤشِّرًا قويًّا على فتور العَلاقات وجمودها، ويعدّ التواصل الزَّوجيّ السليم بين الزَّوجين من أهم الأمور الَّتي تؤثر وتساهم في استمرار العَلاقة الزَّوجيّة وتماسكها، والوصول إِلى توافق زوجي قوي عند انعدام لغة الحوار بين الزَّوجين، خاصَّة في الأزمات الماليَّة والاقتصاديَّة، وزمن الضيقة المعيشية والمتطلبات الكثيرة للحياة.

بين العِبرة والخبرة، خطوة وأمل.

اكتساب العِبرة والخبرة والخروج بنور الحكمة من نار الألم هي تجرِبة عظيمة، رغم أنَّها قاسية، ولكن بين ذي وتلك خسرنا العمر الجميل، وبقيت الحسرة عند بعضهم منا، وصار مقياس أننا لا نزال أحياء هو الربح بنظر بعضهم؛ فالعمر لا يتكرر، لذا يجب أن لا نعيشه باستهتار، ولولا الموت لما أدركنا قيمة الحياة، ولولا الشر لما بحثنا عن الخير، ولولا الأيَّام السوداء الَّتي مرت لن يكون لأيام الخير القادمة نور؛ لأن الحياة تستمر.

إن تجارِب الحياة الإيجابيّة وذكرياتها هما كنز للإنسان ورصيد له، يحفزه ويمده بالطاقة في حياته، وعليه أن يكتبه بالحبر، على أن التجارِب السَّلبيّة وذكرياتها يجب أن يكتبها بقلم الرصاص بعد أن يأخذ منها العِبرة والخبرة ليقوم بمحوها مباشرة، والتفاؤل بالخير الَّذي يلازمني دائمًا يجعل بعض أصدقائي يعترضون عليه، ويذهبون بعيدًا في النظرة السوداوية للأمور، «رغم أن الوضع أكثر من سيِّئ»، ويرون أن الأسوأ لم يأت بعد، ويبالغون في التهويل والتعظيم لمستقبل أسود قادم على بلادنا، وأخبار من نظير ذلك، لكنهم لا يعلمون أن حرصي على ضخ الإيجابيّات الَّتي أملكها لمن حولي، جعل كثيرين منهم يتغلبون على الصعاب، ويحذفون ذكريات التجارِب السَّلبيّة من حياتهم، ويستمرون بحالة نفسية إيجابيّة حتى مرور العاصفة الاقتصاديَّة .

وهكذا فإنه إذا كان الماضي هو عبرة، والحاضر هو خبرة بالنِّسبة إلينا، فالوقت في المستقبل كافٍ لنصحح فيه مسار حياتنا بما اكتسبنا من العبرة والخبرة، ولكل المتفلسفين في الإعلام أن لبنان مات سريريًّا، عليهم أن يأخذوا العبرة والخبرة من صيف٢٠٢٢ ، ومن دخول مليون ثمانمئة ألف زائر إلى مطار بيروت،

والاستماع لشهادة أصحاب المطاعم والمتجعات السِّياسيّة بأنه لم يمر عليهم موسم كهذا الموسم منذ عشرين عامًا، وهذا الحدث يستحق التوقف عنده، ويجب الإقرار بموت الدَّولة اللُّبنانيّة الفاشلة ونظامها المتعفن، وليس لبنان الوطن الَّذي لا يموت.

بين الاغتراب الفكري والروحي والاقتصادي.

ينتج الاغتراب الفكري عند الشعوب بسبب التباين في الثقافة والمعرفة، كما ينتج من الفجوة الهائلة بين ارتقاء تفكير المرء ونضجه الشخصيّ، وانحطاط الوعي والفكر الجماعي لمجتمعه، وهذه الظاهرة تدفع بالمرء إلى تجسيد شعور الاغتراب بالميل إلى العزلة والاستسلام وإلى تضخيم الوحدة، ويصعب غالبًا ردم هذا الشعور من دون مساعدة أهل الاختصاص، إشارة مهمة أنه غالبًا ما نجد أن النخبة المثقفة هي أكثر من يعيش هذه الحالة مثل الكتّاب والفلاسفة والمفكرين الَّذين عانوا في محيطهم القتل والتشريد والهجرة والانكفاء على الذات، خاصَّة في المجتمعات المتخلفة.

أما الاغتراب الروحي فهو أن تعيش على هامش الحياة، وربما عزاء المغترب أن في السفر والاغتراب فوائد عظيمة، رغم آلام التوحش والوحدة، وفي الاغتراب الروحي غالبًا تختلط العواطف مع الألم والحزن والانهيارات، وقد يكون الصَّمت أوَّل أعراض متلازمة الاغتراب الروحي حين يصبح كل ما حولك لا يشبهك، ولا تشعر بالانتماء له، وليس ثمة ما يربطك به. وقد توغل الاغتراب الروحي مؤخرًا بعد الأزمة الماليَّة، داخل بيوت اللُّبنانيّين وصنع الجفاء والجفاف العاطفيّ بين الأبناء، وتسبب في التفكك الأسريّ رغم محاولة الأهل إيجاد الانسجام الفكري والعقلي، وزرع الاحترام والود بين أفراد العائلة.

أما الاغتراب الاقتصادي فهو، بحسب تعريف كارل ماركس للرأسمالية، يعزل البشر ويجردهم من إنسانيتهم، وهو مصدر وسبب الاغتراب، وهو نتاج الرأسمالية الَّتي تسببت في انعدام العدالة في توزيع الدخل بين النَّاس، كما أنها جعلت عمل الإنسان مغربًا مستقلًا عنه، وحولته إلى شيء شاذ مشلول وملحق

بالآلة، والحال هذا شبيه بما جاء كان في الوثنية، إذ إن جوهر دعوة الأنبياء آنذاك ليس كون الإنسان يعبد الكثير من الآلهة بدلًا من إله واحد، بل يتمثل في أن الأوثان هي من صنع أيدي الإنسان، وهي أشياء يقوم الإنسان بعبادتها والسجود لها، بمعنى أنه يقوم بعبادة الأشياء الَّتي خلقها هو بذاته، وبذلك يحول ذاته إِلى شيء، وينقل إِلى الأشياء الَّتي خلقها خصائص حياته، كما أنه بدلًا من أن يمارس ذاته فردًا خالقًا، فإنه يكون في حالة تواصل مع ذاته فقط عبر عبادة الأوثان، وهنا يصبح الإنسان منخلعًا عن ذاته، وعن قوى حياته، وعن ثروة طاقاته.

بين الصبر والقوة، والاشمئزاز والقرف.

في الصغر علمتني أمي معاني الصّبر والقوّة وحب لبنان، وعلمتني أَيضًا أن الصبر مفتاح القلوب، كما أنه مفتاح الفرج، وأن كل الأزمات سوف تمر، وأنه مهما كانت الرياح قاسية فلا يجب أن أفقد ثقتي بالله، فهو يتدبر أمري، وأن لا أخاف ما دام الله معي، وهكذا أنا اليوم، وفي العمر الباقي لا أحتاجُ سوى لمدفأةٍ من النسيان، ووِشاح من الصبر، وصوت فيروز يُرنم: «وطني، وحياتك، وحياة المحبة شو بني، عم إكبر وتكبر بقلبي، وأيام اللي جايي جايي، فيها الشمس مخبايه، إنت القوي، وإنت الغني، وإنت الدني، يا وطني».

ولكنني لم أكن أتوقع يومًا هذا الشّعور بالقرف من سلطة سياسية عاهرة تحاضر بالعفة والطهارة، فيما المواطن اللُّبنانيّ يتسكع على أبواب المدارس والجامعات لتأمين التحصيل العلمي لأولاده، فضلًا عن باقي المصائب من تأمين التدفئة في الشتاء، وما إِلى ذلك من مستلزمات حياة عذاب بائسة؛ وهنا السؤال هل نعمد إِلى السكوت أو أن نعبر عن اشمئزازنا؟ وكم هو غريب هذا الشعور؟ ولا أفهم كيف تحولت الثقة الصادقة بالحكام إِلى اشمئزاز مقزز؟ وكم هو غريب كيف أن الفرح الَّذي كان ينبثق من عيونهم تحول إِلى نظرة باهتة كالموت؟ والصوت الَّذي كنا نتلهف لسماعه في نشرات الأخبار المسائية، بات مثيرًا للغثيان نتيجة الأخبار السَّيِّئة والمشينة؟ نعم، أصدقائي، هذه هي الحقيقة المخفية الَّتي أظهرتها النفوس الدنيئة عند انكسار الثقة الزائفة بين الحاكم والمحكوم.

والاشمئزاز هو أحد المشاعر السبع العالمية، وينشأ مثل الشعور بالنفور من شيء مسيء، ويمكن أن نشعر بالاشمئزاز من شيء نتخيله بحواسّنا الجسدية: (البصر، الشم، اللمس، الصوت، الذوق) أو من أفعال النَّاس أو مظاهرهم، كما

حالنا مع حكامنا، حتى من خلال الأفكار المستوردة إلى مجتمعاتنا، وشخصيًّا أنا لا أوافق القائل: إن السكوت هو علامة الاشمئزاز؛ فالاشمئزاز هو لحظة الضَّعف الَّتي نتباهى بإعلانها نتيجة عدم التحمل وقلة الصبر، والَّذي يرتقي إلى درجة الشفقة أحيانًا ليصبح الوجه الملائكي لها، وهكذا فإن معالجة الأمراض النَّفسيَّة والشعور بالعظمة عند بعض رجال السلطة في لبنان بات ضرورة حتى لا يلاقوا وجه الله، وهم في حالة القرف هذه.

بين السِّياسيّ القبيح وقناع المثالية.

مما لا شك فيه أن الشخصانية وتصفية الحسابات باتت تمثل وجهًا من أوجه الديمقراطية في لبنان، لكن السؤال الأهم: متى يعتق الله شعب لبنان من جلاديه؟ ومتى يكف هؤلاء عن النفاق السِّياسيّ والاستغلال القبيح لعواطف النَّاس؟ ومتى يتوقفون عن سحق المواطن اللُّبنانيّ في لقمة عيشه ومستقبل أولاده، وضمان عدم هجرة ما تبقى منهم في بلاد الأرز؟

نعم، بفضلكم صرنا غرباء في وطننا مع ما يفوق المليون ونصف المليون لاجئ سوريّ، تقوم مؤسسات NGO «بتسمينهم»، ودفع بدلات تدفئة وطبابة وغذاء، وبدل تكاثر وإنجاب، فيما بلادهم تنعم بالأمان، وهكذا تبدلت نظم عيشنا وأخلاقنا وحضارتنا الَّتي كنا نتفاخر بها، وصرنا أشبه بمجتمعات فقيرة متناحرة نتيجة نظام سياسي قبيح قَسَّم الطوائف مجموعات، ورفع الأكثر هبلًا وطاعة بينهم إلى مصاف «المرجعية»، وأعطاه الحق وحده أن يختار الأسوأ لتمثيل الشَّعب في إدارات الدَّولة التشريعية والأمنية، حتى القضائية.

راقبوا معي على مدى ثلاث سنوات لم يستقبل مسؤولٌ رفيع في دول مجلس التعاون الخليجي أيَّ مسؤول سياسي أو حكومي لبناني رفيع، حتى لو تمَّ رفع الحظّر التجاري بين لبنان والمملكة العربية السُّعوديّة، والَّذي نتوقعه في الشهر القادم إن شاء الله، والَّذي دفَعنا على مدار سنة كاملة ثمنَه تراجعًا في أسواقنا التصديرية، فلا يبدو أن في الأفق حلولًا جِدِّيَّة لدعم لبنان ماليًّا مع هذه الطّبقة الحاكمة التي تسببت عبر تبنيها سياسات اقتصاديَّة خاطئة منذ تسعينيَّات القرن الماضي، حتى اليوم إلى إعلان إفلاس البلد، زدْ إلى ذلك أَيضًا، فساد بعض وزراء لبنان وتهورهم «مصروف من غير مدخول»، وسلسلة رتب ورواتب أقرت عشوائيًّا؛ كل هذه الأسباب أوصلتنا إلى ما نحن عليه اليوم، وبانتظار الفرج وسقوط قناع المثالية عند بعض حكامنا، ووصول الحلول المعلبة لا مكان لخيبات الأمل، ولا بدَّ من أن الفرج قادم.

بين السِّياسيّ الحكيم والسِّياسيّ الجاهل.

يقول الكاتب البرازيلي باولو كويلو: «إن الجهل يقاس بمقدار الشتائم الَّتي يستخدمُها الشخصُ عندما لا تكون لديه أيُّ حججٍ للدفاع عن نفسه»، وفي السياسة نجد السِّياسيّ الحكيم هو الَّذي يتجنب استعمال الشتائم، يفكر قبل أن يتكلم، أما السِّياسيّ الجاهل فيبدع بكيل التهم والشتائم في كل إطلالاته، يتكلم ثم يفكر لاحقًا بما قاله، وليته ابتلع سمومه قبل نثرها في الهواء؛ نعم رجل السياسة الحكيم يفكر دائمًا قبل أن يتحدث، يفهم المواقف، ويفكر فيما إذا كان هذا هو الوقت المناسب للتحدث أو التزام الصَّمت على أن عدم التفوه بكلمة واحدة يمكن أن يكون أفضل في بعض المواقف، وفي حين أننا نسجل استماتة السِّياسيّين غير الناضجين أو الجاهلين حبًّا بالظهور الإعلاميّ، وإحداث ضجيج حتى لو لم يكن لديهم فهم ومعرفة بالمواضيع المتداولة.

وفيما يتخذ السِّياسيّ الحكيم قراراته الشخصيَّة بنفسه، ولديه القدرة على تحمل المسؤوليَّة الكاملة لتنفيذها، فهو لا يجازف أبدًا إلا «مضمونة»، ولا يلوم الآخرين أبدًا على أفعالهم، ولديه القدرة على الدفاع عن قراراته، ويعرف جيِّدًا اتخاذها في الوقت والمكان المناسبين، في حين أن السِّياسيّ الجاهل يتبع بعض مستشاريه الَّذين يتخذون القرارات نيابة عنه، مثل ما يريدون بالضبط، ووفقًا لرغبتهم، مع أن عمل بعض المستشارين يبدو جيِّدًا في كثير من الأحوال، حيث يقومون بجمع المعلومات والحقائق، وفهم كل شيء بشكل صحيح نيابة عنه، ووضع المعايير ومواصلة تطوير الخِيارات وتقييمها، وتقييم المخاطر ثم تقديم القرارات له ومتابعة تنفيذها .

بين السِّياسيّ الحكيم والسِّياسيّ الجاهل.

ولسدّ الهوة بين هذين النوعين من رجال السياسة، يجب على السِّياسيّ الجاهل أن لا يتعاطى السياسة أصلًا، كما أفعل أنا بالضبط، حيث أراقب وأنتقد نقدًا بناءً لا يتضمن تجريحًا، وذلك طمعًا بتصحيح المسار فقط، ويمكن للسياسي الجاهل العمل على سد الفجوة بينه وبين السِّياسيّ الحكيم باختزان كل أنواع علوم المعرفة والخبرات من أجل الحصول على المزيد من الحكمة والتعلم، كما يجب عليه تثقيف نفسه بشكل دائم، وتثقيف من حوله أيضًا وتعليمهم طرق التعاطي مع الآخرين، ويمكن أن يساعده ذلك في تحسين أدائه المهني، والنهوض بالمجتمع نحو التطور، والمضي قدمًا نحو الارتقاء بالعمل السِّياسيّ النظيف الَّذي نستمتع به مع عمل قليلين من رجال السياسة، ومنعًا لإشراك لبنان وشعبه في الجهل والظلم، وكما يقال: «لا ظلام بلا جهل.»

بين الصناعي الحكيم والصناعي الغشيم، علم.

الصناعي الحكيم يمتلك الحكمة، وهي صفة امتلاك الخبرة والمعرفة والعلم الجيد، وهو يناقش في الرأي، ويسعى جاهدًا لتقديم أجود المنتجات الصناعية متبعًا المواصفات العالمية، سواء أكانت موادَّ غذائية أم سلعًا استهلاكية، وصولًا إلى كل ما تنتجه المصانع اللُّبنانيّة على امتداد رقعة الوطن، همُّه الأوَّل هو سمعته، وسمعة مصانعه، وسمعة بلاده الَّتي تحمل اسمَها جميع منتوجاته المصدرة إلى الخارج، كما يسعى الصناعي الحكيم لتحقيق مساهمة القطاع الصناعي في دعم رؤية أصحاب الاختصاص وتطلعاتهم، في وقت باتت كلفة الصناعات المحلية أغلى من استيرادها، وذلك بسبب استيراد منتوجات أقل جودة أو مدعومة من دولها أو تصنيع منتجات محلية بنوعية رديئة باتت الكلفة الاستشفائية من أمراضها القاتلة مرتفعة جِدًّا؛ فالفساد نخر البلاد كلها، وهذا ما جعل الصناعي الحكيم الآدميّ استثناءً نادرًا في عالم الصناعة الوطنية .

في المقابل نجد أنّ الصناعي الجاهل صار في أيامنا فيلسوفًا يجادل في الحقائق والثوابت العلمية، همُّه الوحيد تحقيق أرباح إضافية عبر تخفيض كلفة إنتاج السلع وبيعها بأسعار السلع الجيدة، لتحقيق فائض في الأرباح، سلاحه دائمًا لسانه وصوته العالي، وليس عقله، قليل المعرفة والمعلومات والخبرة، والتهذيب أحيانًا، جاهل في مهنته يفسد حياة اللُّبنانيّين عبر تقديمه منتجات غير مطابقة للمواصفات العالمية، بعضها قاتل نتيجة استعمال مكونات مسرطنة لها القدرة على إفساد صِحَّة المواطنين، فيما مراقبة غذاء اللُّبنانيّين وما يعرض ويباع في الأسواق بات مستحيلًا بسبب النقص الهائل في عديد أجهزة الرقابة في الوزارات المعنية، كما نلحظ أن الصناعي الجاهل لا يؤمن بكفاءة أهل الاختصاص، وبتمسك بما

توارثه عن أجداده في الصناعة، «ويا أرض اشتدي ما حدا قدي»، هو أجمل توصيف لطباعه وتخلفه، وعدم مواكبته العلم، وعدم الاقتناع أن المعرفة لا تقاس بعمر الإنسان، بل بما يملك من معرفة .

الكرة الآن في ملعبك، أيُّها المستهلك اللُّبنانيّ، إيَّاك والصَّمت. ارفض هذه المنتجات الَّتي غزت أسواقنا، قاطعها، ارفع يدك عاليًا، وقل كفى، أكثر من نصف الشَّعب بات مريضًا بسبب عدم الرقابة على المنتجات الَّتي تنتج في المصانع غير المرخصة، أو يتم إدخالها عبر معابر غير شرعية، وفيما لا تزال بعض محال التجزئة تضرب عُرْضَ الحائط بقرار وزير الصناعة رفض عرض منتجات لمصانع غير مسجلة في وزارة الصناعة، يجب على المواطن الوعي، وأن يعي ماذا يأكل! فالصَّمت لا يفيد بعد الآن؛ ارفض واقعك، وارفع صوتك بهدوء، فالصراخ أمام أبواب المستشفيات لا يفيد، وصحتك أغلى ما تملك.

بين الراحة المؤقتة والراحة الأبديَّة، الرحمة.

شتان ما بين الراحة المؤقتة والراحة الأبديَّة، وعلى الإنسان أن يختار في حياته بين التعب المؤقت والراحة الأبديَّة، أو بين الراحة المؤقتة والتعب الأبدي؛ وما يشغل بالي، وأنا أبحث، هل أن السعادة هي راحة مؤقتة للإنسان؟ أم أن الراحة هي سعادة دائمة أبدية له؟ وهل يحتاج العقل الراحة الأبديَّة مثل الجسد؟ ذلك أنه عندما يحين الوقت، وعندما نغادر هذه الحياة الزائلة المادِّيَّة، لا نغادر إلى السواد، ولا نختفي في العدم، بل إننا لا نعود محصورين بحدود الجسد، بل نصبح أحرارًا في السماح لأرواحنا بالتحليق في رحاب الطمأنينة، وفي فضاء الأبرار.

وما أظنه واعتقده أن للراحة أنواعًا، تبدأ بالراحة النَّفسيَّة، بعيدًا من الزعل والحزن والبكاء على تفويت الفرص، مرورًا بالراحة الاجتماعيَّة، وحسن الظن بالنَّاس، والإحسان إلى من حولنا، وصولًا إلى الراحة الأبديَّة، والإيمان الصادق، والعمل الصَّالح وفعل الخير؛ وعلى الإنسان القبول دومًا بمشيئة الله وعدم الاعتراض، «وعسى أن تكرهوا شَيْئًا وهو خيرٌ لكم»، وهذا يختصر كل مشاهد حياتنا إذا ما آمنَّا في هذا الكلام قولًا وفعلًا، وعشناه في حياتنا، فإنَّنا نصل إلى مرحلة التسليم التام، حينها ستتحقق السعادة والرضى في حياتنا استعدادًا للولوج إلى الراحة الأبديَّة .

ولكن هل أن الراحة الأبديَّة هي في القبر؟ حيث ينتقل بالموت جسد الإنسان من أرض الشقاء والعناء إلى أرض الراحة والنعيم، ورغم رهبة المشهد من دون شك، وتعفن الجسد وعودة التراب إلى التراب، فإن الإنسان المؤمن ينظر إلى جسده على أنه ثوب تخرج منه الروح وتنطلق إلى الحرية الأبديَّة؛ وفي حياتنا المسيحية تقدم صلاة الراحة الأبديَّة العديد من الالتماسات القلبية إلى الله، وهي أن ينظر برحمة إلى النفوس الفقيرة للمغادرين، وأن يشمل برحمته جميع الموتى،

ويخلصهم من الخطيئة حتى ينعموا بالنور الكامل المجيد للحياة الأبديَّة في السماء، وهكذا فإن صلاة الراحة الأبديَّة هي هدية جميلة يمكن أن نقدمها لأحبائنا الَّذين رقدوا على رجاء القيامة، وهذه الصلوات تبقينا على اتصال بهم، وتفيد أرواحهم.

بين فرح القلوب وفرح امتلاء الجيوب.

إن الفرح النابع من القلوب أعظم بكثير من فرح امتلاء الجيوب، ولا يختلف اثنان على حب البشر لجمع المال والسعي الدؤوب في تحصيله، ومهما بلغ الإنسان من درجات الثراء فإنه قد لا يتوقف أو يقتنع عند تحقيق مستويات معينة منه، وذلك لعدّة أسباب منها شخصيَّة، ومنها اعتقادًا أن من واجبه تأمين حياة كريمة لأبنائه في المستقبل، وفي كلتا الحالَّتين، هذا حق مشروع لكل النَّاس، لكن بشرط أن يتم جمع المال وفق طرق قانونية وشرعية، لا تحايل ولا تزوير فيها أو استغلال منصب أو وظيفة.

يروى أنه بعد تولي أبو جعفر المنصور الخلافة ذهب النَّاس لتهنئته بالإمارة؛ وكان بينهم «مقاتل بن سليمان»، أبرز الواعظين في زمانه، فبادره أبو جعفر قائلًا: عظني يا مقاتل، فقال له: إن عمر بن عبد العزيز أنجب أحد عشر ولدًا، وترك ثمانية عشر دينارًا، كُفن بخمسة دنانير، واشتُري له قبر بأربعة دنانير، ووزع تسعة على أبنائه، في حين أن هشام بن عبد الملك أنجب أحد عشر ولدًا، وزعت تركته على ورثته، وكان له أربع زوجات، وكان نصيب الزوجة الواحدة ثمانين ألف دينار من التركة النقدية، والله لقد رأيت في يوم واحد أحد أبناء عمر يتصدق بمئة فرس، وأحد أبناء هشام يتسول النَّاس في الأسواق بعد أن تبخرت أمواله وضاعت، وانتهى به الحال إلى حالة من البؤس والفقر.

لا قيمة لغنى الجيوب مهما بلغت الأرصدة من المال والعقارات والأبنية؛ فالقيمة الحقيقية هي في غنى القلوب وقناعتها وإيمانها، وقيمة المال تكون في طريقة استعماله في العيش حياة كريمة، وتربية عائلة صالحة وتعليم الأولاد، وإدخال الفرح إلى قلوبهم، ومشاركة من حولنا في النعم لسد حاجاتهم الضرورية الملحة، وهذا أجدى وأنفع من تكديس المال، وعلى اللَّاهث وراء جمعه والاستزادة منه بحجة تأمين حياة كريمة للأبناء أن يقف وقفة تأمل، ففي ذاكرتي أكثر من شخص كان يمتلك الملايين، وقد جاهد طَوال عمره لجمعها، وبعد موته قام أبناؤه بتبديدها.

بين السطو المسلح واستعادة الحقوق.

بعد عملية دهم بنك «لبنان والمهجر» في بيروت ونجاح المودعة «سالي حافظ» بالحصول على أموالها بهدف تأمين العلاج لشقيقتها المريضة بالسرطان، نشرت سالي على حسابها الخاص على مواقع التواصل الاجتماعي تقول: «الدَّولة كلها تحت بيتي، وأنا صرت بالمطار بشوفكن في إسطنبول؛ ومن وجهة نظري إن ما جرى اليوم مع «مصرف راحة البال»، وقبلها مع العديد من المصارف هو ردة فعل وليس فعلًا؛ لأن القضاء اللُّبنانيّ في غيبوبة، وما يجري ليس سطوًا مسلحًا، بل استعادة للأموال المنهوبة أو المحجوزة.

إن أخوات «سالي» كثيرات، ونتمنى أن تعي إدارة المصارف هذه اليقظة والوعي عند المودعين، ومراجعة حساباتها قبل تحول المشهد إلى دراماتيكي ودموي، في الوقت نفسه اقتحم المودع رامي شرف الدين فرع بنك البحر المتوسط في عاليه، وهدّد الموظفين قبل أن يأخذ وديعته ويغادر المصرف؛ فهل تكر السُّبحة، والشاطر بشطارته، والقوي بقوته؟ أخشى عدم السيطرة على الوضع؛ لأن النَّاس شبعت كذبًا من «المسائيل» في الدَّولة اللُّبنانيّة المنتهية الصلاحية.

بدوره بنك لبنان والمهجر أعلن أن فرع السوديكو تعرض صباح اليوم لعملية اقتحام مسلح من قبل إحدى عميلات الفرع مع مجموعة من الأشخاص، واحتجزوا الموظفين والزبائن وقاموا برمي مادَّة البنزين داخل الفرع على الموظفين مهددين بحرقهم، وحطموا بعض محتويات الفرع تحت تهديد السلاح، كما استولوا على المبلغ الموجود فيه، وفي ضوء هذا التطور الخطير يهم بنك لبنان والمهجر التأكيد أن ما حصل صباح اليوم هو عملية مدبرة ومخطط لها عن سابق تصور وتصميم.

بين نون النّسوة، وتاء الإناث، والذُّكوريَّة المستترة.

هل تعلمون أيها الأصدقاء، أن الفعل المضارع يظل حرًّا طليقًا بين رفع ونصب وجزمٍ إلى أن يلتقي نون النّسوة، فيُبنى على السكون، حتى صديقي الأستاذ إلياس «الموسوعة» في اللغة العربية، قال ممازحًا: «حتى الفعل المضارع لم يسلم من حواء»؛ وهكذا، فإن الفعل المضارع هو معرَب وليس مبنيًّا إلا في حالتين: إذا اتصلت به نون التوكيد «الثقيلة الدم» ونون النّسوة، وفي الأصل المعرفي وليس اللغوي فإن الفعل المضارع يبنى بسكون النّسوة، أي باجتماع الفعل المضارع ونون النّسوة حتى يكون البناء، وهو حال كل الأفعال بحضور نون النِّساء.

وبناء على ما تقدم، يكون حال الفعل المضارع مثل حال الرّجل المشاغب، يجب أن يقترن بنون النّسوة حتى يهدأ ويعقل؛ وبعد اتصاله هذا يعمد إلى فتح كتاب جديد في حياته، ويقوم بتصفية كُل ما يستنزفه من عَلاقات وصداقات مُجهدة، أو أبواب مُواربة يتسلّل منها الأذى إلى بيته الجديد، ويعطي الأولويَّة لإعادة ترتيب حياته بعد حياة الشغب، ويستمتع بابتسامة حقيقية وحياة جديدة؛ فالروحُ تألف من يطمئنها، كما أن الإنسان المشاغب يمر في حياته في مدَّة مزاجية سيئة، لا يعلم ما هي؟ وما أسبابها؟ ليس متضايقًا، وليس حزينًا، حيث لا يطيق محادثة أحد، ويطلب البقاء وحيدًا، ويطلب التماس العذر لعل صدره يحوي ما لا يستطيع البوح به .

في المقابل، فإن جميع الشبيحة والبلطجية في بلادي تجمعهم تاء التأنيث، وفي الإناث من هم أَرجل منهم كلهم بكثير؛ وتاء التأنيث في اللغة العربية ساكنة، إلّا عند التقاء الساكنين؛ فإنها تُحرّك بالكسر، ولا محل لها من الإعراب، لكن لماذا تكون تاء التأنيث ساكنة غير متحركة؟ ولماذا ليس لها محل من الإعراب؟ ألا يجوز تحريكها؟ ولماذا ليس لها حول ولا قوة، لا لشيء فقط إلا لكونها اقترنت

بالتأنيث، واستطرادًا إلى سؤال مهم: هل الأنثى خلقت لأجل الذكر لكي لا يمل من الحياة وحيدًا؟ ثم ما الجرم الَّذي ارتكبته هذه الأنثى لكي يكون شغلها الشاغل إسعاد الرّجل وتحقيق رغباته؟ بل قل ما الَّذي قدمه الرّجل للخالق لكي يمنحه هذه الهبة، يتصرف بها كما يحلو ويشاء؟ هل هو قدر مكتوب يوجب السير وفقه؟ أم إنه قدر مفروض من قبل المذكر؟

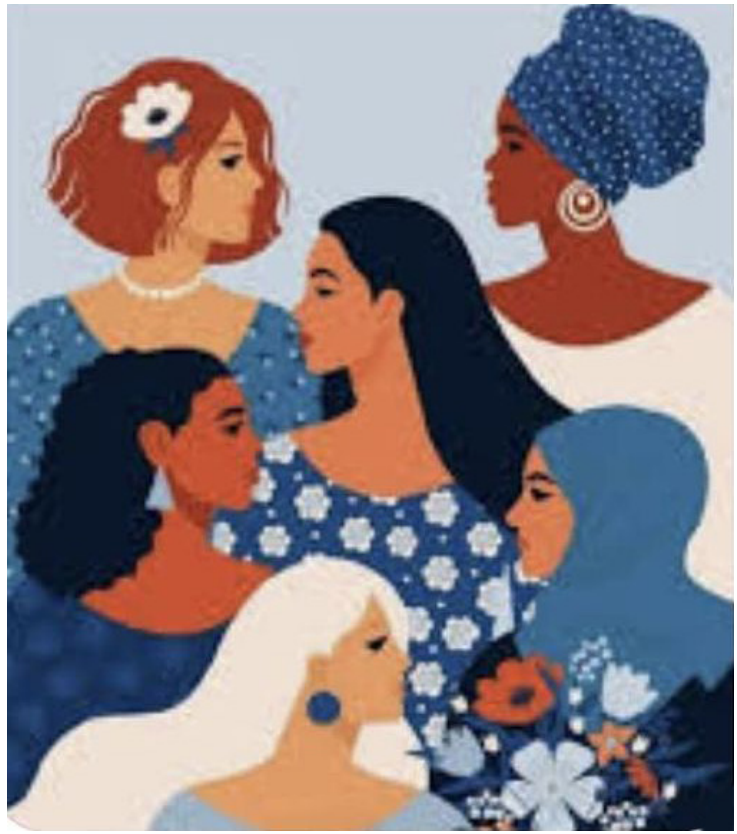

بين سياسي فاسد، وإعلاميّ مأجور.

سألني صديقي منذ يومين: لماذا تصر على التفاؤل بمستقبل لبنان، رغم الضباب الَّذي يغطي سماء هذه الأرض المقدسة؟ أجبته: أنت قلت؛ نعم، هي أرض مقدسة، وسوف ينقشع عنها هذا الضباب قريبًا جِدًّا، وأسرع مما تتوقع، وسوف يُدين التاريخ كل سياسي فاسد، وكما سقط لبنان بين ليلة وضحاها، وانتقلنا من النعيم إِلى «جهنم»، سوف نعود من هناك تاركين حكام هذه الدَّولة الفاسدين هناك، مع محبتي لبعض الوزراء الَّذين مارسوا الحكم، ربما في غير زمانهم، وسوف يبقى لبنان الوطن الجامع لكل الطوائف، وسوف تركل أقدام الشَّعب مؤخّرة كل سياسي خان وعده يومًا، وسوف يقطع عنق كل إعلاميّ فاسد مأجور أو متطرف، وسوف يلعن التاريخ كل من كان نكبة لهذا الوطن بأي شكل من الأشكال.

وإذا كان جبران خليل جبران قد رأى أن وظيفة الصحافة اللُّبنانيّة هي نقل الأخبار، والوقوف إِلى جانب المبادئ الوطنية والعمرانية والسِّياسيّة للبلاد، فإنه لو كان هذا المفكر حيًّا اليوم لكفر بالصحافة اللُّبنانيّة ووظائفها، الَّتي لم تبتعد كثيرًا من الأهداف الَّتي رسمها فحسب، بل باتت تشكل نقيضًا لها، ومن يتابع المشهد الإعلاميّ اللُّبنانيّ في السنوات الأخيرة يدرك ما أقصده، وكلنا يعلم أن عدد محطات التلفزة الفضائية اللُّبنانيّة مبالغ به، ويعود السبب إلى أن كل محطة تتبع حزبًا سياسيًّا، وتعمل وفق أجندته، إِلى جانب المواقع الإلكترونيَّة ووسائل التواصل الاجتماعي، والَّتي أضحت وسائل تواصل «سياسي»، تديرها جيوش إلكترونيَّة، أضافوا إِلى وسائل الإعلام المسموعة والمكتوبة، وما دار في فلكها.

والمؤسف في الأمر أن وسائل الإعلام اللُّبنانيّة تعمل وفقًا لمشيئة رؤساء

الأحزاب السِّياسيّة الَّتي تتبع لها، والأصح تبعًا لمشيئة الدول الَّتي تمولها، ولا تجرؤ على اتخاذ خط سياسي يقارب الموضوعية، وأنا مسؤول عن كلامي؛ في المقابل نجد وسائل الإعلام الإسرائيلية العديدة الناقدة لحكوماتها تتحد في الملمات والأزمات والمعارك الخارجية، وتتجاهل الخلافات الداخلية، وتجتمع خلف قيادتها السِّياسيّة، وفي المحصّلة وجدت أن جميع القنوات التلفزيونية اللُّبنانيّة والمواقع الإلكترونيَّة التابعة لها، وغيرها من المواقع «الدكاكين» تدمر الاقتصاد اللُّبنانيّ وسمعة الوطن لقاء المال، وفيما يتفقون جميعًا على التغني بلبنان، ويمجدون الوطن في العلن، فإنهم يطعنون جسده «ويلعنونه» يوميًّا من خلال ما ينشرون من سموم في الفضاء الخارجي.

بين غنى فاحش، وفقر مدقع، اتَّقِ الله، أبا يوسف.

في الصورة، وداخل صندوق الكرتون هذا، ينام الملياردير البرازيلي سيسيرو الَّذي كان النَّاس يخافون ذكر اسمه لشدة جبروته، صاحب أشهر مقولة: «لو كنت أمشي في الطريق ووقع مني مليون دولار فسأتركها، ولن أضيع وقتي في التقاطها»، وحدث أنه في إحدى المرات وهو جالس مع عشيقته في أحد أفخر المطاعم البرازيلية، تعثر أحد الخدم، وأسقط عليه كوب ماء، فرفض قبول اعتذاره، وطلب من مدير المطعم أن يطرده، عندما علم لاحقًا بأن الخادم لم يطرد، اشترى الفندق والمطعم بما فيه لطرد الخادم لخطأ غير مقصود.

قام أعداؤه باستغلال ابنته الوحيدة القاصر، وإيقاعها في الإدمان، ثم خطفوها، فاضطر أن يهمل مشاريعه ليبحث عنها إلى أن وجدها مقتولة ومرمية في سلة القمامة الَّتي وضعت أمام بيته، مرفقة بورقة معلقة على جثتها مكتوب عليها: «هذا جزاؤك من جبروتك، لك ما اقترفت» وبعد هذه الحادثة فَقَد عقله، وترك عالم التجارة، وأصبح مشرَّدًا في الشوارع، لا يذكر شَيْئًا عن نفسه، وأصبح يسكن علبة الكرتون هذه، والصورة المرفقة حقيقية.

كل النَّاس كانوا يعرفونه ويتصوّرون إلى جانبه، ولم يفكّر أحد في مساعدته؛ لأنهم يقولون لو رحِمَنا وهو عزيز غني لرحِمناه وهو ذليل فقير.ما هذه رسالة إِلى من يتكبر ويتجبر من حولنا، لكم أقول: ارحموا من في الأرض يرحْمكم من في السماء، تذكروا أن الأرض تدور، والله يرى ويحاسب.

LIFE

بين الرجاء والشكر والغفران، خلاص النفوس.

الرجاء في الله هو أعظم رجاء؛ لأنه لا يخذل، «إن إيمانكم ورجاءكم هما في الله» (١بط١: ٢١)؛ لأن الله «يريد أن جميع النَّاس يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون» (١تي ٢: ٤)، والرجاء في المسيح أساس في المسيحية؛ لأنه أعطانا حياة أفضل، وهو القائل: «أما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة، وليكون لهم أفضل» (يو١٠: ١٠)، وفيه الخلاص من سلطان إبليس، وغفران خطايانا والحياة الأبديَّة، «الحقّ الحقّ أقول لكم، من يؤمن بي له حياة أبدية (يو ٦: ٤٧)، والرجاء في السماء مفرح للإنسان، ويعطيه صبرًا واحتمالًا للألم والضيقة، «من أجل الرجاء الموضوع لكم في السماوات الَّذي سمعتم به قبلًا في كلمة حق الإنجيل» (كو ١: ٥)، حيث الروح القدس يعطي رجاء الخلاص والغفران والحياة الأبديَّة .

وهكذا فإن الشكر فى الشدة والتجرِبة يُعين على الخلاص منهما، ويحولهما الله إلى بركة، والفرح فى احتمال التجارِب فيه رجاء وصبر، كما أن عدم التذمر أو الخوف «فرحين في الرجاء صابرين في الضيق» يجعلنا نؤمن أن الله قادر على كل شيء، وأنه يعمل باستمرار لأجلنا، وأنه ينقذنا من كل ضيق، «والله ينجي الَّذي لنا رجاء فيه أنه سينجي أَيضًا فيما بعد»، (٢كو١: ١٠) ولو فقد الإنسان الرجاء، فإنه يفقد معه كل شيء، ويقع فى اليأس والقلق، ويصبح بلا هدف، لذا وجب علينا النظر بعين الرجاء إلى المستقبل فى يد الله، «لنتمسك بإقرار الرجاء راسخًا؛ لأن الَّذي وعد هو أمين». (عب ١٠: ٢٣).

وإذا كان الإنسان لم يختبر الغفران الحقيقي، ولا تزال المرارة مدفونة في أعماق قلبه، فإنه يحتاج إلى خُطوة جِدِّية للتحرر منها، كما أن الكتاب المقدّس هو خير دليلٍ ومُرشدٍ لحل هذه المعضلة، حيث نجد فيه أنّ المسيح هو القُدوة الَّتي

يجب أن نسعى للتمثّل بها، وربما نسأل لماذا؟ والجواب هو أنه عاش ومارس ما كان يقولُه في كلّ مراحل حياته على الأرض بكل تفاصيلها، وقد أَوصى تلاميذه قائلًا في (متّى ٥: ٤٤)، ربّما لا توجد وصيّة من وصايا الرّب يسوع المسيح أصعب من قولِه: «أَحِبّوا أعداءَكم»، لكنه استطاعَ أن يُظهِر محبَّته لأعدائه، لكن كيف؟ ومتى؟ الإجابة عن هذا السؤال هو بالغُفران الحقيقي، شرط أن نرفع قلوبنا إِلى الله برغبة صادقة في طلب يد العَون منه.

بين رحمة السماء، ووحشية بني البشر.

في الصورة جندية أرمينية اسمها آنوش آبيتيان عمرها ٣٧ عامًا، أم لثلاثة أطفال، تعمل في الجيش الأرمني، استشهدت كالأبطال خلال العدوان الأذربيجاني الأخير على شرق أرمينيا، وهي تحارب في الخطوط الأمامية، وفيما يبدو الخبر طبيعيًّا ولا شيء مستغربًا، إذ إنه في الحروب يستشهد الجنود دفاعًا عن أرض الوطن، والشهادة في سبيل الأوطان بطولة، لكن ما تعرضت له جثة الشهيدة آنوش من تنكيل وتقطيع على أيدي الغزاة يعود بالذاكرة إلى زمن البرابرة .

البطلة آنوش جرى فقءُ عينيها ووضع حجارة مكانها، وقطع إصبع يدها ووضع في فمها، كذلك قطّعت أقدامها، وجرت تعريتها من الثياب. وفيما نشرت مواقع إلكترونيَّة آذرية مقطع فيديو يصور الجرائم الوحشية الَّتي ارتكبها بعض الجنود الأذريين، وليتني لم أشاهده؛ كان مئات المواطنين في الجهة المقابلة لأرمينيا يحتفلون بهذه الأفعال الشنيعة عبر تعليقات سخيفة على مواقع التواصل الاجتماعي، وبعضهم كان يعبر عن قلقه من أن يتم استخدام هذه المقاطع من قبل المحكمة الجنائية الدَّوليَّة لاحقًا، وهذا متوقع، وليت القصاص يكون قريبًا.

جريمة آنوش ليست الأولى، فالتمثيل بجثامين ضحايا الحرب هو أسلوب دموي قديم معتمد على مستوى الدَّولة في هذه الجمهورية في القوقاز، هذا هو جار أرمينيا الَّذي أغمض العالم عينيه لسنوات طويلة عن جرائم جيشه، فكيف يمكن التعامل معه؟ المجد الأبدي للشهيدة آنوش ورفيقاتها في درب الشهادة: إيرينا، أليس، سوزانا وكل قافلة الشهداء.

بين بصمة الإصبع وبصمة اللسان، هُويَّة.

تروي قصة في الأدب الفرنسي عن خلاف وقع في الغابة بين ذئب وحمار، ويقال: إنهما اختلفا ذات يوم على لون العشب. قال الحمار: لون العشب أصفر، لكن الذئب قال: لونه أخضر، واشتد الخلاف كثيرًا، وأخيرًا، قرَّرا أن يحتكما إلى ملك الغابة، بدأت المحاكمة وأدلى كل بحجته، وعند إصدار الحكم، إذا بالأسد الحاكم يخيب آمال الحاضرين، فقد حكم على الذئب بالسجن لمدة شهر واحد، وببراءة الحمار؛ استنكر الذئب، وقال: سيدي، أليس لون العشب أخضر؟ قال الأسد: بلى، أجابه الذئب: إذًا لماذا حكمت عليّ بالسجن، وأنا لم أخطئ الرأي؟ قال الأسد: صحيح أنك لم تخطئ الرأي، لكنك أخطأت عندما جادلت حمارًا، لذلك أمرت بسجنك لكي تتعلم أن لا تجادل من لا يستوعب ولا يفهم ومن ليس بأهلٍ لذلك.

الحكمة من هذه القصة، أن لا تجادل إنسانًا لا يستوعب، خاصَّة إذا كان أسير العصبية والطائفية والحزبية والجهل، وما أكثرَهم اليوم! لأنك لن تخرج بنتيجة، بالأخص في هذه الأيَّام اللعينة حيث صار الحمار فصيحًا في العلوم السِّياسيّة، فإذا كانت بصمة إصبعك تميز هُويتك الشخصيَّة عن الآخرين، فبصمة لسانك تميزك في قلوب البشر، فاجعلها بصمة مميزة لا تشبهها بصمة أحد، حتى إنّك إذا أردت أن تكتشف شخصيَّة أحدهم فعليك مراقبة تعليقاته لا منشوراته؛ لأن ثقافة الرد هي معيار العقل، حيث يسهل عليك اكتشاف البشر بين من تنحني له احترامًا، وبين من تشمئز من ردوده وكلماته السَّيِّئة.

وإذا كانت بصمة الإصبع تثبت هُويَّة شخصيَّة الإنسان، فإن بصمة اللسان تثبت حصاد تربيته أَيضًا، وتعدّ البصمة الذكية أهم وسائل التكنولوجيا

بين بصمة الإصبع وبصمة اللسان، هُويَّة.

الحديثة للتعرف إلى الهُويَّة، وذلك لدقتها واستحالة تَكرارها بين البشر، وفي هذا الإطار نشرت مجلة «فوكاس» الإيطالية، قائمة من المعلومات عن البصمة الذكية وخصائصها، وطريقة تشكّلها من آثار تعرق اليد، وتمتاز بصمات أصابع اليد والقدم على حد سواء بأنها غير مرئية، وتتكون من عدد كبير من الموادّ الكيميائية الَّتي تفرزها جلودنا من خلال التلامس مع البيئة، وهذه الموادّ تستطيع أن تكشف صاحب البصمة .

بين بصمة الروح وبصمة القلب، تشابه.

يقول الممثل البريطاني دانيال دي لويس إن الصوت هو بصمة الروح، وأنا أقول: سلام من قلبي لشخص لَمس جدار الروح عند أول لقاء، وسلام لروح لا تزال حية ملأت روحي حبًّا ذات يوم ولا تزال. في الحب أيها الأصدقاء، نجد بصمة الروح أشد وضوحًا من بصمةِ الأصابع، وحدها بصمة من نحب تظل محفوظة في القلب وبين جوارح الروح، نعم، هكذا نجد دائمًا في قلوب من نحب بصمة مميزة لا تشبه باقي البصمات، في المقابل نجد بين المصافحة باليد والمصافحة بالروح، وبين عناق الأرواح وعناق الأجساد، هناك من تراه العين، وهناك من يراه القلب، وحده الَّذي امتلك بصمة الروح لا يستطيع أحدٌ أن يحل مكانه على الإطلاق.

الحب الحقيقي لا يهزه رحيل، ولا يقتله فراق، ولا تقتلع الأحزان جذوره، وكأن صاحب هذا الحب هو عطية من الله وبصمة قدر، ورغم أننا نصادف في الحياة أناسًا تركوا بصمة في قلوبنا، رغم «عجقة» الحياة، لكننا لن ننسى هؤلاء حتى لو ظلمونا أو ظلمناهم، أو كانت قلوبهم قاسية في الحكم علينا، وسوف نبقى نحاول إسعادهم، ونقدر ظروفهم؛ فالقلب الَّذي يحب لا يكره، فما أروع أن تحب شخصًا تظل الروح تأمرك أن تسأل عنه، ويجبرك القلب الاهتمام به، وتلح عليك النَّفس طلب الخير له .

وفي الاكتشافات العلمية الجديدة بات لدى قلب الإنسان القدرة أن يحل مكان كلمات السر وبصمة الإصبع، وسيلة لتحديد الهُوِيَّة، وفق ما كشفته دراسة جديدة، ويحتاج النظام نحو ثماني ثوانٍ لمسح القلب في المرة الأولى، ومن ثَمَّ يمكن التعرف باستمرار إليه، وبحسب ما توصّل له العلماء، تُسجل التقنية الجِدية شكل القلب وحجمه، وكذلك كيفية تحركه، ويمكن أن يُستخدم مع الهواتف الذكية وفي المطارات، وكان في وقت سابق قد قام باحثون من جامعة «بوفالو» بتطوير نظام أمن إلكتروني يقوم باستخدام أبعاد القلب لتحديد هُوِيَّة الشخص.

بين الانتظار القاتل ومرور قطار العمر.

في الوطن اللُّبنانيّ الصغير بمِساحته، والكبير بشعبه، سئمنا من الانتظار، سئمنا من الخيبات، سئمنا من كذب رجال السياسة، سئمنا طوابير الخبز والبنزين، سئمنا القيادة ليلًا على طرقات الموت المظلمة مثل قلوب حكامنا، وفيما ننتظر الأمل القادم بشوق كبير، نسأل: ماذا لو ذهب العمر في الانتظار؟ هل سيكون لنا نصيب من الندم على ذهابه؟ لذا دعونا نتحرك ولا ننتظر ضياع الفرص قبل مرور العمر في محطات الآخرين، فالانتظار مقلق للغاية؛ لأنه يحمل شهورًا وسنين من الانتظار إلى أن يمضي العمر، ويكون فيه الإنسان قد مات، وفي قلبه أمنيات انتظَرها طويلًا ولم تتحقق.

وقد يصدف في العُمر أن يخلق الله في قلوبنا حُبًّا بلا سبب «لأرض ما ومكان ما»، اسمه الوطن، فكيف إذا كان هذا الوطن هو لبنان الَّذي ينجذب إليه العالم وتألفه الروح، وكل من يعيش الغربة يجد فيه الأمان عند اللقاء به، والاشتياق بعد الوداع واللهفة مع الانتظار؛ والجميل أننا جميعًا إذا ابتعدنا عن هذا الوطن فإنَّنا نشعر بالاشتياق إليه، وفيما يمضي العمر، يعيش المغترب اللُّبنانيّ بين الانتظار القاتل والذكريات الجميلة لصيف لا ينسى في هذه الجنة على الأرض، ولا يواجه مشكلة في الانتظار حتى قدوم صيف آخر، وقد يكون من الأجدى لكل مهاجر صار في مقتبل العمر أن يتوقف عن الانتظار، وأن لا يجعل العُمر يَمُرّ، وهو إما يركض بلا جدوى، أو ينتظر بلا نتيجة، وهل الحل بالعودة؟ والجواب: نعم.

وفي جردة حساب بسيطة يبدو لي أن أمورًا كثيرة سرقت منا الحياة في لبنان وبرضى منا، ودون أن نعرف في غالب الأحيان، مثل التردد والانتظار والخوف من آراء الآخرين، والمجاملات الزائدة، لذا وجب علينا أن نعيد حساباتنا في ما

يسرق حياتنا، ولم أجد أجمل من قول جلال الدين الرومي للتعبير عن ذلك حين قال: «واعلم أن كل نفسٍ ذائقة الموت، لكن ليس كل نفس ذائقة الحياة»؛ وهكذا نلاحظ أن شباب لبنان هذه الأيَّام قد دخلوا في كوما الانتظار القاتل، والخوف من المستقبل، وباتوا يعيشون صراعًا مع عقارب الساعة، حيث ارتدت قلوبهم سهام الانتظار القاتلة، وارتدى الوقت ثوب اللامبالاة، وراح يمضي مثل رياح باردة في شتاء تكاد تجمد الأوصال من شدة الأنين، وصرخات القلب ترتفع بصمت، ولكن ليس من سميع، ولا من مجيب.

بين العاطفة والعقل والصراع الأزليّ.

بين النبضة والنبضة نعيش مشاعر عميقة وكتلة من الحنين والاشتياق والعفوية والجنون، وهنا العاطفة وموطنها القلب، وبين الخطوة والخطوة نعيش فلسفةً عميقةً وكتلة من الحسابات وخططًا وبدائل، وهنا المنطق وموطنه العقل؛ وهكذا فإن العاطفة هي أسلوب حياة يقوم العقل بمعالجة المواقف الناتجة عن أفعالها، حتى إن أصعب أنواع القرارات هي الَّتي تدور بين العقل والعاطفة، لذا صديقي، عندما تقع في الحياة بين خِيار القلب والعقل عليك اتباع عقلك؛ لأن العاطفة ليست بجانبك على الإطلاق، بل هي نقطة ضَعف تُستغل ضدك وتأخذك إلى الخيال، أما العقل فهو دائمًا يعمل إلى جانبك، ويأخذك إلى الواقع .

في التاريخ رأى الفيلسوف اليوناني سقراط، أنَّ العقل يجب أن يسود على جميع الأحاسيس الأخرى، وعليه يجب أن يكون صاحب الحلِّ والربط والكلمة الأخيرة في جميع المسائل اليومية للمواطن اليوناني، تاركًا العواطف وسلطانها للعبيد والوافدين على أثينا، كما أنه جرَّد فئة الحرَّاس من العواطف نهائيًّا، يراها عائقًا أمام الإبصار بوضوح، وهذا ما قد يجعل المدينة أن تكون مهددة، وفي مرمى الأخطار، بدوره أفلاطون قام بإقصاء جميع الشعراء الناطقين باسم العاطفة مِن أروقة أكاديميته، كما استمر أرسطو على هذا النهج العقلي ذاته، رغم اعتراضه على الكثير من آراء سقراط وأفلاطون معًا، مؤيدًا فيثاغورس هذا الفيلسوف الَّذي أعطى الكلمة الأولى والأخيرة لتلك الأشجان الَّتي تولد داخل الإنسان .

ولكن ثمة سؤال يسأل: هل أن العاطفة تتغلب على العقل عند النِّساء، فيما يتغلب العقل على العاطفة عند الرجال؟ وفي الحقيقة تبدو نصيحة مهمة بأن ما يتركه الإنسان بالعقل لا يجب أن يعود إليه مهزومًا بالعاطفة حتى لا يندم، وإذا

كان القلب يمثل العاطفة، والعقل يمثل الحقيقة فلا بدَّ من أن يكون هناك توازن بينهما؛ لأن اتباع أحدهما سيؤدي إلى خلل في التوازن النَّفسي والفكري، على أن اكتشاف العقل لبعض الحقائق متأخرًا يشكل ضربة موجعة لحُلم لم يكتمل، أو حقيقة غيبتها العاطفة المؤقتة عن الواقع والعقل، وتصبح الحياة حينها أشبه بالموت البطيء، حتى جبران خليل جبران فإنه حين سألته العرافة قائلة: هات حدثنا عن العقل والهوى، أجابها قائلًا: «كثيرًا ما تكون نفوسكم ميدانًا تثير فيه عقولكم حربًا على أهوائكم، وإنني أود أن أكون صانع سلام في نفوسكم»؛ وهكذا فإن العقل مِثل الدواء المرّ، وعلى المريض أن يتحمَّل مرارته مِن أجل شفائه .

بين الجنة الوظيفية في الماضي والحاضر المرير.

تخيّل أن يقال لك وأنت في الوظيفة: «مكافأتك بعد التقاعد ثلاثون دولارًا شهريًّا، أي ما يعادل دولارًا واحدًا باليوم، بشرط أن تكون ذا سيرة حسنة في حياتك الوظيفية»، وبالفعل هذا ما حصل مع الآلاف من المتقاعدين في القطاع العام والسلك العسكري، وغيرها من الوظائف العامة الَّتي قضى أصحابها العمر بكل تفانٍ في خدمة هذه الدَّولة «المزرعة» الَّتي أكل حكامها الأخضر واليابس بعد انتقالهم من المتاريس إلى القصور وتقاسمهم السلطة، وصار الكلام عن هذه الدَّولة مكررًا مرات عديدة، والضرب بالميت حرام.

في عز تقشف الثمانينيَّات، ورغم الانهيار الحاد للليرة اللُّبنانيّة وقتها أمام الدولار الأميركي، ورغم كل الاستقطاعات الَّتي أقرتها الحكومات آنذاك في قطاعات عديدة، وحدها المؤسسة العسكرية لم يتم التعرض لأبنائها بأي استقطاع من رواتبهم، بل زادتهم وأعانتهم، ولم تلغَ امتيازاتهم الوظيفية؛ لأنهم حماة الوطن، وفي السياق ذاته نسأل: أليس المعلمون من حماة الوطن أَيضًا من الجهل والتخلف، وهل يعقل أن يكون المعلم صاحب أجر زهيد، وهو الأب للأجيال الطالعة يفني العمر في سبيل مهنة كان اسمها رسالة، وصارت «عملًا بالسخرة».

في هذه الأيَّام يبلغ حجم القطاع العام في لبنان ما يفوق ٣٠٠ ألف موظف، ما يعني انتفاخًا في «توظيف المحسوبيات»، وكان ذلك واضحًا وجلّيًا في الموازنات الَّتي كانت تلحظ تقديمات سخية لموظفي هذا القطاع، وضَعفًا في الواردات والالتزام الضريبي، وتغطية الخسائر الكبيرة في مؤسسة كهرباء لبنان بسبب سوء الإدارة والإهمال في الجباية، وبلوغ الدَّين العام مستويات غير مسبوقة في تاريخ لبنان، ما أعطى مؤشرات واضحة وقتها لما هو عليه الشَّعب اللُّبنانيّ

اليـوم مـن أيـام صعبـة ماليًّـا، عـلى أن الحـل بحسـب رأيـي، هـو بإجـراءٍ لا بـد منـه، وهـو تقليـص القطـاع العـام في لبنـان إلى ٣٥ ألـف موظـف مـع الأخـذ بالحسـبان تحـوّل المصروفـين مـن الوظيفـة العامـة إلى معارضـين لمـن عيَّنهـم، إنـما مصلحـة الوطـن تبقـى فـوق مصلحـة أهـل السياسـة «ومـا بقـى بدهـا مسـايرة».

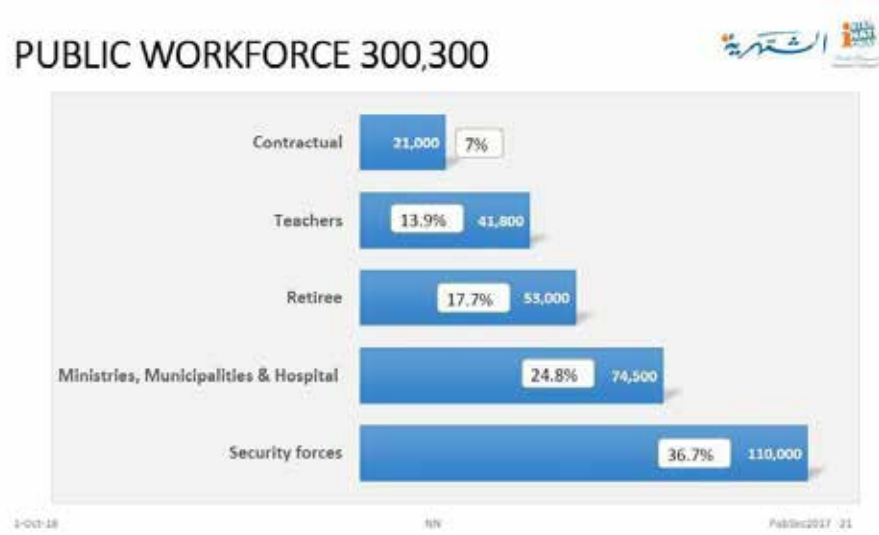

بين زورق ونعش، نزيف وجنون جَماعيّ.

تشتم رائحة الموت في لبنان في كل مكان، من موت الضمير، إلى موت الرّاحة النَّفسيَّة، إلى موت الأخلاق، إلى موت القيم، وصولًا إلى موت الإنسان؛ ويبقى هذا الوطن مفتوحًا على كل الأزمات، ومنها أزمة المتاجرة بالبشر والهجرة غير الشرعية عبر البحر، مع تسجيل تقصير كبير من الأجهزة الأمنية في مكافحة عصابات التهريب، وتقصير أكبر من السلطة السِّياسيّة في العمل على معالجة جذور المشكلة، نظرًا إلى صعوبات العيش وانسداد الأفق الَّتي يعاني منها المجتمع اللُّبنانيّ، وبالأخص سكان مدينة طرابلس، المدينة الأفقر على حوض البحر الأبيض المتوسط بسكانها، والأغنى برجال السياسة فيها، وكلنا يعرف القاعدة العامة الَّتي تقول: إنه كلما ازداد غنى الحكام، ازداد فقر الشَّعب، وطرابلس الفيحاء خير دليل .

ورغم أن عمليات البحث والإنقاذ لا تزال مستمرة، وفي حين أعلن التلفزيون السوري أن عدد ضحايا قارب الموت الَّذي انقلب قُبالة مدينة طرطوس، بعد إبحاره من لبنان، ارتفع إلى ٩٤ ضحية من أصل ١٥٠ مفقودًا بعد انتشال عدد من الجثث من شاطئ بانياس عند ساحل البحر المتوسط، معظمهم من النِّساء والأطفال الَّذين تمت المتاجرة بأرواحهم، وما يحصل ليس هجرة غير شرعية بقدر ما هو هروب ونزيف جماعي أو جنون جماعي، وهو مماثل لما يحصل في معظم دول البحر المتوسط من ليبيا وتونس والمغرب، وصولًا إلى الجزائر الَّتي تشهد هذه الأيَّام نزوحًا كبيرًا نحو أوروبا هربًا من الأوضاع المزرية الَّتي تعرفها البلاد؛ فالأوضاع الاجتماعيَّة خانقة جِدًّا هناك، وحين نسأل الجزائريين: أين هي أموال البترول والغاز؟ يأتي الجواب: إن هذه الأموال تم تبذيرها على جبهة البوليساريو، وعلى شراء الذمم .

معالجة مسألة الهجرة غير الشرعية، والتصدي لشبكات الاتجار بالبشر، وعدم التوظيف السِّياسيّ لهذا الملف، معضلات تحتاج إلى حلّ. وإذا كانت الدول الأوروبية تسعى لمعالجة مشاكل الهجرة واللجوء، فإن عليها معالجة جذورها، سواء أكانت بتطوير وتعزيز آليات وخطط التدخل الإنسانيّ في حالات الكوارث والنزاعات، أم بالدعم الاقتصادي والتعاون مع السلطات اللُّبنانيّة من أجل ردم الهوة الآخذة في الاتساع بين فئات الشَّعب الفقيرة والغنية، وفي نظرة شاملة للأزمة، ومن دون معالجة فاعلة، فإنها ستبقى تؤرق العالم، ولن تنفع معها الحلول المبتورة، وسياسات الكسب السِّياسيّ القصيرة الأمد، إشارة إلى إحصاءات تؤكد ارتفاع العدد التراكمي للاجئين في العالم لما يزيد عن ٨٢ مليون إنسان، يستضيف لبنان منهم ما يقارب مليوني لاجئ سوري، يستنزفون من ميزانيته ما يفوق ٥ مليار دولار سَنَوِيًّا، فيما تشهد معظم أرجاء الدَّولة السورية رخاءً أمنيًّا، ولا موانع أمنية أو لوجستية من عودة الأطفال والنِّساء، إذا ما سلَّمنا جدلًا أن الرجال يعملون في السوق اللُّبنانيّ منذ ما قبل الأزمة السورية، ولا مشكلة في مراقبة عملهم تبعًا للإقامات السنوية الَّتي يمنحها الأمن العام، ولإجازات العمل الَّتي تمنح من وزارة العمل على غرار الجنسيات الأخرى العاملة في لبنان .

بين حب الله للمحسنين، وحب المحسنين للفقراء.

لـن ينسـى الله سـكوت عبـده عـن الألم وكتمانـه العتـب وتحملـه القهـر، وكلـما أحسـن الإنسـان فعـل ذلـك، فإنـه يجـب عليـه أن يتذكـر دومًـا حـب الله للمحسـنين، وبقـدر مـا يكـون الإنسـان نقيًّـا مـن الداخـل، بقـدر مـا يمنحـه الله نـورًا ويحبـه النَّـاس، وتأتيـه مطالبـه مـن حيـث لا يعلـم. نسـألك اللهـم أن تمنـح عبيـدك قلوبًـا نقيـة. وحـين يفـسر الإنسـان حـب الله للمحسـنين فلسـفيًّا، منطقيًـا أو اقتصاديًّـا، فإنـه سـوف يجـد القضيـة صحيحـة، لـذا إيّـاك صديقـي، أن تعيـش لنفسـك فقـط؛ فقمـة السـعادة تكمـن في مـدى نفعـك للآخريـن وأثـرك فيهـم، والله يحـب المحسـنين شرط أن يحسـنوا، لذلـك عـش حياتـك عـلى مبـدأ: كـن محسـنًا وإن لم تلـقَ إحسـانًا.

وفي حـين دعـت الديانـات السـماوية إلى الإحسـان، فـإن ذلـك يبـدو واضحًـا في الديانـة اليهوديـة مثـلًا بالقـول: «إن الأرض لـن تخلـو مـن الفقـراء، لهـذا أوصيكـم أن تحسـنوا عـلى أخيكـم المسـكين والفقـير والمقيـم في أرضكـم»، كـما أن المسـيحية أقـرَّت أن «مـن يعـرف أن يعمـل حسـنًا ولا يعمـل، فذلـك يحتسـب خطيـة لـه»؛ أمـا في الإسـلام فـإن آيـات الإحسـان والمحسـنين واضحـة خمـس مـرات في القـرآن، «وأحسـنوا إِن اللهّ يحـب المحسـنين»؛ وهكـذا نجـد جوهـر الإيـمان واحـد ومحبـة الفقـراء وعمـل الخـير. والإحسـان موجـود في المسـيحية منـذ قيـام البشريـة، فلـو أخذنـا اسـم (آنـا Anna)، وهـو مـن الأسـماء المنتـشرة بكثـرة في أوروبـا، وبشـكل لافـت في أرمينيـا، وهـو اسـم مُحـرف مـن الاسـم العـبري «هانـا» أو «حنـة»، ويعنـي المجـد أو الإحسـان، وهـو مـن الأسـماء المقدسـة الَّتـي وردت في الإنجيـل، واسـم والـدة القديسـة مريـم العـذراء .

وفي لبنـان لا يـزال مفهـوم الرعايـة أو الحمايـة الاجتماعيَّـة للمواطنـين شـبه معـدوم تقريبًـا عـلى المسـتوى الرسـمي؛ فالرعايـة الصِحِّيَّـة، والمسـاعدات لـذوي

الإعاقة من اللُّبنانيّين لا تزال غير متاحة، كما أن ما يقارب ٥٠٪ من اللُّبنانيّين لا يستفيدون من تقديمات الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي، ويعيشون خارج أي نظام تأمين صِحّي، حتى إن المسنين والمزارعين والعاطلين عن العمل هم جميعًا خارج إطار التغطية الاجتماعيَّة الرسمية، وفي حين نجد المحسنين في لبنان والانتشار حول العالم يقدمون أجمل لوحة تضامن اجتماعي مع الطبقة الفقيرة في لبنان، إضافة إلى عمل جبار للجمعيات الخيرية المحلية والأجنبيَّة، والدور الكبير الَّذي تقوم به الكنيسة المسيحية والمقاصد والمبرات الإسلاميَّة، ومؤسسات البر والإحسان في العناية بالفقراء في ظل تقصير وغياب للدولة .

بين إغفاءة العين وإيقاظ النبض، حب لا يموت.

بين إغفاءة العين ويقظتها تنقضي لحظاتٌ أو تنتهي حياة، لذا السؤال: ما هي المشاعر الَّتي تحول بين القلب وإغفاءة العين؟ وبرأيي الشخصي، فإن العديد من الأشخاص يعرفون عقولهم ولا يعرفون قلوبهم، يعرفون المصلحة ولا يعرفون العطاء، وعليه، فإن من لم يجاهد عقله في سبيل قلبه فلن يعرف الحب في حياته، لذا يجب على الإنسان أن يوقظ شعور الحب في داخله حتى لا يغفو؛ لأنه لولا هذا الشعور لكان النَّاس الآن يعيشون مثل «الدمى المتحركة» .

ولأن الموت هو أكبر مصيبة قد تحدث للإنسان، ولأنه يدفن معه آخر فرصة لتصحيح أخطائه، فإن موت شخص ما في قلوبنا، فيما هو لا يزال حيًّا، فهذا بالتأكيد فرصة لنفض غبار الغضب عن العَلاقة، ومحاولة جيدة لإيقاظ النبض فيها، أو فإنّنا نقضي العمر ونحن نجول على أطلال ذكرياتنا، وكأننا نميل إلى إيقاظ الشوق الدفين في داخلنا، ونعذب به النبض، وتبقى الحكمة بعدم رؤية الأمر شخصيًّا، وبما لايمس الكرامة، إنما في أن نمتلك جرأة الإقدام على إيقاظ النبض الَّذي أدمن الخفوت .

في الحياة تعانق أرواحنا أرواح أشخاص يجعلون النبض يرتبك أحيانًا، حتى صرنا نظن أننا لن نستفيق بعدها من خمرة الشعور، ومن ثَمَّ يمضي هؤلاء في حياتهم، وكأن شَيْئًا لم يحدث، وكأن قلبًا لم ينكسر، وربما هم على حق، فلا سلطة لنا على قلوبنا؛ لأنها تنبض لمن أرادت، ومتى أرادت، وكيف ما أرادت؛ وفي المحصلة فإن بعض من نلتقي بهم في الحياة ينبض لهم القلب، وبعضهم الآخر ينبض القلب بهم، وبعض الَّذين أعنيهم هم النبض بحد ذاته؛ فالروح للجسد، والنبض للقلب والسلام .

بين الغموض والكتمان، والغضب وردة الفعل.

حتى لو كان الصَّمت يُسرب الكثير من الكلام، كما يقولون، فأنْ لا يعرف أحدٌ الكثير عنك، فهذا أمر جيد بالطبع؛ فالغموض قوة، «واستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان»، لذا علينا أن لا نذهب كثيرًا في عاطفتنا في هذه الأيَّام، وأن نعلم أن الإحسان هو تعامُل وليس تبادُلًا، فليس كل من نعدّه صديقًا نجده كذلك في الأزمات، ولو راجع الإنسان كل مواقف الغضب في درب حياته لوجد أن الغضب وحده هو مصدر كل شر وكل ضر أصابه، لذا علينا بالصبر والصَّمت في الحديث مع النَّاس، والحديث أكثر مع الله والصلاة حتى مرور هذا الزمن الصعب.

إنَّ تحلينا بالصبر في لحظة غضب، حتمًا سوف ينجينا من الندم، وما كان ينصحنا به أهلنا لعلاج الغضب ونحن صغارٌ من تأخير ردة الفعل كان درسًا مفيدًا لنا؛ وهكذا، ومن حيث لا نعلم، فإن الأمر الَّذي كرهنا حدوثه ذات يوم صار مفتاحًا لما نحب، وتلك العثرة الَّتي أوجعتنا فإنها أخذتنا إلى آفاق رحبة لم نكن نفكر في سلوكها، وذلك الألم الَّذي أنهكنا كان لنا خيرَ معلّم، وأهدانا الحكمة الثمينة لندرك أن العطاء قد يأتي على شكل ابتلاء، وأن لُطف الله يُسَاق بأشكال عديدة إذا أحسنَّا الظنّ به .

وهكذا حين نستفيق، «وتروح السكرة وتأتي الفكرة»، ويجد من حولنا أن ملامحنا وطريقة تعاملنا وأسلوب تعاطينا مع الآخرين قد تغيرت كثيرًا، ربما نتيجة معركة داخل أنفسنا لا يراها ولا يشعر بها غيرنا، ولن يتمكن النَّاس من معرفة ماذا أصابنا أو طرأ علينا؛ تلك كانت معركتنا مع الحياة؛ لأننا لم نهتم لآراء أحد، وتركنا الله يتدبر أمرنا، فهو وحده الَّذي منحنا القوة والصبر لمواجهة الضَّعف والانتصار في هذه المعركة، واستطاع إقناعنا بأننا أشخاصٌ صالحون وأحباء له، ولم يترك مجالًا للأفكار السَّلبيّة أن تسيطر علينا، بل جعلنا نواجه كل العوائق والمخاوف بشجاعة وعزم وإرادة قوية .

بين عذاب الفقر وعذاب الضمير وعذاب الآخرة.

كل الأحاديث عن عذابات الشعوب في العالم اختصرت في ما عاينت في عذابات شعب لبنان؛ وإذا كان قد كتب للعديد من شعوب الأرض أن تعيش حياتها بكل بساطة ورفاهية، إلا أن شعب لبنان كتب له أن يقاسي عذابات لا تحتمل، وهنا السؤال: هل فُرض على الإنسان أن يعاني كل هذه العذابات الأرضية من أجل أن ينعم بالجنة؟ وإذا كان قلبي يتعاطف مع بعض رجال الدين في تبني هذا الكلام، لكن عقلي يرفضه ويقول: لا، فنعيم الآخرة أمام عذابات الأرض لا تستهويني.

قرأت في كتب التاريخ، أن «يوسف» قد أنقذ شعبه في مصر والبلدان المجاورة من المجاعة والعذاب البشري ولم يعذبهم، كذلك فعل يسوع المسيح الَّذي افتدى البشرية بالصليب، وأنقذها من العذاب الأبدي، وأجرى مصالحة بين البشرية والآب السماوي، وأعاد لها مجدها الأوَّل وأدخلها الفردوس، وقد تعذب هو، ومنع العذاب الأرضي عن البشر؛ ولأن هذا العذاب بات لا يطاق، فإن انتظار الموت عند بعض اللُّبنانيّن بات أصعب من الموت نفسه، وباتوا يتمنون لو يأتي الموت؛ لأنه بالتأكيد فيه راحة لهم، ربما أكثر من العذاب الأرضي والبشري حسب اعتقادهم .

ولا يختلف اثنان أن عذابات شعب لبنان سببها موقعه الجغرافي، وطمع القريب والبعيد فيه، وبالتأكيد ضعف إرادة وشخصيَّة القيمين عليه، وولاؤهم للخارج؛ وإذا كان لعذاب الفقر رب يرحم هذا الشَّعب، فهل من يخبرني عن عذاب ضمير هؤلاء الحكام الَّذين تسلطوا على رقاب البشر بحكم القانون؟ ألا يخاف هؤلاء برأيكم المثول أمام الله يومًا ما؟ مع قناعتي أن معظمهم لا يعرف

الله، وإذا كنا نعيش على أمل معجزة بقيامة لبنان وخلاصه من عذابات الجلجلة، وانتصار رسالته بالحياة؛ لأنه أرض مقدسة ومنبت للقديسين، فإنه كفى ما تحمله هذا الشَّعب الَّذي تعمّد بآلام المسيح وحمل صليبه. ونسأل الله الخلاص من هذه الطغمة الحاكمة في لبنان الَّتي أغرقت البلاد في الحضيض، على أمل أن نحظى بفرصة استعادة الوطن في وقت قريب.

بين كتمان علة، والموت فيها.

إذا كان كتمان الشعور هو علة النَّفس، فالشوق أَيضًا هو علة الكتمان، وفيما أُصارعُ أفكاري ومشاعري ونفسي بعد أن أدركت بأنني ظلمت نفسي عندما أجبرتها على كتمان ما كانت تشعر به، وأدركت أَيضًا بأنني لا أستطيع البكاء مهما حاولت، وصرت أشعر أن قلبي يؤلمني بشدة، وكأنَّ به علةً، وإذا كان الصَّمت علة فإن أكثر الأشياء إرهاقًا للنفس هو كِتمان ما نحن بحاجة إلى قوله، وكم من قلوب قتلها الصَّمت! وكم من علة نبتت من كتمان!

صادفت في حياتي أشخاصًا أصحاب قلوب بيضاء نقية، لا تحب كتمان أي شيء، وحين كان هؤلاء لا يجدون من يشتكون إليه أو «الفضفضة» أمامه، كانوا يتجهون إلى أقرب كنيسة أو مزار يقفون أمامه، يشتكون علَّ الله يسمعهم، وبذلك يفرغون كل الشحنات السَّلبيّة، وكنت أرى دموعهم تنهار فرحًا بعد أن يسلِّموا أمرهم لله، ويبدو أن عدم التعبير عما يكتم به القلب من تنفيس أو اعتراف لطرف آخر، أو معالجة الجراح المكتومة، فإن ذلك يدمر النَّفس، وإن إفراغها أو التسليم بها لمشيئة الله هو من أفضل الحلول للاستمرار في الحياة.

كما وجدت أن الكتمان أشبه بالنزيف الداخلي لا يلاحظه أحد، لكن ألمه يرهق صاحبه، ونسأل الله أن يعين قلبًا باتَ الكتمان شهيقهُ وزفيرهُ؛ وفي الخلاصة، يبدو أن لا أحد يشعر بما تشعر به أنت صديقي القارئ، حتى لو أمضيت ساعات تشرح لهم شعورك وما تمرّ به، فهم لم يلمسوا قرارة قلبك، ولم تصلهم حرارة دموعك، لذلك إياك أن تلجأ إِلى صدور النَّاس لتنفض عن نفسك غبار الكتمان، فصدورهم أضيق من أن تتحمل زفراتك، وليكُن الله ملاذك، يحلّ على صدرك الاطمئنان.

بين رعونة الشباب واتزانه، حوادث سير قاتلة.

القيادة ذوق وأخلاق ومراعاة لسلامة النَّاس على الطرقات لا للاستعراض، وفيما تتزايد الحاجة إلى قانون سير صارم يحد من رعونة بعض السائقين وفوضوية سير السيارات والفانات والشاحنات، و«فائض القوة عند سائقيها»، وصولًا إلى الدراجات النارية والهوائية و«التوك توك»، وطريقة سيرها على الطرقات العامة، وعدم احترامهم لأبسط قواعد قانون السير، والسؤال إذا كنا نستفيق يوميًّا على أخبار عن أبشع حوادث الطرق، من يتحمل المسؤوليَّة عن حوادث السير المميتة؟ هل تردي البنية التحتية في لبنان تتسبب بوقوع هذه الحوادث القاتلة؟ أم مهندسو الطرق؟ أم إصدار رخص سوق بالواسطة، ومن دون اختبارات؟

بالطبع، فإن جميع هذه العوامل مجتمعة هي أسباب المجازر الَّتي تحصل على طرقات لبنان يوميًّا، وتحصد الآلاف سَنَوِيًّا، لكن رعونة السائقين المجرمين بحق أنفسهم، وبحق الأبرياء على الطرقات هي الأخطر، خاصَّة أن هؤلاء السائقين يرون أنفسهم في سباق الفورمولا، زدْ على ذلك سوء الطرقات من زفت وإنارة وتجهيزات سلامة عامة مفقودة، وعدم احترام قانون السير والفساد في تنفيذه، وثقافة شعب يتحدث بالهاتف الخلوي خلال القيادة، وإهمال المارة المشاة، وعدم تأمين سلامة مرورهم فوق جسور المشاة، وعدم تأمين وسائل الأمان للسيارات من تفقد الفرامل وتبديل الإطارات وغيرها، وبالتأكيد استهتار في تصرفات السائق نفسه وسلوكه، وغياب نظام متطور للسير.

وفيما يقف لبنان عاجزًا عن تعهّد السلامة العامة على طرقاته، نجد في إحصاء متواضع أن نصف المصابين بحوادث السير هم تحت عمر الثلاثين سنة، فيما يتجاوز عدد ضحايا حوادث السير في العالم المليون وثلاثمئة ألف شخص

سَنَوِيًّا، ويتعرض نحو عشرين مليون شخص آخرين لإصابات غير مميتة، علمًا أن العديد منهم يُصاب بعجز دائم، وتتسبّب الإصابات الناجمة عن حوادث السير في خسائر اقتصاديَّة فادحة للأفراد وأسرهم ولحكومات الدول، والحل يكون بالحزم وتطبيق عقوبة السجن للمخالفين، بدورها الحكومة البريطانية تعتزم تشديد العقوبات ضد «رعونة السائقين»، بحيث تصل من ١٤ سنة سجن، إلى السجن مدى الحياة، وتشمل السرعات العالية واستخدام الهاتف أثناء القيادة.

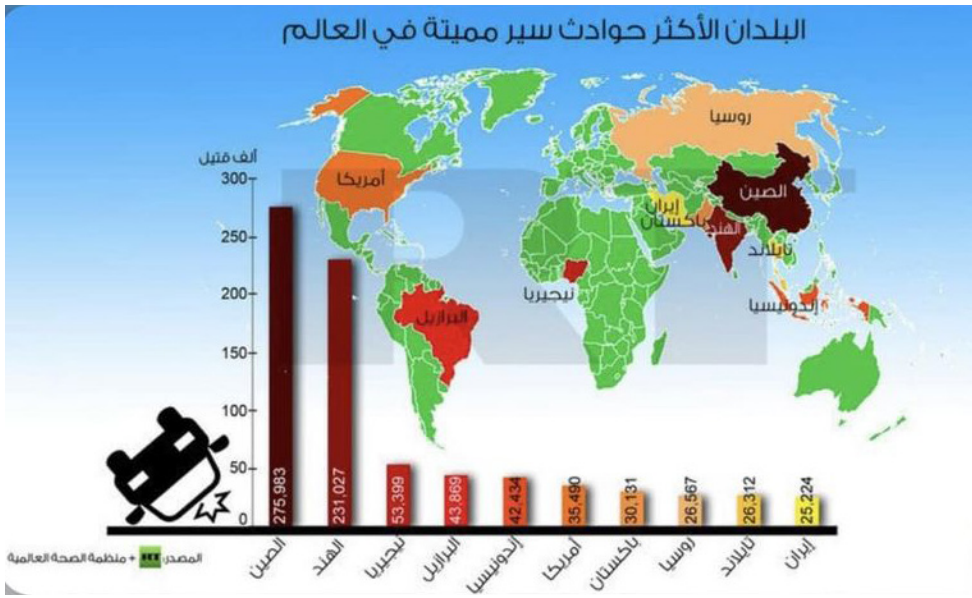

بين الظالم والمظلوم، وفك الطلاسم.

لـولا الحيـاء والمسـتحى وجـرح الشـعور، لكنـت سـمَّيت الأشـخاص بأسـمائهم؛ ثـمَّ إن الظـالم لا يمتلـك مـن القـوة مـا يسـتعبد بهـا البـشر، لكنـه يمتلـك مجموعـة مـن الأزلام، مثـال رجـل أمـن أحمـق، وإعلامـيّ منافـق، وقـاضٍ فاسـد، ووزيـر كاذب، وموظـف مرتـشٍ، يروجـون لـه بـكل مـا يرهـب النفـوس، ويزرعـون الخـوف في القلـوب، ويجـبرون الموظفـين الأوادم في الإدارة أن يخضعـوا ويستسـلموا لظلمـه وعبوديتـه منـذ سـنوات طويلـة، ومـن أفظـع أنـواع الظلـم وأشـدها عجبًـا أن يـؤدِّي الظَّـالم دور الضَّحيـة في إطلالاتـه الإعلاميّـة، وحلقـات «التـوك شـو» المدفوعـة الثمـن مسـبقًا، ويتهـم فيهـا المظلـوم بأنـه هـو الظـالم، لكـن كيـف ينـام هـذا الظـالم، وهـو يعلـم أن الله يـرى ويعلـم كل شيء؟

المعركـة ذاتهـا منـذ بدايـة البشريـة حتـى يومنـا، هـي معركـة بـين الحـق والباطل، معركـة بـين الظـالم والمظلـوم، لكـن الظـالم خـاسر مهـما كان جبَّـارًا عاتيًـا، حتـى لو مشـى خلفـه كل الأزلام والمأجوريـن، فإنـه سـيأتي اليـوم الَّـذي يرتـد فيـه ظلمـه إِلى نحـره، واعلمـوا أن الله يُمهـل ولا يُهمـل، وكلـما اشـتد الظلـم، وارتفعـت وتيرتـه، كان سـقوط الظـالم مدوِّيًـا، ولنـا في التاريـخ أمثلـة كثيرة؛ وخـير كلام هـو للإمـام عـليِّ بـن أبي طالـب حـين قـال: «إذا رأيـت الظـالم مسـتمرًّا في ظلمـه، فاعـرف أَنَّ نهايتـه محتومـةٌ، وإِذا رأَيـتَ المَظلـومَ مُسـتمرًّا في مُقاومتِـه، فاعـرف أن انتصـاره محتـوم».

وفي الحيـاة يميـل الجميـع إِلى التبسـيط والاستسـهال، ولا يريـد أحـد فـك الطلاسـم ولا التعـب مـن أجـل أن يفهـم الحقائـق ويتعـرف عـلى العَلاقـات المتشـابكة والمعقـدة، لا أحـد يملـك الوقـت والجهـد، لذلـك، وحدهـم الفلاسـفة فعلـوا ذلـك ورحلـوا؛ فالظـالم والمظلـوم كلاهمـا رقـد، والقاتـل والمقتـول لقيـا معًـا المصـير نفسـه،

والمنتصر والمهزوم كلاهما توسَّدا التراب. انتهى الغرور، وانتهت القوة، وثبت أنها كانت كذبة، وثبت أن غنى الغني كان وهمًا؛ العروش والتِّيجان كلها سقطت وتهاوت؛ لا أحد قوي ولا أحد غني، هي مجرد لحظات من القوة تعقبها لحظات من الضَّعف يتداولها النَّاس على اختلافهم، لا أحد منا لم يعرف لحظة ذل، أو ضعف، أو قلق، أو فقر، أو مرض، أو فشل، أو خوف من الهزيمة في الحياة، وفي الأخير، يأتي الموت ليحلق فوق رؤوسنا جميعًا، ويجعلنا ندرك أننا كلنا فقراء إِلى الله، رغم أننا كلنا نعرف ذلك.

بين عتَمة الربع الساعة الأخير وانبلاج الفجر.

إذا كان الليل في القلب فلا عتَمة في الأفق، لكن كيف السبيل لمزاج مستنير يُنير لي عتمة الاكتئاب والأفكار البائسة في الخلاص من هذا البؤس في وطن اسمه لبنان؟ حيث أقضي الليالي محاولًا إقناع نفسي بعدم الهجرة منه؛ وكلما كنت أقترب من الوصول إلى ذلك الهدف، كنت أفقد الأمل في الخلاص من أفكاري في الربع الساعة الأخير من الحوار بين القلب والعقل.

إن اشتداد الأزمة وتجهّم الأجواء هو أول لحظات انبلاج الفجر واقتراب الفرج؛ فالنصر لا يأتي إلا بعد اشتداد الأزمة، وكلما اشتدّ الظلام، ازداد قناعةً أن الخير قادم، وأنه سوف يكون مُبهرًا، وإلى صديقي القائل: «كبّر عقلك، حاج»، الآمال الكبيرة «بتجيب خيبات كبيرة»، أذكره بقصيدة أبي القاسم الشابي: «ولا بد لليل أن ينجلي، ولا بد للقيدِ أن ينكسر»، وأزيد لأقول: من رحم الألم يولد الأمل، ومن شدة المحنة يخرج الفرج، وما انبلاج الفجر إلا بعد أن يحلولك الظلام، وما المتحكمون برقاب الفقراء إلا جثامين متحركة في طريقها إلى مقبرة التاريخ.

في كل صباح، وعند انبلاج الفجر أتحسسُ قلبي، وأسألهُ عن أحواله بعد أن اعتاد الصَّمت، وأتفقد روحي، وأدعو نفسي لموافاة نور الصباح، والاحتفال بطلوع الشمس والأمل الجديد، وأنا على ثقة أن فرج الله قريب، فعند قمة المعاناة نجد الحلول، وفي آخر النفق يكون الضوء، وبعد شدة الظلام يحصل انبلاج الفجر، ولنتذكر أن المصائب والويلات الَّتي لا تحصى في عمرنا لم ترهبنا، وسنبقى صامدين، «فالأرض لأهلها»، ونحن لا نخاف التهويل ما دام الرب معنا، فمن علينا؟

بين التعليم من بعد، وقراءة هادئة لنتائجه.

ممّا لا شكّ فيه أنّ للتعليم مِن بُعْد فوائد وإيجابيّات كثيرة، لكنّ ذلك لا يعني أنّه يخلو من السَّلبيّات والثغرات، مثل ازدياد نسبة التهاء الطلاّب في منازلهم، وتفويت مؤكد للدروس والمواعيد النهائية لتسليم المهام أو تقديم الاختبارات، وصولًا إلى فقدان العديد من الطلاب الحافز والرغبة في التعلّم؛ وقد ثبت نجاح «التعليم من بعد» مع الطلاب الَّذين يحسنون العمل بمفردهم، لكن أولئك الَّذين لا يمتلكون مهارات التنظيم وترتيب الأولويَّات، فإنهم قد واجهوا مشاكل عديدة، وربما فشلوا في الاستفادة من هذه التجرِبة، ومن جهة أخرى، ومع أنّ التعّليم من بعد، يعد أقلّ تكلفة من التعليم التقليدي، لكنّ تكاليف الولوج إليه قد تكون مرهقة للبعض، مثل توفير أجهزة كومبيوتر مناسبة، وصعوبة الحصول على اتصال جيد بالأنترنت، خاصَّة في المناطق النائية، ما جعل من التعليم من بعد عائقًا لبعض الطلاب، ويمكنني وصفه تجرِبة سلبية غير ناجحة، حتمتها الضرورة بسبب جائحة كوفيد ١٩ في العام ٢٠٢٠.

بَيد أن التعلّم من بُعد سمح باستيعاب الطلاب من ذوي الاحتياجات الخاصَّة، حيث تمكن أصحاب الإصابات الجسدية والمرضية من عدم تفويت المحاضرات، كذلك تمكن من لديه مشاكل صِحِّيَّة نتيجة الإصابة بوباء كورونا من التحكّم بتوقيت تلقي الدروس، كما أتيح له خِيار إيقاف الفيديو التعليمي مؤقتًا وإعادة تشغيله في الوقت الَّذي يناسبه، وقد تكون جائحة كورونا في العالم قد أسهمت في إنشاء كليات جديدة للتعلم الإلكتروني والتعليم من بعد، كما فعلت جامعة نجران في المملكة العربية السُّعوديّة وغيرها من الجامعات حول العالم، وتمكنت من خلق إستراتيجيات جديدة للتعليم من بعد، لكن المشكلة

الأساسية أن وزارة التعليم السُّعوديّ مثلًا ترفض قبول الشهادات الجامعية الصادرة عن أي جامعة خارج المملكة إذا كانت تدرّس بنظام الأون لاين، (شهادة التعليم من بعد غير معترف بها في المملكة)، إذا كانت تمنح من جامعات الخارج .

خلاصة القول: إن التعليم من بعد يسمح بحسب رأيي للطلاب الجامعيين بالتواصل مع الجامعات الأجنبيَّة، خاصَّة لصفوف الماجستير والدكتوراه، وما دون ذلك يبقى التفاعل ضروريًّا في كل الصفوف الدراسية حتى الجامعية بين التلامذة وأساتذتهم، وعليه يمكن رؤية التعليم من بعد مفيدًا من الآن وصاعدًا للطلاب الجامعيين المُقيمين خارج الولايات المتحدة الأمريكية أو بريطانيا أو غيرها من الدول الأوروبية الَّذين يحتاجون إلى الدراسة في جامعاتها، وفي حين أنّ القسط السنوي في إحدى الجامعات الحكومية في أميركا يُقارب ٢٢ ألف دولار سَنَوِيًّا لتخصص الأربع سنوات، فإنّ الطالب المُلتزم بنظام التعلّم من بُعد في الجامعة نفسها، والتخصص نفسه، يحتاج إلى ما يُقارب ٥٠ ألف دولار كلفة كل أقساطه لسنواته الدراسية الأربع كاملة، فضلًا عن تقليص مصاريف السفر والإقامة، وبدل الإيجار والمعيشة في الولايات المتحدة الأميركية.

بين الحنين للماضي، والحاضر المرير، والمستقبل الجميل.

مما لا شك فيه أن للماضي حنينًا، وحنينه مؤلمٌ جِدًّا، وليس له رجوع مهما بلغت روعته، فهو لن يعود طبعًا، كما أن حنين الماضي هذا، يشاغب الروح بتناقضٍ غريبٍ وجميلٍ، وشفاه تبتسم وعين تدمع؛ وإذا لم يكن عندنا حنين لماضٍ مريرٍ، ولم نعد نحتمل حتى رؤية اللقطات التلفزيونية عن الحرب المريرة في لبنان، الَّتي تذكرنا بماضٍ لا أسف عليه، رغم أن الحاضر الَّذي نعيشه هو صفر كرامة، فهل من شغفٍ بالمستقبل؟ وهل صحيح أن ٩٥٪ من اللُّبنانيّين يعيشون حالة متشابهة من عدم الحنين إلى الماضي، وعدم الاهتمام بالحاضر والخوف من المستقبل؟

وإذا كانت النوستالجيا مصطلحًا يستخدم للتعبير عن الحنين للماضي، فإن نوستالجيا الحنين للماضي في لبنان ذات طعم آخر، ليس لمرارة الماضي بل لقبح الحاضر والشوق للمستقبل، ومن جهتي لا حنين عندي للماضي، ولا أحبه بصراحة كاملة، ولا أتهرب منه، بل أعمل على جعل الحاضر جميلًا وممتعًا لي ولكل من حولي، وقد يستخدم الله الماضي ليصنع مستقبلًا جميلًا، لذا دعونا نعمل على الحاضر؛ فالله يبارك الأعمال وليس الأحلام، ولنعط الله فرصة حتى يبارك أعمالنا الحاضرة.

وماذا عن نوستالجيا البهجة وحب الحياة؟ وهل بقي شيء من «عبق» الماضي عالقًا بنا بعد قسوة الزمن؟ هل بقي شيء عجزت يد النسيان أن تطاله؟ وهل لا يزال هذا الشيء يدفع بالإنسان لأنْ يصارع الضياع، ويجعله يعاني من مشاعر الخوف والشقاء وانحسار الطمأنينة، ويَنشد السّعادة والخلاص؟ ولأولئك الَّذين تُمزقهم الحَيرة، وتؤرقهم التساؤلات الوجودية، ويبعثرهم الحنين إِلى الحرية والمعرفة، أقول: «أحبوا أنفسكم أوَّلًا»؛ فالحبّ فيه إجابات لتساؤلاتٍ وجودية كثيرة، فإذا كان العلم استطاع أن يطوِّر حياة الإنسان ويهبه السعادة، فإنّ الحبّ هو الوحيدُ القادر على انتشالِه من براثن القلق والغضب، ومنعه من تدمير الذات.

بين إيلي سكاف وأهل البقاع، أكثر من وفاء.

مما لا شك فيه أن هذا الرّجل المحبوب كان واحدًا من أشهر السِّياسيّين الَّذين عرفتهم مدينة زحلة في الأيَّام الماضية وأيامنا الحاضرة والأيَّام الآتية، كما أن الكثيرين من أبناء زحلة والبقاع لا يمكنهم نسيان فضل هذا البيت السِّياسيّ المفتوح منذ ٧٥ عامًا، حتَّى إنّه لتاريخه لم يستطع أحدٌ ملء الفراغ الَّذي تركه في قلوب أهل المدينة والبقاع، ومن المؤكد أننا لم نشهد مراسم دفن شخصيَّة زحلية تشبه ما حصل يوم تشييع جثمان المرحوم إيلي سكاف .

«إيلي بك»، كما تعود أهل زحلة مناداته، كان له نصيب كبير في إرشاد الأجيال الزحلية الحالية والقادمة إلى الاعتدال والابتعاد من الطائفية؛ وهذا ما تعلمه من والده المرحوم جوزيف سكاف الَّذي كان بحجم لبنان وليس زحلة فقط، تميزت شخصيته بالهدوء، وكان بمنزلة مرجعية كبيرة لأهل البقاع، وعمل بإخلاص لمناصرتهم في الحصول على حقوقهم في الوظيفة العامة، رغم أن ذلك كان من حقهم، إنما في دولة مثل لبنان يضيع حقك إذا ما ساندك في الحصول عليه رجل سياسة بحجم هذا الرّجل، كان يحمل على عاتقه آلام جميع العمال والمزارعين والصناعيين وطالبي الوظيفة العامة؛ إنَّ هذه الشخصيَّة المحببة لدى غالبية أهالي البقاع كانت تعيش الحالة الزحلية والبقاعية، ومدى التعطش لأب حنون يرعاهم ويدعم تطلعاتهم وآمالهم كافة، وتسير بهم نحو الطريق الواضح والصحيح .

حقق إيلي سكاف الانتصار والتقدم للمواقف الزحلية والوطنية في لبنان المعاصر، بحيث أثبتت أعماله أن الخدمة العامة عنصر مؤثر وفعَّال في ثبات المواطنين في مدينتهم، على عكس السِّياسيّين الَّذين ادعوا أن الخدمة العامة ليست من صلاحياتهم، وبعضهم لا يعرف زحلة والبقاع إلا في التعازي وأيام

الانتخابات. كان «بيت سكاف» في زحلة مفتوحًا لكل بقاعيّ، وكان هذا الرّجل بحق، زعيم الكاثوليك في زحلة، حتى إن جميع اللوائح الانتخابية الَّتي يوفّر أعضاؤها الربح عادة، كانت تطبخ وتحضر في مطابخ البيت السكافي الانتخابي، حيث تدار المعركة الانتخابية، وليس خارج المدينة، ولقد استطاع خلال وجوده في السلطة من تقديم الخدمة لعدد كبير من الشباب الزحلي خاصَّة، والبقاعي عامة؛ هؤلاء الأشخاص كانوا متروكين لقدرهم ولا نصرة لهم للحصول على حقهم في ما كان ولا يزال يسمى «دولة لبنانية «؛ وفي الواقع كان مجرد أن يبعث برسالة خطية مع طالب الخدمة لجميع قادة الأجهزة الأمنية اللُّبنانيّة آنذاك، أو الوزارت أو المديرين العامين كافية لمساعدة حاملها، وقد عجز كثيرون عن معرفة سبب محبة النَّاس لهذا البيت الَّذي خسر حقه في الانتخابات الماضية في الاستمرار في تمثيل الزحليين لدى الإدارة المركزية اللُّبنانيّة الفاشلة، وعلى أمل حلول عصر جديد من الحكم العادل في لبنان، ينبغي على الزحليين إعادة دراسة تنظيم بيتهم الداخلي بعد أن استحوذت الأحزاب المركزية على تمثيل المدينة والقضاء في مجلس النواب .

إيلي سكاف باقٍ في قلوبنا، والجميع لا يزالون يحبّونه ويذكرونه بكل صدق؛ لأنه كان رجلًا مؤمنًا ومجتهدًا وصانعًا للخير خلال حياته القصيرة، رجلًا مجاهدا لا مثيل له، واظب على الخدمة، رغم ألمه الَّذي هزمه وأخذه من بيننا في عز عطائه، بعد أن ترك إرثًا كبيرًا سيظل على ألسنة الجميع ممن عرفوه أو عاصروه أو سمعوا عنه، فهو لم يكن لزحلة أو للكاثوليك حصرًا، بل لجميع أهل البقاع، سواء المسيحيين أم المسلمين الَّذين كانوا يعتبرونه ضمانتهم، وكان المثل الأعلى للخدمة والإنسانيّة للوصول إلى العزة والكرامة والاعتزاز، بالنِّسبة إلى أهله في البقاع من النَّاس الأوفياء والأجيال القادمة.

بين الحياء الممدوح والخجل المذموم.

يخلط النَّاس كثيرًا بين الحياء الممدوح والخجل المذموم، فالحياء صفة حسنة، ولا يأتي إلا بالخير، في حين أنّ الخجل هو صفة ضعف تحرم صاحبها من أن يستفيد ويفيد. لذا علينا أن نتحلى بالحياء، وأن نتخلص ونكسر حاجز الخجل، فالحياء الممدوح هو الَّذي يحث على فعل الخير والابتعاد عن الشر، لكن المصيبة عندما يتحول الحياء الممدوح إلى خجل مذموم عندها تصبح شخصيَّة الإنسان مريضة، معقدة تجعله يخسر الكثير ويفوت العديد من الفرص في الحياة.

والحياء الممدوح هو الَّذي يبعث على تجنب الرذائل وسفاسف الأمور، أما الاستحياء من قول الحق فهذا ليس محببًا عند الله، والحياء يرتبط بالإيمان يزيد بزيادته ويقل إذا قل، وهو من أعلى مواهب الخالق للمخلوق، يتكون معه حين يجبله الله عند الخلق، ويمنعه من ارتكاب القبائح والرذائل، وإذ نعيش اليوم في زمن لا حياء فيه، يا لَلأَسَف! وجب علينا أن نتمتع بالحياء الحقيقي ودعوة من حولنا إليه، وعلينا أن نستحي من الله أولًا، وأن نقول كلمة الحق ولا نستحي بها، وأن نبدأ بإصلاح أنفسنا ثم أهل بيتنا الَّذين هم نواة المجتمع، ثم من حولنا من غير إكراه .

وإذا كان الحُلم يضيع بين الخجل المذموم والتكبر فالفرق يبقى شاسعًا بين الخجل المذموم والتواضع، وفي الحياة لا يحصل الإنسان على حقوقه وعلى ما يستحقه حتى يطلبه، فالنَّاس عمومًا ليسوا سيِّئين لكنهم لا يعرفون في علم الغيب حتى يلبوا طلباتنا، ولا يجب أن نأخذ الأمور شخصيَّة، وأن لا نكون شديدي الحساسية، فلا بأس بالأمر، لأنه ليس كل من نلتقي بهم هم لطفاء، وهناك من أتقن اللطافة، وهناك من يفتقر إليها، لذا لا يجب أن نخجل من السؤال عن الأشياء الَّتي نجهلها، فخير لنا أن نكون جهلاء مرة واحدة من أن ننطوي على جهلنا طول العمر.

بين ضرورات الاقتصاد ومحظورات السياسة.

ينصح المحللون الاقتصاديون أن يصار إلى تقييم الانعكاسات السَّلبيّة للمبادرات السِّياسيّة من دون إغفال جدواها في السياسة، حيث ثبت أن أفضل السياسات يمكن أن يكون مصيرها الفشل، وربما تؤدي إلى ردود فعل عنيفة، بحيث يأتي العلاج أسوأ من المرض نفسه، ويبدو الأمر منطقيًّا لو تم أخذ الواقع السِّياسيّ اللُّبنانيّ وما تواجهه الحكومات المتعاقبة بالحسبان، وتم صياغة سياسات مالية واقتصاديَّة بما يتناسق مع الواقع، حيث إنه من المتعارف عليه أن الخِيار الأفضل يعد بديلًا عن الإصرار على الخِيار الأمثل الَّذي يؤدي بنا إلى حال أسوأ في نهاية المطاف، وكما يقول المثل الشَّعبي: «المثالية عدوة النجاح».

في لبنان الاستثناء أصبح قاعدة، وتم اتخاذ العديد من القرارات وفق محظورات طائفية وليس وفق ضرورات وطنية، ما سجل سابقة تحولت إلى قاعدة، وبدل إيجاد الحلول دخلنا في أزمات وصفقات وتسويات في بقعة جغرافية سمّوها «جمهورية» وهي في الحقيقة ليست هكذا، بل تعاقب عهود وإدارات فاسدة، ولم يكن لبنان «دولة» بالمعنى الحقيقي في تاريخه، بل كانت هناك سلطات تتناسل وتتوارث وتبايع الوصايات وفق مبدأ «مرقلي لمرقلك» وما من ضرورات ولا حتى محظورات، لكن المثير للعجب، هو كيف أن الاقتصاد اللُّبنانيّ الَّذي يتمتع بثروات كبيرة مقارنة بحجم البلد من ودائع مصرفية أو توظيفات مالية وعقارية هو بحاجة اليوم لمدِّ يدِه طلبًا للعون من البنك الدَّوْلِيّ لانتشاله من هذا المأزق وهذه الأزمة؟

وفيما اعتاد المواطن اللُّبنانيّ على التأقلم مع الوضع القائم، ولا مفر من ذلك حتى بالهجرة القسرية لبعض أفراد العائلة، أو بلعنة الحكام صبحًا ومساءً،

فالمواطن لم يعد يسأل نفسه متى الفرج ربما لأنه اعتاد حياة الذل، أو لأنه فقد الأمل بالحلول الأرضية وبات ينتظر رحمة السماء للخروج من المأزق، كما أنه صار يكتنز الشعور بالاطمئنان أيًّا كانت وضعية المؤشرات الاقتصاديَّة، وأيًّا كانت حراجة الوضعين الاقتصادي والمالي أو تأزمهما، ومن نعم الله يسجل الاقتصاديون وجود عين ساهرة ويدٍ خفية تحول بلا شك دون تدهور الأوضاع والدخول في المحظور وتنقذ البلد بقدرة قادر كلما وصلت الأمور إلى شفير الهاوية.

بين الخوف من الكتابة واليد المرتجفة، شجاعة.

الكتابة هي أملي وقراري في مواجهة الإحباط والانهيار الحاصل على كل الصعد، على أن فقداني لهذا الأمل يعني فقدان المتعة عندي في الحياة، وإذا كان الإبداع ينتج عن النقص وليس عن الامتلاء، فالكتابة هي إخفاء النقصان، لذا أنا مع الإبداع لأنه نتاج معاناة مع الذات ومكابدة مع الواقع، رغم أن المبدع يجد نفسه دائمًا في صدام ومواجهة مع الواقع وهذا مكلف له ويفقده الانسجام مع محيطه ويجعله يشعر بالغربة، ويصاب بأوهامٍ بأنه قادر أن يغير العالم، ومع ذلك فالكلمة تُغير وتؤثر حتى لو تباطأ تأثيرها مع تراجع عدد القراء وازدياد عدد المحللين السِّياسيّين على شاشات التلفزة ودخولنا عصر الانحطاط الإعلاميّ.

الكتابة هي حياة ثانية لي، وهي الكفّة الثانية للميزان فإذا سقطت اختل التوازن وخسر الضمير والوجدان وجوده، وحين أكون في الكتابة لا أكون في غيرها، والكلمة الَّتي أكتبها ولا أنطق بها أحاول زرعها في العقول والقلوب، على أن مواضيع البحث لا تأتي من الفضاء، بل هي إفراز لحالة حياتية تتخبط بها البلاد منذ مدَّة طويلة ومن قلب «جهنم اللُّبنانيّة»، حيث أراد حكامنا أن نكون، لكن شمس الحرية سوف تبزغ وتلمع ساطعة بعد ليالي العتمة الطَّويلة، ما أكتبه كل يوم يستولي على تفاصيل حياتي. أنا لا أكتب خواطري بل هي تكتبني، بحيث يكون القارئ شريكًا في هذا العمل، يكمل الغاية منها، وقد اضطر أحيانًا إلى الإشارة إلى بعض الأشخاص من دون تسميتهم لعدم الخوض في السجالات معهم، ولكن متى تنتهي هذه الأزمات والتَّحدِّيات؟ والجواب لا أحد يمكنه التكهن بذلك ما دمنا لا نزال نقف في محطة لنركب قطارًا جديدًا، لنمضي إلى حيث لا نعرف، ونستمر في الكتابة عن تحديات جديدة قادمة.

الكتابة عن خوف النَّاس وقلقهم في لبنان هو فعل شجاعة، واليد

المرتجفة تستند إلى قلب يربكه الحب، فالخوف بلا ملامح مصادره مجهولة، وهذا ما يجعل الخوف مرعبًا ومجهولًا، والمجهول مصدر جميع المخاوف، كلنا نخاف من المجهول، الحضارة البشرية بنت حضارتها لمواجهة الخوف: الخوف من الطبيعة ومن الأعداء ومن المرض وممّا هو غامض، كلها هذه هي نتاج الخوف الأكبر وهو الخوف من الموت الَّذي قهر البشرية، والَّذي لا سبيل لمقاومته أو مهادنته أو تأجيله أو كشف أسراره؛ لكني تعودت أن لا أخاف من اشتباكي المستمر مع كل هذه المخاوف المذكورة أو تلك الَّتي لم تُذكر.

بين خطر انهيار الجامعة اللُّبنانيّة، وتآمر الدَّولة.

يبلغ عدد طلاب الجامعة اللُّبنانيّة المسجلين نحو ٨١ ألف طالب من أصل مجموع الطلاب الجامعيين في كل الجامعات اللُّبنانيّة بما فيها الجامعات الخاصَّة والبالغ ٢٢٢ ألف طالب، وفيما يجري التداول أن عدد طلاب كلية الحقوق والعلوم السِّياسيّة والإداريَّة وحدها يبلغ حوالي ٩٧٨٣ طالبًا وطالبة، والعادة أنه بعد السنة الأولى يتابع ما لا يزيد عن ١٠٪ من طلاب هذه الكلية ليصل إلى السنة الرابعة نحو ألف متخرج في أحسن حال يتوزعون على سوق العمل بين قضاة ومحامين وكتاب عدل وعاطلين من العمل أو معقبي معاملات، وفيما الجامعة اللُّبنانيّة تنهار؛ هذه الجامعة الَّتي تعلمنا فيها، جامعة الفقراء والمميزين نجدها اليوم مهدّدة بالإقفال، وبات الأساتذة مهدَّدين أَيضًا، وقد هاجر معظمهم حيث فرغت أقسام عديدة في معظم الكليات، وقد ظهر ذلك جليًّا عند العودة إلى التعليم العادي بعد انتهاء وباء الكورونا ومرحلة التعليم من بعد.

وفيما مشاكل الجامعة اللُّبنانيّة تنقسم جزأين: الجزء الأوَّل يتعلق بالأساتذة، والجزء الثاني يتعلق بالتجهيزات والحاجة إلى مواكبة التطور دائمًا، يضاف إليها مشكلة غير منظورة وهي مزوِّرو الشهادات في بعض الجامعات الخاصَّة والدكاكين، ولا ننسى تجار هذه الشهادات الَّذين تحكموا بالقطاع التربوي من زمن بعيد، وكانت فضيحة اكتشافهم صدمة كبيرة، وإساءة كبيرة للتعليم الجامعي في لبنان، وفيما يعد الأساتذة الجامعيون من أصحاب أعلى المراتب الاجتماعيَّة في دول العالم المتحضر، فإنهم في لبنان يعانون انهيار قيمة رواتبهم، وخضوع ترقيتهم أو تثبيتهم لا للكفاءة، بل للمحسوبيات السِّياسيّة والمذهبية، والاستنسابية.

كما أن ما يحدث مؤخرًا من تحويل التعليم إلى سلعة يُدفع ثمنها بالدولار الفريش في الجامعات الخاصَّة إلى تهميش الجامعة اللُّبنانيّة والسيطرة عليها من قِبل الأحزاب الطائفية، مسار واحد يعكس تآمر السلطة على الجامعة اللُّبنانيّة، واستطرادًا نسأل نواب الأمّة الأكارم: لماذا لم تشكل لجنة تحقيق برلمانية واحدة رغم انهيار الليرة وبلوغ الدولار مستويات جنونية، وغموض مصير ودائع بنحو مئة مليار دولار، وتبخر مدخرات الضمان ونقابات المهن وصولًا إلى انهيار النظام الصحي وانهيار الجامعة اللُّبنانيّة وبلوغ الفقر نسبة ثمانين بالمئة من السكان، والبطالة نسبة أربعين بالمئة، وهجرة ثلث شباب لبنان، ومن المؤكد أن عددًا كبيرًا من اللُّبنانيّين يوافقون الصحافي البريطاني الَّذي أشار إلى أن العادة جرت أن تكون المافيا في كل دول العالم مختبئة تحت الأرض، أما في لبنان فهي على عكس ذلك، حيث نجدها ممسكة بكل مفاصل السلطة، وهي أسوأ الاحتلالات الَّتي يعيشها لبنان.

بين الركود الاقتصادي، والكساد والغلاء المتوقع.

الركـود الاقتصـادي هـو انخفـاض كبـير في كل العمليـات التجاريـة، يليـه انخفـاض في التوظيـف وارتفـاع في نسـبة البطالـة، ويليـه حتمًا انخفـاض في عمليـات الإنتـاج والدخـل، ويبـدأ الركـود عنـد وصول النشـاط الاقتصـادي إِلى ذروتـه، والخطير جِـدًّا هـو تحولـه إِلى كسـاد طويـل الأمـد، خاصَّـة عندمـا تسـود حالـة مـن الخـوف مـن المسـتقبل، مـا يسـاهم في تأجيـل وإبطـاء عمليـات البيـع والـشراء الكبـيرة، والركـود الاقتصـادي يسـاهم في ارتفـاع أسـعار المـوادّ الغذائيـة والاسـتهلاكية ويـؤدي إِلى تدهـور اقتصاديـات الـدول، وهـذا مـا نعيشـه حاليًّـا.

ورغـم أن الركـود الاقتصـادي هـو جـزء مـن الـدورة الاقتصاديَّـة وحدوثـه متوقـع دائمًا، لكـن هنـاك أسـباب عديـدة تسـاهم فيـه أو تسـرع في حدوثـه، ولا يشـترط أن تجتمـع جميـع الأسـباب مـن أجـل تصنيـف الحالـة الاقتصاديَّـة بكونهـا ركـودًا وأبرزهـا الصدمـة الاقتصاديَّـة، وذلـك مـن خـلال حـدث كبـير يسـاهم في صـدم اقتصـاد العـالم مثـل أزمـة النفـط العالميـة خـلال حـرب أكتوبـر ١٩٧٣ والقـرار العـربي بقطـع إمـدادات النفـط عـن أمريكا، مـا تسـبب في ركـود اقتصـادي كبـير، ومثـل انتشـار فـيروس كورونـا والإغـلاق شـبه التـام في جميـع أنحـاء العـالم مـا سـاهم في تشـكيل حالـة ركـود اقتصـادي محـدود نسـبيًّا، بالإضافـة إِلى الحـرب الروسـية الأوكرانيّـة والعقوبـات عـلى روسـيا، الَّتـي خلقـت أزمـة قمـح ووقـود، ونتيجـة التقليـل مـن إمـدادات الغـاز الـروسي لأوروبـا وتوقـف عمليـات تصديـر القمـح مـن أوكرانيـا.

وفيـما يؤكـد علـماء الاقتصـاد أن مواجهـة الركـود يكـون عـادة بخفـض معـدلات الفائـدة بهـدف زيـادة عمليـات الاقـتراض ودفـع المسـتهلك نحـو الإنفـاق عـبر البيـع والـشراء، فضـلًا عـن زيـادة الإنفـاق الحكومـي وقيـام الدَّولـة بمشـاريع

جديـدة، بالإضافـة إِلى خفـض الضرائـب لتحفيـز الاقتصـاد وخلـق فـرص عمـل جديـدة، والحـد مـن ارتفـاع مسـتويات البطالـة، والتخفيـف مـن آثـار الركـود عـلى البـلاد، ومحاولـة منـع وصولـه إِلى حالـة الكسـاد عـبر حـصره في مـدَّة زمنيـة محـدودة، عـلى أن التعـافي الاقتصـادي ينهـي الركـود في اللحظـة الَّتـي يعـود فيـه الاقتصـاد إِلى النمـو الإيجابيّ، وتقـرر الحكومـات المسـاهمة في تعجيـل هـذه الخطـوة مـن خـلال ضـخ الأمـوال لإنعـاش الاقتصـاد ومحـو آثـار الركـود الاقتصـادي، ورفـع مسـتوى الدخـل لـدى المواطنـين وتحسـين نمـط معيشـتهم.

بين قلب يحب وعقل يفهم، والقرار الصعب.

يـأتي الحـب إلى القلـب بإشـارة مـن العقـل، وضربـات القلـب باستشـعار الإحساس العاطفيّ لا تـأتي مـن فـراغ، أمـا فهـم الإشـارات فإنهـا تتفـاوت بـين النَّـاس بتفـاوت الدرجـة الحسـية، ومـا قـد تسـببه للطـرف الآخـر مـن ردة فعـل، ولـكل مـن العقـل والقلـب دوره، فكلاهمـا مكمـل للآخـر في الاختيـار والقبـول، وليـس للحيـاة أي معنـى عنـد فقـدان الحـب، وقـد يبـدو الأمـر مرعبًـا، أن يتعامـل الحبيبـان بلغـة العقـل فقـط، خاصَّـة عندمـا يسـيطر الشـعور بالخـوف عـلى العَلاقـة، فالَّـذي يحـب حبًّـا حقيقيًّـا يضحـي ويتحمـل، ويتعامـل مـع شريكـه بالعقـل والقلـب معًـا ويجعلـه يشـعر بهـما، حيـث إن اسـتمرار العَلاقـات تحتـاج حبًّـا كبـيرًا دومًـا.

والقلـب إذا أحـب هـزم العقـل، مـن يحـب يفهـم معنـى الحـب، وليـس كل مـن يفهـم معنـاه يحـب بالـضرورة، والقلـب الَّـذي يحـب يخـاف ويحـن عـلى حبيبـه، في الحـب يتعـب الأحبـاء مـن أصحـاب العقـول، وهكـذا إذا لم يفهـم العقـل لـن يحـب القلـب. وبحسـب رأيـي أرى أن لـكل عمـر احتياجاتـه وتختلـف في عمـر الشـباب والمراهقـة حيـث القـرار في الحـب هـو للقلـب، وكلـما تقدمنـا في العمـر يكـون القـرار للعقـل ويتبـع القلـب العقـل، وشـخصيًّا أرى أن القلـب الَّـذي يحـب لا يكـره، ولا يمكـن لقلـب إنسـان أن يحـب شـخصًا ولا يتقبـل عقلـه أو يفهمـه لأن القلـب إذا أحـب فإنـه يأخـذ مـكان العقـل الَّـذي يصبـح مـن دون فائـدة ولا دور لـه، رغـم أن العقـل قـد يتسـبب ببعـض المشـاكل للإنسـان حـين يمـل مـن حـب قلـب طـال كثـيرًا .

وقـد يكـون العقـل قاسـيًا عـلى الإنسـان لكنـه يريحـه ويريـح نفسـه، إذ إن القلـب إذا أحـب فإنـه يجعـل الإنسـان يشـعر بأهمِّيَّـة نفسـه، ولكـن في أغلـب الأوقـات يجعلـه في دوامـة، ويجعلـه يعيـش تحـت الضغـط فيقسـو عليـه، وإن كنـت شـخصيًّا

أفضل الاحتكام للعقل لأنه الأقوى؛ فالحب والعقل خصمان أمام القاضي وهو القلب، فما حكم به هذا القاضي هو واجب التنفيذ؛ فالحب كثيرًا ما يهزم العقل مثال مجنون ليلى وجميل بثينة، ولا بد من أن نستذكر هنا شكسبير بقوله: «نحن بحاجة للخلافات أحيانًا لمعرفة ما يخفيه الآخرون في قلوبهم، قد نجد ما يجعلنا في ذهول، وقد نجد ما ننحني له احتراما»، فليس كل من يفهمنا يحبنا، ولكن من يحبنا يحاول فهمنا والاثنان لا يجتمعان إلا في قلب واحد وهو قلب الأم بالطبع.

بين العرف والعادة، وعبء الإثبات.

في القانون يقع عبء الإثبات على المدعي أو على من يدعي خلاف الأصل، أو على من يدعي خلاف العرف والعادة، أو على من يدعي خلاف القرائن، ويبقى عبء الإثبات بحجة العادة أضعف من الإثبات بحجة العرف عادة، فمن باب أولى أن لا يعتد بالعادة المخالفة للقانون، على أن الأحكام المبنية على العرف والعادة تتغير بتغير الزمان والمكان أَيضًا .

وبين العرف والعادة فرق، إذ إن العرف يستعمل في الأقوال، فيما تستعمل العادة في الأفعال، وللعرف ركنان: الأوَّل مادي والثاني معنوي بخلاف العادة، فلا يوجد فيها إلا الركن المادي والعرف ملزم، أما العادة فإنها غير ملزمة، وفي العرف يفترض وجود العلم بخلاف العادة، وفي المحكمة يطبق القاضي العرف من تلقاء نفسه بخلاف العادة، وفي الإثبات فإن رقابة محكمة التمييز على العرف دون العادة، ومن الفوارق أَيضًا بين العرف والعادة، هو الشعور بإلزامية القاعدة المتبعة والجزاء المطبق حال مخالفتها، فمخالفة العرف تستوجب العقاب، أما مخالفة العادة فإنها تستتبع الجزاء الأدبي من الاستنكار.

وأورد على سبيل المثال، وبحسب بعض المراجع الَّتي قرأتها، أنه من الأعراف والعادات المتوارثة عند التركمانستان أنه في القديم عندما يتقدم رجل كبير منهم في العمر، يجتمع أقاربه معًا لقتله جنبًا إِلى جنب مع عدد من الأغنام والماعز، ومن ثَمَّ طبخ جميع اللحوم معًا وتحضير وليمة منها. وإرادة الحرية الشخصيَّة للإنسان تنتهي عند حدودِ الله، وعند حدود الآخرين، والتجرد من العرف والعادة والتقليد، والتخلي عن القيم والمبادىء وتجاوزها لا يعود حرية شخصيَّة، فاستقم أيها الإنسان كما أمرت لا كما أردت.

بين الموت المفاجئ، والموت على غفلة.

قال لقمان لابنه: «يا بني لا تؤخر التوبة، فإن الموت قد يأتي بغتة.» هو أمر محزن لكنه واقع نعيشه، فأنا لا أزال أشعر بالحزن لأنني تذوقت فراقَ أكثرَ من صديق منذ زمن الكورونا حتى اليوم من الَّذين سرقهم الموت على غفلة، كلٌّ فقدٍ مرٌّ، وكل صديق رحل من حياتي أخذ برفقته جزءًا من روحي لا يعود، ولأن الألم عظيم رحت أستقصي أسباب حدوث هذا، فرجّح الأطبَّاء أسباب الموت المفاجئ إلى هبوط الدورة الدموية عند الإنسان وحدوث الجلطات نتيجة مضاعفات عديدة تزايدت بعد وباء الكورونا، ولكن كيف الوقاية من ذلك لمنع انخفاض ضغط الدم والتقليل من خطر انسداد وتصلب الشرايين والحد من خطر عدم انتظام نبضات القلب، وتقليل فرص الإصابة بنوبة قلبية أو سكتة دماغية؟

من الملاحظ أن وسائل الإعلام بدأت تسليط الضوء على ظاهرة طبية تسمى «متلازمة الموت المفاجئ للبالغين»، حيث يموت النَّاس دون أي علامة على المرض أو ينهارون ببساطة أثناء النهار أو لا يستيقظون في الصباح، ومن الشائع حدوث الموت القلبي المفاجئ دون سابق إنذار، إذ من الممكن أن تمر العلامات التحذيرية دون أن يلاحظها أحد عند حدوثها، وتشمل هذه الأعراض الإغماء غير المسوَّغ طبيًّا أو ضيق التنفس أو ألم في الصدر، وقديمًا كانت متلازمة الموت المفاجئ خاضعة للخرافات والاعتقادات، في تايلندا مثلًا كانت مرتبطة بتناول كعك الأرز على وجه الخصوص، وهذا غريب، وفي الفليبين كانوا يعتقدون أن تناول كمية كبيرة من الكربوهيدرات قبل النوم قد يتسبب بما يعرف في لغتهم المحلية بـ « bangungot » ، والَّتي تعني الموت خلال النوم، وقد بدأ العلماء بفهم هذه المتلازمة وتفسير أسبابها ويرجحون أسبابها لمشاكل في القلب .

بين الموت المفاجئ، والموت على غفلة

وكما تلاحظون أصدقائي، فقد شاع الموت المفاجئ من حولكم في كل أقطار العالم، لكن هل فكر أحدنا كم الموت قريب منا؟ وهل حان الوقت حتى نعيد النظر في حساباتنا ونقترب أكثر من الله؟ وهل لنا ذنب في ذلك؟ يقول الإمام علي بن أبي طالب: «لقد غفلنا عن الموت غفلة أقوام غير نازل بهم، وركنا إِلى الدُّنيا وشهواتها ركون أقوام قد أيقنوا بالمقام، وغفلنا عن المعاصي والذنوب غفلة أقوام لا يرجون حسابًا ولا يخافون عقابًا».

بين النضج الفكري والعقلي، وتكوين الشخصيَّة.

هل النضج الفكري مرتبط بالعمر أم بالعلم أم بالتجارِب؟ والجواب بحسب خبرتي هو أنه مرتبط بالعمر مدعومًا بالعلم والثقافة وتجارِب الحياة، فالعمر والأعوام مجرد أرقام والعبرة في النضج، والحكمة تأتي من التجرِبة، كما أن النقاشات لا الخلافات تصنع النضج الفكري والإبداع الَّذي من علاماته الهدوء في الكلام مقرونًا باحترام الآخرين وعدم التأثر بالنقد السَّلبيّ من المحيطين، إضافة إلى القدرة على الإصغاء والاستماع وحب الطموح والمغامرة والتحلي بالصبر والمثابرة، وعدم مقارنة حياتنا الشخصيَّة بحياة الآخرين.

ولأن النضج الفكري مرتبط بالخبرة وتكوين الشخصيَّة والرغبة في التعلم والبيئة المحفزة لذلك، إلا أن ارتباطه بالعمر والتعلم والتجارِب هو تبعًا لسلم أولويَّات، فالارتباط بالعلم تصقله التجارِب وينضج كلما تقدم الإنسان بالعمر، وكلما ازدادت ثقافته، وتكاثرت تجارِبه في الحياة، وكلما ازداد نضوجه الفكري، توسع إدراكه بشكل أكبر، وهكذا فإن تجارِبنا هي المعلم الأوَّل للنضوج والوعي الَّذي يشترط أَيضًا التصالح مع الذات وتفهم حرية الآخرين وعدم خنقهم في قراراته، وتركهم يعيشون نمط حياتهم كيفما يشاؤون وإن كانت خاطئة .

يبقى أن أشد مراحل النضج العقلي عند الإنسان هو الإيمان التام بأن كل شيء في هذه الحياة له نهاية مهما كان جميلًا أو سيئًا؛ فالإنسان يمر في حياته بفترات ومراحل، ولا يعني أنه إذا التقى في حياته بشخص ما لمدَّة، ثم غاب بعدها أو ابتعد هذا الشخص نتيجة تغير في المواقف مهما كان نوعها، فهذا يعني أن الأفكار والاهتمامات الَّتي جمعتهما قد تغيرت وربما لم تعد متشابهة، وهذا الابتعاد هو دليل وعي ونضج فكري قد يكون مطلوبًا بعض الأحيان في حياة الإنسان، خاصَّة

حين يصل إلى مرحلة من حياته يكون فيها أكثر هُدوءًا، حيث يتظاهر بعدم الفهم أحيانًا، ويتخطَّى مسألة العتب غالبًا، ويتصالح معَ ذاته ويبتعد عن عجقة الحياة، ويكون له نمط حياته الخاصَّة، وتعرف هذه المرحلة بمرحلة النضج العقلي المرتبطة بالتجارِب أكثر من ارتباطها بالعمر .

بين فرنسوا بودلير الكاهن وشارل بودلير الشاعر، انحراف وإبداع.

سجل تاريخ فرنسا للشاعر شارل بودلير أنه مارس حريته في قول وفعل ما يشاء ومضى هو الَّذي تحدث في يومياته عن أن الروح تمر في حالات يتجلى أثناءها عمق الحياة بأكمله في أي مشهد تراه العين مهما كان عاديًّا، وبحسب اعتقاده يجب على الإنسان أن يكون عظيمًا في نظر نفسه قبل كل شيء، إذ إن الأمم لا تنجب العظماء إلا مرغمة، ولن يكون الرّجل عظيمًا إلا إذا انتصر على أمته جمعاء، كما جمع بودلير بين الحزن والغموض والندم والتعاسة، وهو بذلك لم يزعم أن الفرح لا يجتمع مع الجمال، لكنه يعتقد أن الفرح أثمن من الجمال، وفي حين أن الكآبة هي رفيقة الجمال برأيه، إلى الحد الَّذي لا يعتقد معه أن هناك جمالًا لا تسكنه تعاسة.

في حياته كان بودلير يردد دائمًا: أنا مريض، خلقي رديء، أنا كريه ومقيت جِدًّا، ويعود ذلك إلى خطأ أهلي، جئت إلى الحياة بسببهم من أمٍ عمرها سبعة وعشرون عامًا، وأبٍ عمره اثنان وسبعون عامًا، إنه زواج غير متكافئ، ولا شك أن بودلير كان متطرفًا في كلامه، ويحقد على والده المسن الكاهن فرنسوا بودلير الَّذي توفي ولم يكن شارل قد تجاوز عمره ست سنوات مع والدة فتية أنيقة، تدعى كارولين دوفايي، تركته طفلًا وتزوجت ضابطًا في الجيش يدعى أوبيك Aupick. الَّذي أصبح فيما بعد عضوًا في مجلس الشيوخ في الإمبراطورية الثانية، واستطاع أن يباعد اللقاءات بين بودلير وأمه.

في الثالثة والعشرين من عمره، بدأت حياة بودلير تتحول إلى جحيم حين وقع بين أيدي الدائنين والمرابين وقضى بقية عمره مشردًا بين الحانات والفنادق هربًا من إيفاء ديونه، وكان يغتاظ كثيرًا عندما يسمع أن دور النشر كانت تدفع

بكـرم وسـخاء إلى لامارتـين وشـاتوبريان ودوفينـي ثمـن مسلسـلات تسـلقوا بهـا قمـة المجـد، وبـدأ يعيـش بانحـراف كبـير، ورفضـت حتـى الصحـف الصغـيرة نـشر مقالاتـه وقصصـه وأصبـح بـلا مـأوى، ومـن سـوء حـظ بودلـير أنـه عـاش في المـدَّة مـا بـين عامـي ١٨٢١ و ١٨٦٧، هـذا العـصر الَّـذي كان مزدحمًـا بأسـماء لامعـة في الفكـر والفلسـفة والعلـوم والأدب أمثـال: هيغـل، كارل ماركـس، فكتـور هوغـو، فلوبـير، أوغسـت كونـت وشـوبنهاور، ومـع أن بودلـير كان يتلهـى كثـيرًا في السـخرية مـن فولتـير ومولـيـر، لكنـه اسـتطاع أن يـترك بصمـة في الأدب الفرنـسي لا تـزال يومياتـه تـدرس في المـدارس حتـى يومنـا هـذا.

بين مشاكل ذوي الاعاقات الخاصَّة..والرحمة.

تشير تسمية الاحتياجات الخاصَّة إلى الأفراد الَّذين يحتاجون إلى مساعدة خاصَّة بسبب الإعاقة، والَّتي قد تكون طبية، عقلية أو نفسية، وفي العام ٢٠١٦ أطلق الشيخ محمَّد بن راشد آل مكتوم مصطلحًا جديدًا «أصحاب الهمم» لوصف الأشخاص الَّذين كان يُطلق عليهم رسميًّا صفة «ذوي الاحتياجات الخاصَّة»، في المقابل لا إحصائيات دقيقة لعدد هؤلاء في العالم، لكن وعلى سبيل المثال مثلًا، واستنادًا للمركزي للإحصاء، فإن عدد المعاقين في مصر وحدها يبلغ ٢٠ مليونًا و٢٧٨ ألفًا و٣٥ مواطنًا، ويعاني أصحاب الهمم من مشاكل عديدة، منها أسرية تتجلى برفض الوالدين لهم أو نظرة العائلة والإخوة بأنهم غير مرغوب فيهم، والسخرية والتأفف منهم، وبذلك يعانون مشكلة الرفض والإهمال.

كما يعانون من المشاكل الاجتماعيَّة، ومنها الإحساس بشعور الشفقة المفرطة تجاههم من الآخرين، لأن بعض النَّاس يعتقدون أن العاهة أو الإعاقة هي نوع من العقاب الإلهي سواء بالنِّسبة إلى المصاب أو للوالدين، ما يؤدي إلى شعورهم بالقلق وكراهية الآخرين، كما يؤدي إلى سوء تكيفهم في المجتمع، وحدوث إحباطات وصدمات نفسية اجتماعيَّة لديهم، كما يواجهون مشاكل في الزواج، وذلك برفض الأهل تزويج البنات أو الذكور لذلك المعوق أو المعوّقة اعتقادًا أن تلك الإعاقة في بعض الأحيان ذات منشأ وراثي، وكل ذلك يؤدي بالمعوق إلى العجز والضَّعف والانطواء والانعزال وكراهية نفسه وعدم تكيفه مع إعاقته.

ويجب ألّا نغفل المشاكل المهنية الَّتي تواجه أصحاب الهمم والَّتي تتجلى في ندرة فرص العمل والبطالة وكثرة تعرّضهم للإصابات أثناء العمل الَّذي لا يتناسب أحيانًا مع وضعهم الصحي وقدراتهم ومستلزمات ذلك العمل وشروطه، يضاف إليها مشاكل تربوية ونفسية، حيث إن الأطفال من أصحاب الهمم لا يجدون لهم مكانًا في المدارس أو لا توجد الوسائل الكافية لتعليمهم أو المعلمين الأكْفاء للقيام بمهمة تربيتهم وتعليمهم، كذلك النقص الكبير في الإمكانات المادِّيَّة للأهل، والَّتي تعرّضهم للحرمان من التعلم.

بين إنسان تزرعه بالوفاء يقلعك بالغدر، هزلت.

بعد البحث والتفحص عرفت أن أصل هذا القول هو من فلسطين وتفسيره أن «كل شيء تزرعه ينفعك إلا الإنسان تزرعه يقلعك»، وهكذا نجد من حولنا كل الأراضي الَّتي نزرعها تأتينا بالثمار، نحفر في الصخور تتفجر المياه، نطعم كلبًا يحرسنا طَوال حياته، إلا الإنسان نزرعه بالوفاء يقلعنا بالغدر، وما دام البشر مستمرين في التقاتل على هذه الأرض فإن إبادة بعضهم بعضًا واقتلاع بعضهم لبعض أمر حتمي، وباتت مسألة وقت، وما دام البشر مستمرِّين في طبيعتهم المدمرة والوحشية للكائنات الحية، فإنهم لن يعرفوا السلام في حياتهم، فمن يزرع بذور القتل والألم لا يستطيع أن يجني فرح الحب.

يقول «ديلان ويليام موران» وهو كاتب كوميدي أيرلندي وممثل وفنان وشاعر اشتهر بكوميديا المراقبة: «سوف يقتلك النَّاس مع مرور الوقت عبر ترددهم لعبارات صغيرة مؤذية»، لذا كن واقعيًّا، فإن سماعك لكلام من هنا وهناك قد يقتلك من الداخل، لكن عليك أن تتصرف وكأنك لا تهتم. شخصيًّا تعلمت من المسيحية ما يكفي من الصبر لتحمل قلة الوفاء واليأس والألم النَّفسي، تعلمت من الإيمان المسيحي ما جعلني أشعر بالأمان، سوف أستمر وفيًّا لمن حولي إِلى الأبد، إذ إن وجود الله في حياتي علمني التسامح، ولا يزال الكتاب المقدس صديقي الوحيد الَّذي لديه القدرة على تحسين مزاجي عندما تسوء الأمور.

وإذا كان في قلوبنا ما لا يحكى، وفي صمتنا ما لا ينطق، هكذا الحال اليوم مع الَّذي يجني الثمار وهو لم يزرع البذور، يجمع المحصول من دون تعب، يتحدث بالفضيلة وهو بعيد منها، يحاضر في الصدق والاستقامة وهو كاذب لم

يسمع بهما من قبل. وإذا كانت النصيحة «بجمل» في الماضي، لهذا الرّجل أقول: إياك أن تكسر في حياتك شخصًا، وأن تخذله حتى يسقط في عيون من حوله، فإنه سيأتي يوم ينظر فيه إليك نظرة ازدراء، وكأنك لم تكن يومًا في حياتك ذا شأن، حذارِ أن تعود تستنجد شخصًا أسأت إليه، وهكذا فإن الإنسان قد يجمع في حياته المئات من الأصدقاء، لكن لا أحد منهم يُقارِن وفاءَه بوفاء صديقٍ واحد في دقيقة واحدة.

بين المسيحية والبوذية في اليابان، صراع.

يعدّ اليابان بلدًا رائدًا في التقدم والعلم والمعرفة، وهناك الكثير من الديانات في البلاد، إلا أنه بحسب إحصائيات وكالة الثقافة اليابانية فإن نحو ١٦٠ مليون نسَمة يتبعون ديانة الشنتو، ٩٦ مليون نسمة يتبعون الديانة البوذية، أما أتباع الديانة المسيحية فإن عددهم لا يتجاوز المليوني نسمة، بالإضافة إلى مليون نسمة يتبعون الديانات الأخرى، والمدهش أنه منذ العام ١٨٦٥ صار مسموحًا للأجانب دخول اليابان بعد مِئتي عام من الإغلاق التام للبلاد، وفي مراجعة لتاريخ اليابان فإنها شهدت حربًا أهلية دامية بين توكووغاوا وتويتومي وأتباعهما من الأمراء والساموراي، وانتهت بعد معركة سيكيفاهارا عام ١٦٠٠، وقد لحق باليابان دمارٌ هائلٌ سببته تلك الحرب الدامية.

في اليابان تجد جماعة كاروتو البوذية الَّتي أنتجت ديانة أومو المتطرفة، والَّتي قامت بعمل إرهابي في العام ١٩٩٥ بإطلاق غاز سام داخل أنفاق قطارات طوكيو، في المقابل فإن تسمية «نيتويو» تطلق على الأشخاص الَّذين ليس لديهم شيء يفتخرون فيه إلا أنهم يابانيون، ولأن الإنسان بنظرهم لا يستطيع تغيير عرقة، لكنه يستطيع تغيير جنسيته، لذلك فإن هؤلاء النيتويو يعيّرون الأشخاص الَّذين يكرهونهم بالمقيمين في اليابان وليسوا يابانيين، ويعتقد هؤلاء أن كل ياباني جيد، وكل غير ياباني سيِّئ، ويطالبون بإعادة غير اليابانيين الذين أحضرتهم اليابان من ديارهم.

وإذا كان اضطهاد المسيحيين اليابانيين قد حصل على يد الحكومة اليابانية آنذاك، الَّتي رغبت في تطهير اليابان من النفوذ الغربي ومنعًا لانتشار المسيحية الَّتي جرى حظرها في العام ١٦١٤ بعد أن تم طرد البعثات التبشيرية من البلاد، أما الَّذين رفضوا الرحيل فقد تم قتلهم أو اعتقالهم أو أجبروا على التخلي عن دينهم، ودخلت اليابان في عصر من العزلة بعد أن قطعت اتصالاتها مع جميع الدول الأجنبيَّة، وقد عبر فيلم Silence أي الصَّمت الَّذي عرض في العام ٢٠١٦ عن واقع اليابان في تلك الحقبة التاريخية.

بين الفقر واعتلال الاقتصاد، وتدني الإنتاج.

يشكل ازدياد الفقر وتوسع رقعة انتشاره إدانة أخلاقية لعصرنا، ومع كل التقدم الَّذي شهدته البشرية تظل حقيقة قاسية أن هناك أعدادًا هائلة من البشر يعيشون في حالة من الفقر المزري في كل أرجاء العال؛ فالفقر ظاهرة معقدة، وفيما يعيش أكثر من نصف سكان العالم بمدخول لا يتجاوز الدولارين في اليوم، هناك أكثر من مليار مخلوق بشري، مَدخولُهُم اليوميُّ أقلُّ من من دولار واحد! والفقر يُولد شعورًا متناميًا بانعدام النشاط «والتنبلة»، إضافة إِلى عدم القدرة على التفكير أو التخطيط أو الذهاب بالخيال إِلى ما يتجاوز واقع الكفاح اليومي لمجرد البقاء، والفقر كابوس يشكل حلقة مفرغة قوامها اعتلال الصِحَّة وانخفاض القدرة على العمل وتدني الإنتاجية.

أما بالنِّسبة إلى المجتمعات فإن الفقر يشكل نقمة تعوق النمو وتؤجج الاضطرابات، وتحول دون تقدم البلدان الفقيرة على طريق التنمية المستدامة، ولكل هذه الأسباب فإن الفقر يكلفنا ثمنًا باهظًا بما يتسبب فيه من تدمير لحياة البشر، حيث إن معظم النَّاس الَّذين يعيشون في حالة من الفقر لا ينعمون بشبكات أمان، ولا يحظون إلا بالنزر اليسير من دعم الدَّولة، وعليه فإن مجرد التصدي للفقر هو دليل على قدرة النَّفس البشرية على توقي الصدمات وعلى طاقاتها المبدعة، وفي كل الأحوال فإن الفقر ليس من صنع الفقراء بل نتيجة لحالات فشل هيكلية ونظم اقتصاديَّة واجتماعيَّة عديمة الجدوى كما الحال في لبنان، وهو نتاج للاستجابات السِّياسيّة غير الملائمة، وضحالة القدرة على رسم السياسات العامة، وعدم كفاية الدعم الـدَّوْلِيّ، ويشكل استمرار القبول به اعترافًا بخسارة الكثير من القيم الإنسانيّة الأساسية.

ومن المؤكد أَيضًا أن الفقر هو ظاهرة عالمية تحدث في كل الدول، وعلى سبيل المثال، فإنه من بين ٢٠ بلدًا صناعيًّا، هناك ما يزيد عن ما نسبته ١٠٪ من السكان يعيشون تحت خط الفقر، وتعمل البلدان الغنية على التصدي للفقر داخليًّا، لكن المجتمع الدَّوْلِيّ اتفق على أن يتحد في مواجهة أسوأ أشكال الفقر في البلدان النامية، وهل من يسعى من الدول الخليجية إلى إنشاء صندوق لمكافحة الفقر لشعوب الدول العربية المجاورة لها الَّتي سُرقت كل خيراتها من العراق إِلى سورية ولبنان وفلسطين والسودان واليمن؟ وهل من سميع؟

بين برميل النفط وبرميل زيت الزيتون، والبدائل.

لا أدري إذا كان البترول هو نعمة أم نقمة؟ ولا أدري كيف تسير الدول الَّتي لا تملك بترول في العالم؟ وهل ماتت واختفت؟ للعلم فإن سعر برميل زيت الزيتون يساوي ألف دولار أميركي، أي ما يعادل سعر عشْر تنكات زيت بمئة دولار التنكة، في حين لا يتجاوز سعر برميل النفط المئة دولار سعر وسطي، وماذا لو تم توزيع الأملاك العامة وأملاك الأوقاف للاستثمار من قبل الشباب اللُّبنانيّ العاطل من العمل، وتقديم لهم أغراس الزيتون مجانًا، دعوهم يزرعوا أشجار الزيتون في كل مكان، في الحدائق والحقول والجبال، دعوهم يزرعوا الملايين من هذه الشجرة المباركة، وسوف يتفوق لبنان على البلدان المنتجة للنفط الَّتي بمعظمها فتشت عن بدائل عنه، مثال دبي الَّتي تحولت من النفط إِلى السِّياحة.

وفي نظرة إِلى الماضي وأيام البحبوحة نرى أنها ألْهتنا وأعمَتنا عن التقاط هذا البديل. لا يمكننا تجاهل وإنكار أن سنوات طويلة قد شكلت فرصة ضائعة في التقاط هذا البديل، خاصَّة أن لبنان هو من الدول الَّتي أكرمها الله بهذه الشجرة المباركة، فلِمَ لا نبحث عن خطة أو إستراتيجية وطنية تهدف إِلى جعل زيت الزيتون والنبيذ منتجات وطنية إستراتيجية؟ وحسنًا فعلت وزارة الزراعة في هذا المجال حيث تسجّل جهود جبارة في هذا المجال للمدير العام للوزارة، والعديد من الملحقين الاقتصاديين التابعين لوزارة الخارجية اللُّبنانيّة المنتشرين في ١٦ عاصمة عالمية في التعريف عن هذا المنتج، لبنان يملك البيئة المناسبة والأرض الصَّالحة لإنتاج أصناف زيت الزيتون والنبيذ للتصدير، يسانده وجود ما يفوق العشرة ملايين لبناني حول العالم، يمكنهم تسوق هذه الأصناف من الأسواق إن توفرت فيها المواصفات المطلوبة عالميًّا.

إن هذه الإستراتيجية تقتضي أن يمنح المواطن اللُّبنانيّ الاستثمار المجاني لأراض بمِساحات محدودة وبشروط واضحة، وخصوصًا صغار المزارعين في الأرياف

بهدف زراعتها بأشجار الزيتون، عندها يمكن أن نتصور قيام شراكات عديدة، فمن يملك المال سيشارك صاحب الأرض بالزراعة، ومن يملك الأرض سيجد مصدر دخل سَنَوِيًّا من إنتاجه، ومن يعمل بقطاف الزيتون وزراعته سيجد مصدر دخل سنوي، وسوف يزداد عدد معاصر الزيتون وقيام مصانع جديدة، لديها المواصفات والمقاييس المطلوبة لإنتاج الزيت من النوعية الممتازة المؤهلة للتصدير، وإنشاء هيئة وطنية عليا للإشراف على هذا المنتج، تديرها مصلحة الأبحاث العلمية الزِّراعيَّة الَّتي أثبتت جدارتها، وتعد مختبراتها ذات سمعة جيدة.

في الأخير، أرى أنَّه مهما كانت فاتورة لبنان السنوية من النفط مكلفة، فإن تخفيف عبء استيراده على الماليَّة العامة يجب أن يكون بالبحث عن بدائل يتم إنتاجها محليًّا تكون معدَّة للتصدير لجلب العملة الصعبة، فهل يمكن أن نتصور وجود إستراتيجية واضحة المعالم تؤدي لرفع قدرة لبنان على إنتاج أصناف مطلوبة في الأسواق العالمية والاستفادة من أصناف زيت الزيتون والنبيذ في البحث عن بدائل لخروج الدولار من البلاد وجلب دولار فريش، حتى وإن كانت هذه البدائل تقليدية؟

بين كوكب الأرض، والحرب العالمية الثالثة.

قد يكون ما يشهده العالم اليوم من صراعات وتوترات شديدة ولا سِيَّما بين قوى عظمى مثل أمريكا وروسيا والصين، هو مؤشر خطير لبداية حرب عالمية ثالثة، ولكن بمفهوم آخر غير الَّذي نعرفه عن الحروب السابقة، ويمكن الإشارة لهذا المفهوم بالتهديد الوجودي لكوكب الأرض وتلويح روسيا باستخدام السلاح النووي في حال تدخلت أمريكا بطريقة مباشرة في أوكرانيا، في حين أن الأخيرة تتوعّد بالرد القاسي على روسيا، ما يعني أن احتمال نشوب صراع نووي بين القوتين صار أمرًا واردًا، وفي حال حدث ذلك فستكون البداية لحرب عالمية ثالثة ولكن بمفهوم آخر. هذه المرة ستكون حربًا أكثر وحشية عن سابقتها من الحروب، نظرًا إلى اختلاف نوعية السلاح الَّذي سيستخدم في هذه الحرب المحتملة. فالحرب سوف تكون حربًا نووية بسلاح أكثر تطورًا وأشد فتكًا وقساوة، مقارنة بالسلاح التقليدي المستخدم في الحربين العالميتين الأولى والثانية، كما سوف يكون لها عواقب وخيمة ليس على البشر فحسب بل على كوكب الأرض بشكل عام.

تقول روسيا: إنها تستشعر خطرًا على وجودها، والمسألة بالنِّسبة إليها هي مسألة حياة أو موت، الرئيس الروسي يرى أنه في حال لم يقدم على اجتياح أوكرانيا وإخضاعها لسيطرته، فإن روسيا ستتعرض للغزو في المستقبل القريب أو البعيد. قد نعتقد أن لا أحد يفكر بغزو روسيا، وربما هذا صحيح حاليًّا، لكن الدول الكبرى تفكر لمئة عام قادمة، ومن هذا المنظور يمكن أن نرى مخاوف بوتين بشكل واضح، لو راجعنا دراسة جغرافية روسيا وتاريخها الَّذي تعرضت فيه لعدة غزوات، سواء من بولونيا في عام ١٦٠٥ أو السويد في العام ١٧٠٨ أو فرنسا أيام نابليون في عام ١٨١٢ أو ألمانيا مرتين خلال الحرب العالمية الأولى والثانية، حتى بلغ عدد مرات الغزو الَّتي تعرضت لها روسيا منذ حملة «نابليون

في العام ١٨١٢» حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، ما متوسطه مرّة كل ثلاثة وثلاثين عامًا.

تجدر الملاحظة أن جميع محاولات الغزو الَّتي تعرضت لها روسيا جاءت من حدودها الغربية، مع أنها بلاد شاسعة ولها حدود مع دول عديدة من الشرق والجنوب الصين ومنغوليا وكازاخستان وكوريا الشمالية وجورجيا، فإن الرئيس الروسي بوتين يخشى من وصول المد الغربي إلى عقر داره، ويريد إعادة مجد روسيا قوة عظمى، كما أنه يريد تشكيل منطقة عازلة بين روسيا والناتو. لكل هذه الأسباب لا يريد أن تفلت أوكرانيا من قبضته، ويرى أن عدم حصول ذلك قد يكون بداية نهاية روسيا كما نعرفها اليوم. من جهته العالم الفيزيائي ستيفن هوكينج قدم نصيحة للبشرية قبل وفاته يقول: «غادروا كوكب الأرض بأسرع وقت ممكن، لو لم يكن هناك حروب وأوبئة على مر التاريخ والعصور كلها، كم تعتقدون كان قد بلغ تعداد سكان الأرض؟ من يدري هل بدأت الحرب العالمية الثالثة؟ وهل نحن أمام وداع لملايين البشر، ضحايا لهذه الحرب؟ إضافة إلى هدم حضارات، وكل تقدم وتفوق علمي، وعودة كوكب الأرض إلى التخلف، وعندها لن تكون هناك حاجة لأن نغادر الأرض.

بين الاختلاف بالرأي والاختلاف بالتعبير، لا خلاف.

الاختلاف بالرأي لا يفسد الصداقة، بل يُنمي العقول، وهذه حقيقة يجب إدراكها، أما في لبنان فإن الاختلاف بالرأي أفسد كل شيء، رغم أن الاختلاف أمر عاديٌّ وطبيعيّ جِدًّا، أما أن تفرض رأيك على الجميع فهذا لا يجوز، ولكل المختلفين أقول: لا أعتقد أن خلافاتكم هي لمصلحة لبنان، وإذا كان كذلك بادروا إلى الاجتماع لحلها؛ لأن لبنان وشعبه يستحقان التضحية والتوافق والمصالحة لبناء الوطن، مع الجزم والتأكيد أن كل خلافاتكم هي لأهداف ومصالح خارجية .

وها هي المثالية «والعفة» البعيدة من الواقع لبعض التَّيَّارات السِّياسيّة في لبنان تفقد مصداقيتها بعد الاختبار؛ فالمبادئ الَّتي كانوا ينادون بها كانت «كلام بكلام»، والشخصيات الأسطورية الَّتي حلمنا بالخلاص على أيديها كانت من ورق أصحابها لا يدرون، وهكذا فإن سياسات الشعوب تبنى على المصالح، حيث لا مكان للديمقراطية في قاموسهم، جميعهم لا يقبلون النقد، ويرون أن من لا يصفق لهم هو ضدهم، إنهم أناس لا يُقدّرون الاختلاف ويرونه خلافًا، وبفضلهم صرنا أناسًا نعيش حاضرًا أليمًا، تكملة لتراكم الماضي السَّيِّئ الذِّكر.

الاختلاف في الرأي ليس خلافًا، وربما جميعنا لدينا اهتمامات واحتياجات ونيَّات مختلفة، فالاختلاف ليس بالأمر السَّيِّئ، ويجب رؤية ذلك ظاهرة إيجابيّة وطبيعيّة، ويجب ألّا يؤدي الخلاف إلى معركة وتصادم، والفرق بين الاختلاف والخلاف هو في النتائج الَّتي تكون سلبية في بعض الأحيان، ويمكن أن يكون الصراع بنّاءً وليس هدّامًا، ويمكن أن يؤدي إلى خلاف هادف ونتائج إيجابيّة؛ فالطريقة الَّتي يدار بها الصراع تحدد النتيجة. وحبذا لو نجري تقييمًا لتحديد الربح والخسارة عشية فك الحصار المالي والاقتصادي عن لبنان الَّذي دام ألف

يـوم. بالطبـع حسـاب الخسـارة كبـير جِـدًّا، وحسـاب الربـح الوحيـد هـو أن قلبنـا لا يـزال ينبـض حبًّـا وطموحًـا للوطـن اللُّبنـانيّ الَّـذي لا يـزال دمـه يجـري في عروقنـا، والإيـمان عندنـا بديمومـة لبنـان يعـادل الإيـمان بـالله الَّـذي لـن يغمـض عينيـه عـن هـذه الأرض المقدسـة.

بين العناق والانعتاق، والترياق.

العناق هو عناق الأجساد، أما الانعتاق فهو عناق الأرواح، وتعيش الروح داخل الجسد في صراع دائم بين العناق والانعتاق ولا سبيل للفصل بينهما؛ فالعناق هو لغة الحب الصامتة الَّذي يعالج القلوب والنفوس ويشعر الأجساد بالأمان والطمأنينة، كما يرى أهل الاختصاص في علم النَّفس أن العناق يزيل الاختناق، شرط التخلص من الصراع الَّذي يعيش في الداخل مع كمية التناقضات الَّتي تحجب السعادة عن الإنسان.

في الغالب يكون العناق وليد اللحظة ما لم يقتله الكبرياء أو يحبطه الخجل. في الكتاب المقدس هناك كلام يشبه العناق، «لا تخف، إن الله معنا»، وهذا بحسب اعتقادي هو عناق افتراضي بين الخالق والمخلوق نحتاجه كثيرًا حين ينكسر خاطرنا ويحزن قلبنا فيأتي ويفرحه، ثمة مفردات أخرى وكأنها حضن حين تضيق بنا الدُّنيا، «ما نحن في هذه الدُّنيا إلا ضيوف هونوا على بعضكم الطريق»، وليسَ شرطًا أن يكونَ العناق بالذراعين، فأحيانًا كثيرة يكون بكلمة، ولو جبر خاطر، الحيوانات بدورها كما البشر تتعانق حين تلتقي بعد فراق طويل حتى قيل: إن طول العناق هو دواء للاشتياق، ووسيلة لإعادة إحياء الروح عندما تصبح تائهة، وعندما تصبح المشاعر معدومة .

يقول توفيق الحكيم: «العقرب تولد وسمّها فيها، أما الإنسان فيولد نقيًّا صفيًّا، ثم يصنع سمومه بيده، ثم يعيش حياته يبحث عن الترياق»، ومثلما «العلم هو الترياق المضاد للتسمم بالجهل والخرافات»، كما يقول آدم سميث، فإن الكتاب المقدس هو الترياق لكل آفات الحقد والكراهية بين البشر، وطالما يقيس الإنسان قراراته بمقياس الحلال والحرام والخير والشر فهو في خير كبير،

ومـن المتوقـع أن تـؤدِّي الإنسـانيّة في المسـتقبل الـدور الَّـذي لعبـه الإلـه في الديانتـين المسـيحية والإسـلامية مـن قبـل، والـدور الَّـذي أدَّتـه قوانـين الطبيعـة في الديانتـين البوذيـة والطاويـة، عانقـوا بعضكـم، أحيـوا الإنسـان في داخلكـم، انسـوا الأحقـاد، فـإنَّ الأعـمار قصـيرة .

بين الحب العاطفيّ، الغريزي والجسدي.

مما لا شك فيه أن الحب عند غالبية الرجال والنِّساء في هذه الأيَّام يعني بمفهومهم الأمان والراحة والإشباع العاطفيّ والغريزي معًا، وهذا بلا شك، هو إسقاط خاطئ لمعنى الحب، وحبذا لو أنهم يعودون إِلى الكتاب المقدس ويقرأون أن الزواج هو رابط مقدس مبني على الحب والمودة والاحترام والتعاون، على أن الارتباط بالزواج يجعل الرّجل والمرأة يحققان الإشباع العاطفيّ والغريزي والنَّفسي، وفيما الحب الروحي يقود إلى الحب العاطفيّ، فإن الحب الجسدي هو نتيجة حتمية للحب العاطفيّ عادة، في حين أن دور العقل يقتصر على القبول والإعجاب.

والحب العاطفيّ ينقذ الإنسان من حالة الضياع عاطفيًّا، وينقله إِلى حالة الشعور بالانتماء، وأنه يرتبط بشخص عاهده أن يكمل العمر معه، وإذا كانت الكلمة الطيبة هي سر نجاح العَلاقات العاطفيّة، لكنها يمكن أن تتحول إِلى رصاصة قاتلة عند فقدان الاحترام؛ فالإنسان بحاجة إِلى الحب والدعم العاطفيّ أولًا، وتاريخ البشرية هو صنيعة الكثير من العواطف والحب مثلما هو صنيعة العقل، لكن قوة الحب تبقى في صدقه ما يجعله يؤسس لعَلاقات زوجية يسودها السلام واحترام الاختلاف في الرأي وربما في المعتقد، لكن، يا لَلأَسَف! فإن الإحساس بالحب قد تقلص كثيرًا في هذا الزمن، وضاع البشر بين النزوة والفراغ العاطفيّ والأقنعة المزيفة.

وعمومًا، فإن تركيز الرجال والنِّساء في الحب ليس قائمًا فقط على الاشتهاء الجسدي، بل إن حب الشخص للآخر قد يكون لشخصيته، بغض النظر عن التقارب الجسدي حصل أم لم يحصل؛ فالحب الحقيقي هو عَلاقة تسمو

عـن أشـياء كثـيرة، وترتقـي إِلى أبعـد الحـدود لتتـوّج بالعَلاقـة الحميمـة، لكـن الشـهوة لا تـؤدي إِلى الحـب؛ فالحـب مشـاعر، وحـين يصـل الحبيبـان بالحـب إِلى نشـوة المشـاعر، فهـذا أعظـم بكثـير مـن نشـوة الجسـد، عـلى أن كل توصيفـات الحـب الأخـرى ليسـت مهمـة؛ فالإنسـان إذا أحـب شريكـه أحبـه بقلبـه، وغالبًـا بعيوبـه وجنونـه، وهكـذا فـإن تسـمية بعـض العَلاقـات الغراميـة بمسـمى «الحـب» هـي تسـمية في غـير محلهـا، وهـي ليسـت كذلـك، بـل هـي مجـرد «نـزوة جنسـية» بالتوصيـف الحقيقـي.

بين عهد المتصرفية والأرمني الَّذي حكم لبنان.

كلمة «دفرونميا» هي اختصار الحروف الأولى لأسماء المتصرفين العثمانيين الَّذين حكموا لبنان بين الأعوام ١٨٦٤ إلى ١٩١٥، وأولهم داود باشا، فرنكو باشا، رستم باشا، واصا باشا، نعوم باشا، مظفّر باشا، يوسف باشا، «ونيال من له مرقد عنزة في لبنان»، هو مثل أطلق خلال مدَّة المتصرفية الَّتي امتدت على مدى خمسين عامًا، وكان ختامها لمتصرف أرمني اسمه أوهانس باشا قيومجيان آخِر المتصرفين الَّذين حكموا لبنان، وكان قد شغل في الدَّولة العثمانية منصب وزير الماليَّة ١٨٩٧- ١٩٠٨ ومنصب النائب العام لوزارة الشؤون الخارجية ١٩٠٩-١٩١٣ ، وكان وقتها للدولة العثمانية أكثر من ١٥ سفيرًا وقنصلًا من أصول أرمينية .

أوهانس باشا قيومجيان خدم لبنان أكثر مما خدم حكام إسطنبول، لذلك استغل جمال باشا وضع الحرب العالمية الأولى فأخذ يضايقه، وكان أوهانس باشا قد ترعرع في أرمينيا في عائلة عريقة، وتلقى علومًا عالية، وكان مثالًا في التربية والأخلاق والشعور الصادق بالإنسانيّة، كما لا بد من الإشارة إلى الدور الوطني الَّذي أدَّاه أوهانس قيومجيان باشا بتخليص شباب لبنان من الخدمة العسكرية والنهاية الحتمية المأساوية لهم في السخرة، حيث قام بإصدار بطاقات هُويَّة لبنانية لإثباتها لدى العسكر العثماني لعدم اللحاق بهم بالحرب وتم توزيعها على الأقضية، كما تميز عهده بانتشار العلم والثقافة بين اللُّبنانيّين، وانتشرت المدارس في جميع القرى والمدن، وتم افتتاح أهم جامعات الشرق الأوسط وأعرقها، ألا وهي الكليّة السورية الإنجيلية الَّتي أصبحت الجامعة الأمريكية في بيروت، وجامعة القديس يوسف.

وبينما كانت بيروت وقتها خارج نظام متصرفية جبل لبنان، وكان متصرفها عثمانيًّا، كان متصرف جبل لبنان تعيّنه الدول الأوروبية بالتفاهم مع الدَّولة العثمانية، وكان من المألوف أن يهرب بعض الملاحَقين من جبل لبنان إِلى بيروت وبالعكس، وعند وفاة متصرّف لبنان واصا باشا الألباني دفن في الحازمية، وكان قد اشتهر عنه فساده المالي، وأثناء مراسم الدفن وقف الشاعر تامر الملاط الَّذي كان واصا باشا قد عزله من منصبه بتهمة تسريب أخباره للصحافة، وفيما هو يرثيه أنشد قائلًا: «قضى ووارَوه الثرى، فأجبتهم وأنا الخبير بذاتِهِ، رنّوا الفلوس على بلاط ضريحه، وأنا الكفيل لكم بردّ حياتهِ»، ثم هرب باتجاه بيروت حتى لا تلاحقه سلطات متصرفية جبل لبنان آنذاك، الَّتي أصدرت أمرًا بملاحقته.

بين الثرى والثريا، والأمل بالحياة.

الفرق بين الثرى والثريا هو الفرق بين تراب الأرض ونجوم السماء، وهو مثل الفرق بين النور والظلمة، وبين الحق والباطل، وبين الشر والخير، بين الشيطان والملاك، بين المجرم القاتل والمؤمن التقي، بين الدَّولة المتقدمة وحركة الفكر التكفيري الَّتي تحث على الكراهية والعنف.

ويبقى أنه شتان بين الثرى والثريا، وبين من أعطى روحه للوطن، وبين من خانه من أجل المال، ويبقى شتان بين الإيمان والعربدة، لأن الفرق كبير بين الَّذي يريد وطنًا ويموت من أجله، وبين الَّذي يريد مقعدًا نيابيًّا أو وزاريًّا ويناصر فاسدًا، وشتان أَيضًا بين من يسعى لإسعاد النَّاس وبين فاسد يحمل شهادات مزورة يبحث عن الشهرة ولو على حساب خراب الوطن.

ولأنه لا يمكن أن تتساوى السحاب مع التراب، ولا يمكن أن تتساوى القمة مع السفح، فإنه، عندما تطمئن الجذور في الأرض، وبعد أن تسقى، فإنها تروي كل غصن في الشجرة الَّتي تفاخر جذورها أنها لا تكترث لصوت الريح، في جذورها الأمان والاطمئنان، وبين الجذور والأغصان مسافة وخلافة، وأشجار اليوم المطمئنة بين الثرى والثريا تعيش شامخة مثل الأمل بالحياة في لبنان الحبيب الَّذي لا بدَّ من أن يعود بلد الإشعاع والفكر على الأرض ما دامت الثريا باقية متلألئة في السماء.

بين هيرودس بيت لحم ..وهيرودس لبنان.

بعد أن حكم هيرودس أنتيباس الوثني الجليل وشرق الأردن، وهي ربع ما ورثه من هيرودس الأوَّل، وأنفق مبالغ كبيرة من المال على مشاريع البناء والمعابد، وازدهرت دولته وتمت الإشادة بأعماله، وأطلق عليه لقب «أعظم بانٍ في التاريخ اليهودي»، هو نفسه كان شريرًا وأمر بقتل أطفال بيت لحم عندما علم بمجيء ملوك المجوس ليسجدوا للطفل يسوع المولود فيها، سائلين: «أين المولود ملك اليهود، جئنا لنسجد له، فسأل هيرودس عظماء الكهنة والكتبة: أين يولد المسيح؟ فقالوا في بيت لحم»، وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا منك يخرج الوالي الَّذي يرعى شعب إسرائيل». (متى ٢).

وعلى أرض الأردن في منطقة مكاور قرب مدينة مادبا، طلبت سالومي ابنة هيروديا رأس يوحنا المعمدان من زوج أمها الملك هيرودس، حيث كان يوحنا قد رفض أن يعاشرها وتحدث عن مجونها، فكرهته وانتقمت منه، فاستجاب الملك لطلبها بعد أن رقصت له وأمر بسجن يوحنا، ثم بقطع رأسه وتسليمها إياه، وقد أراد هيرودس أن يكتم أنفاس الحق، ويقيد الكلمة بالسجن والقيود والسيف، حتى إن الله قد عاقبه عند موته بأبشع عذاب لدرجة أنه أراد الانتحار لأكثر من مرة ليتخلص من آلامه، ومع يسوع نردد: كم كان خير للمسيحية لو لم يولد هكذا حكام (مرقص ١٤).

وإذا كان هيرودس قد قتل كل أطفال بيت لحم حفاظًا على موقعه وسلطته، وخوفًا على عرش ملكه من طفل مولود ملك، فكم من «هيرودس» اليوم يقتلون أطفال لبنان حفاظًا على مكتسبات حصلوا عليها عبر استغلالهم السلطة؛ الشبه كبير بين هيرودس وحكام اليهودية وحكام لبنان، هيرودس خاف

على عرشه فقتل أطفال بيت لحم، وخاف حكام اليهودية على مناصبهم فصلبوا المسيح، وخاف زعماء لبنان على مراكزهم فقتلوا شعبهم، وها هم حكام لبنان يرقصون أمام شعبهم، كما رقصت ابنة هيروديا أمام هيرودس. أنصحهم بقراءة التاريخ ليروا نهاية هيرودس علّهم يتعظون.

سالومي ترقص أمام هيرودس

بين صليب من خشب، وإيمان من ذهب.

تقول الروسية تاتيانا ألكسييفا: «كان لدى المسيح صليب من خشب وقلب من ذهب، أما في أيامنا فإنه لدى الكثيرين من خدامه صلبان من ذهب وقلوب من خشب»، ومن قلب موسكو يروي الصديق رودريك خوري قنصل لبنان في روسيا على صفحته: أن أحد أصدقائه من الرهبان الروس لا يضع على صدره إلا صليبًا من خشب بسيطًا جِدًّا، رغم امتلاكه العديد من الصلبان الذهبية والفضية الرائعة، وحين سأله عن السبب، أجابه: «إن الرب يسوع كان يحمل صليبًا من خشب، فمن أكون أنا لأحمل صليبًا من ذهب؟».

ولعل من أهم قواعد تحقق السلام الداخلي للإنسان هو التواضع والإيمان بعظمة الله، وأن كل شيء زائل، وأن ما زال من أمامه هو بالأحرى زال عنه، وأن كل ما ضاع منه لم يكن له في الأصل، وقد أعجبني جِدًّا مساندة رجال الكنيسة أبناءهم في هذه الأزمنة الصعبة الَّتي تمر بها البلاد، حيث لا عبارات تكفي لتوصيف خطورة الأزمة على المجتمع، وحيث صار الجوع كافرًا لا يرحم، والهَم سيفًا يقتل بلا حرب، والحقد في القلوب نارًا تشتعل من دون دخان، والشماتة بالمصائب نقصًا في الفهم بين النَّاس، والتشاؤم ضعفًا في الإيمان الَّذي سكن في قلوب الكثيرين مكان الفرح والأمل وتغلغل في أعماقهم، واستطاع أن يغير حياتهم ونظرتهم إلى الحياة، وأن يعدَّل من سلوكهم فيما بينهم ومع الله .

يقول البابا فرنسيس: «تدعونا الكنيسة اليوم لنتأمّل في صليب الرب، أن التأمل في الصليب بالنِّسبة إلينا نحن المسيحيين، هو التأمّل في علامة فشل، وإنما في علامة انتصار في الوقت عينه». «النَّفس الَّتي تخطئ هي الَّتي تموت،

والابـن لا يحمـل مـن إثـم والـده، والأب لا يحمـل مـن إثـم الابـن، بِـر البـار عليـه يكـون، وشر شريـر عليـه يكـون».

(سفر حزقيـال: ١٨-٢٠) ونحـن إذ نؤمـن بـأن المسيح هـو الوحيـد الَّـذي لم يعـرف الخطيئـة رغـم أنـه دفـع ثمـن خطايـا العـالم عـلى الصليـب ومـن ضمنهـا خطايـاي، أدعوكـم للتأمـل معـي في هـذا الصليـب أمامكـم، حيـث أجـد فيـه محبـة الإنسـان للـرب الإلـه الخالـق، ومحبتـه لأخيـه الإنسـان عـلى هـذه الأرض، وفيـه يتجسـد يسـوع المسيح الإلـه الَّـذي غلـب المـوت وحـده، بالصليـب تكـون قـوة الله معنـا، كـما يقـول القديـس بولـس الرسـول: « كلمـة الصليـب عنـد الهالكـين جهـال'، أمـا عندنـا نحـن المخلصـين فهـي قـوة الله».

بين الاقتراب والابتعاد، حاجة وضرورة.

لا يُمكن للقنافذ أن يقترب بعضها من بعض؛ فالأشواك الَّتي تُحيط بها تشكل حصنًا منيعًا من أعدائها ومن أبناء جنسها، فإذا أطلّ الشتاء برياحه وبرده القارس، اضطرت القنافذ للاقتراب والالتصاق ببعضها، طلبًا للدفء، متحملة الأشواك والألم، وإذا شعرت بالدفء ابتعدت حتى يعاودها الشعور بالبرد فتقترب مرة أخرى، وهكذا تقضي ليالي الشتاء بين اقتراب وابتعاد، والاقتراب الدائم قد يكلفها الكثير من الجروح، والابتعاد الدائم قد يُفقدها حياتها .

كذلك هي حالتُنا في عَلاقتنا مع بعضنا نحن البشر، فلا تخلو حياة الإنسان من أشواك تُحيط به، لكنه لن يحصل على الدفء ما لم يحتمل الشوك والألم، ويعيش عمره بين أشواك تجرح، وبُعد يؤلم، وفراق لا نقدر عليه، لذلك أصدقائي من أراد منكم صديقًا بلا عيب عاش وحيدًا، ومن أراد شريكًا بلا نقص عاش عازبًا، ومن أراد قريبًا كاملًا عاش بلا أقارب، فلنتحمل الاختلاف مع الآخرين حتى نعيد التوازن إلى حياتنا.

لذلك إذا أراد الإنسان أن يعيش حياته بسعادة، فيجب ألّا يفسر كل شيء، ولا أن يدقق في كل شيء، ولا أن يحلل كل شيء؛ فالَّذين حللوا الألماس وجدوه فحمًا، كما يجب أن لا نحرص كثيرًا على اكتشاف الآخرين والغوص في تفاصيل حياتهم، وأن نكتفي بالخير الَّذي يظهرونه في العلن، وأن نترك الخفايا والنوايا للرب، وصدق القائل: «لو اطلع النَّاس على ما في قلوب بعضهم بعضًا لما تصافحوا إلا بالسيوف».

بين المدير الناجح والمدير الفاشل، ارحمنا، يا الله.

تتطابق آراء العديد من الموظفين الَّذين عملوا مع مدير فاشل على أن العمل معه ممل للغاية، ويعود السبب في ذلك إِلى كلامه السَّيِّئ وغير المؤدب، وإِلى سرقة أفكار بعض فريق عمله ونسبتها إليه، وإِلى تجسسه على موظفيه والتعامل معهم وفق مزاجه المتقلب، وسعيه لأن يرضخ الجميع لأوامره، فيما المدير الناجح ينصح موظفيه ويحفزهم، كلامه لطيف ومؤدب معهم، يسعى لخلق فريق عمل من المبدعين حوله، ويعمل لتطوير خبراتهم، يوجه موظفيه وفق قدراتهم، ويتعامل معهم بتواضع، يهتم لسماع رأيهم في العمل وانتقاداتهم لسير العمل.

في علم الإدارة لا يوجد موظف فاشل وموظف ناجح، بل يوجد مدير فاشل ومدير ناجح؛ ومن حسن حظنا في لبنان أنه لدينا في الإدارة مديرون عامّون من أصحاب الكفاءات المشهود لهم بها عالميًّا، على أن نجاح هؤلاء المديرين خلال انتشار كوفيد ١٩ في لبنان في التأقلم مع الوضع واستيعاب الكارثة ومراجعة الأنظمة المرعية الإجراء، وخلق المنصات الخاصَّة بالتجوال، وطرق تلقي اللقاح وتكثيف اللقاءات الافتراضيَّة عبر تطبيق zoom، أسهم بشكل كبير في لجم الخسائر في لبنان، مقارنة مع العديد من الدول الأوروبية حتى الولايات المتحدة وغيرها، ويعتمد هذا النجاح بشكل أساسي على كفاءة هؤلاء المدرين وأمانتهم وإخلاصهم، كلٌّ في مركزه.

إضافة إِلى الكفاءة والخبرة والدراية العلمية بوصفها مؤهلات أساسية لنجاح هؤلاء المديرين في أعمالهم، وهو موضوع بحثنا اليوم، فإن سببًا أساسيًّا لنجاح كل مدير في عمله يعود إِلى تربية هذا المدير في بيته وتعليم والديه له مخافة الله في عمله، وان يكون مصدر رزقه حلالًا بعيدًا من الحرام، واستطرادًا نقول:

أعطوا المعلمين والقضاة وأعضاء السلك العسكري والمديرين وموظفي القطاع العام حقوقهم كاملة من رواتب وتأمينات اجتماعيَّة وصِحِّيَّة لائقة، مع إعادة تحجيم أعداد هذا القطاع من ٣٥٠ ألف موظف إلى ٣٥ ألف موظف، وتشديد عقوبة المقصرين منهم، وقيام التفتيش المركزي بدوره ومعه مجلس الخدمة المدنية، فلا يعود هناك مدير ناجح ومدير فاشل، بل السبب هو وجود منظومة فاشلة ونظام سياسي أفشل، والخاتمة بقول شريف: «إِنَّ اللَّـهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَومٍ حَتّى يُغَيِّروا ما بِأنفسهم».

بين فائض النِّساء المطلقات، وذكوريَّة الأزواج.

غالبًا ما تكون المرأة المطلقة هي ضحية، لكنها هي الرابحة في الآخِر، خاصَّة عندما تنجح في التخلص من رجل فاشل، لذا يجب مراعاة ظروفها والعناية بها وإحاطتها من المجتمع حتى تلملم جروحها، فربما رِحلتها الأولى لم تكن موفقة، وعليها أن تأخذ الدرس منها وتبني حياتها من جديد، وربما هي عنيدة، لكنها ليست امرأة غير صالحة على أن ثقتها بنفسها واعتزازها بكيانها يجب أن يبقى أكثر أهمِّيَّة من جمالها الخارجي، وأن قدرتها على إدارة مشاعرها بذكاء هي مسألة بغاية الأهمِّيَّة، ويجعلها محط تقدير وإعجاب من المجتمع مهما كانت نظرته إلى المرأة المطلقة، وخاصَّة في الوظيفة، وهذا ظلم بحد ذاته أن يتم التحفظ على اندماجها من جديد في سوق العمل.

نعم المرأة المطلقة ليست بالضرورة امرأة فاشلة، والأرجح أنها ضحية رجل فاشل ولا مكان للأقدار والنصيب والحظّ في خراب بيتها، كما يظن بعضهن، إنما النِّساء ومنذ القديم شغلهنّ الشاغل تدمير حياة بعضهنَّ بعضًا ربما، ويكذبن على أنفسهنّ في العلن، وفي أنهنّ يعشنَ في بيوتهنّ حياة نموذجية، وأن حالات الطَّلاق نادرة جِدًّا في مجتمعهن لدرجة أن المرأة المطلقة كان يتم شيطنة أخلاقها ونبذها من النِّساء المتزوجات، خوفًا من أن تخطف أزواجهن، وهم أنفسهم عندما أعطيت المرأة الحق بإيقاف الظلم عنها وتحرير نفسها من زوج عاجز، بخيل أو معنف صرخوا: أوقفوا العبث بالنِّساء في مجتمعاتنا.

وبين المساواة والعدالة يبقى السؤال: هل استطاع المجتمع الشرقي أن يقتنع بمفهوم المساواة بين المرأة والرّجل؟ والهدف ليس رحمة بالمرأة، بل لوقف إلغاء دورها وخصوصيتها وحيثيتها والظلم الَّذي تقع فيه، وهل المساواة لمصلحة

بين فائض النِّساء المطلقات، وذكوريَّة الأزواج.

المرأة أم العدالة؟ العدالة هي إعطاء كل ذي حق حقه، والرّجل إنْ طلق زوجته حكم على أطفاله بنصف اليتم، كما أنه ليس أي رجل مطلق هو سيِّئ، والمرأة ليست من الملائكة لا تخطئ، ويبقى الحل بمراجعة الرّجل والمرأة لحسابات الربح والخسارة لكل منهما قبل الإقدام على الطَّلاق، أقلُّه رحمة بأولادهم.

بين الراكب والمركوب، والشَّعب العظيم.

بئس الراكب والمركوب، فإن طغيانهما كان سبب هلاكهما، وهكذا عندما يصعد إلى القِمة من لا يستحق، فاعلم أن من رفعه حمار، ومن زعم أن لا تسوية قادمة على المنطقة العربية وصولًا إلى القوقاز ولا يزال يطل عبر الشاشات صبحًا ومساءً واصفًا نفسه بالمحلل السِّياسيّ أو الخبير الإستراتيجي، فعليه أن يذهب إلى عيادة طبيب نفسي؛ لأن الحروب لا تنشأ بين الراكب والمركوب أو بين الخادم والمخدوم.

ويا لَلأَسَف الشديد! فإنه في لبنان لا حياة لمن تنادي، وبات شعبنا شعبًا منكوبًا، مسلوبًا، منهوبًا ومركوبًا، يستمتع حكامه وجلادوه بنهب خيراته منذ ما يقارب ٣٢ عامًا، ومنذ ثلاث سنوات قامت ثورة في لبنان والسودان في وقت واحد، هناك أَجبر الجيشُ والشَّعب السوداني الرئيسَ البشير على التنحي، وعندنا تنحى ثلث الشَّعب اللُّبنانيّ، وهاجر بعد أن فقد الأمل، أو أنه اقتنع أن التغيير يأتي من الخارج وليس من الداخل، حسب ما تعودنا، ولعل ما قيل هو خير تعبير عن حالتنا: «ما كانت الحسناء ترفع سترها، لو أنّ في هذي الجموع رجالًا».

وكما أن الراكب مسؤول عن إدارته للبلاد فإن المركوب مسؤول أَيضًا، ومن دون شك هناك مسؤوليَّة كبيرة تقع على الشَّعب اللُّبنانيّ فيما وصلت إليه الأوضاع من تَردٍّ، لكن القول «الحق» على الشَّعب فقط، صار تغطية لسرقة أهل السياسة بالشراكة مع حزب المصارف والحاكم بأمر المال، والسبب أن بعض النَّاس وضعوا ثقتهم في هذه المنظومة الفاسدة فوق التصور، والَّتي قادتهم في النهاية إلى الانهيار لأسباب عديدة، منها مفهوم الترهيب والترغيب بالدرجة الأولى، لكنه

بمفهومي فإنه عندما تتعرض الطائرة لخطر داهم تكون المسؤوليَّة على القبطان والطاقم وحدهم، ولا جدوى من أن يحرك الراكب ساكنًا لينقذ نفسه، ولا حيلة له سوى الصلاة للخلاص، وهكذا حالنا اليوم، وما علينا سوى الاستمرار في الإنتاج والعمل والصلاة بانتظار الخير القادم.

بين المواجهة والهروب، حكمة.

يتعرض الإنسان في الحياة لعدّة مواقف تضطره إلى أخذ قرارات حاسمة فلا يتركها عالقة، وفي غالب الأحيان يتجه بعضهم إلى ترك الأمور تسير على ما تقرره الأقدار في أيّ اتجاه، ومن دون مواجهة، وقد يجد بعضهم الهروب هو الحل؛ لأن المواجهة تتطلب الوضوح والصراحة والتعامل بشفافية، ويبدو أن كثيرين لا يمكنهم أن يكونوا كذلك؛ لأنهم ليسوا مؤهلين لها، ويبقى أن نسأل القارئ: أيهما تختار المواجهة أم الهروب؟ الهروب من المواجهة أم الهروب من المشكلة؟ وهل الهروب هو ضعف أم حكمة؟ وهل المواجهة هي قوة وثقة بالنَّفس؟ والواضح أن الإنسان في عمر النضوج يعلل صراحة الهروب بأنه ليس ضعفًا بالضرورة، بل حكمة بعدم المواجهة.

والقدرة على البدء من جديد بعد كل هروب أو بعد كل مواجهة تكاد تكون بمنزلة التوبة بعد المعصية، والنجاح بعد الفشل والأمل بعد اليأس، والإقدام بعد التردد، والاعتذار بعد الخطأ، والحماس بعد الفتور، وهي خير استسلام يسكن في النفوس، وعندما يتألم الإنسان من وضع عاطفي روحي، نفسي، مادي أو وظيفي، فقد لا يرغب في المواجهة، ويلجأ إلى الهروب بحثًا عن متعة قصيرة أو يصاب بإحباط كبير؛ لأنه يخشى الخروج من حلْقة الوهم والمواجهة، لكن ما يجب عليه أن يدركه هو أن في داخله قوة كبيرة وقدرة تَحمل عظيمة وحبًّا عميقًا للحياة، لذا يجب عليه أن لا يهرب من المواجهة .

وفي هذا السياق يقول ديستوفيسكي: »أدركتُ أنني شخص قوي حينما صبرتُ على أمرٍ ما، في كل يوم وفي كل ليلة كان يبترُ شَيْئًا من روحي«، وهكذا نحن نتألم، ننزف، ثم نشفى ونبدأ من جديد، لذلك يجب عدم تأجيل الأعمال، وتنفيذها دون تردد، وقطع العَلاقات المؤلمة مع الأشخاص الَّذين يتسببون بالألم وإخراجهم من حياتنا، والتخلص من الهمّ الَّذي يثقل علينا، والتضرع إلى الله أن ينير لنا طريقنا.

بين الندم على فعلٍ، والندم على عدم فعله.

في كل ليلة، وقبل الصلاة والنوم، علينا محاسبة أنفسنا على كل تصرفٍ فعلناه في يومنا، وبذلك سوف نشعر بالتّجدد في حياتنا، ونؤكد حقيقة أننا أشخاص نقبل النقد الذاتي، لكن بالمُقابل يجب عدم النّدم على فعلِ خيرٍ أو كلمةٍ طيبة نطقنا بها؛ فالخير دائمًا يُغذي الروح ويسمو بها ويعود علينا لاحقًا، كما أن الندم يدخلنا في دائرة اللوم والتأنيب للذات، وإذا كان الندم هو درس نتعلم منه، فإن جَلد الذات والتأنيب هما أسوأُ شيء في الوجود؛ لأنهما يجعلان حياتنا مبنية على الخوف.

يجب ألّا نندم على فعلٍ خيرٍ تم إنكاره، ذلك أن أسوأ أنواع الندم هو الندم على فعلٍ في غير مكانه نفعله لشخص خطأ، والندم هو أن تأتينا الفرصة ولا نقدم شَيْئًا، ولو انتظرنا شكرًا على كل ما نفعلُه لَما فعلنا شَيْئًا، كما يجب أن نقتنع أن النجاح لله، والندم على ما لم تفعله هو أشد بكثير من الندم على ما فعلناه، وهو ضِعف الندم، لذا علينا أن نغامر من دون خوف، وأن نعيش حياتنا بلا قيود تحجب عنا الثقة بالنَّفس والسعادة والشعور بالحرية.

وإذا استطعنا التحلي بالصبر في لحظة غضب، فإن النتيجة ستكون ضمان عدم الندم والتحسّر على أفعال تمت في ساعة غضب. شخصيًّا أفضل الندم على شيء فعلته بدل الندم على عدم فعل شيء، وبحسب اعتقادي، فإن حدّة الندم على أشياء فعلناها تخف عندما نقوم بتصحيحها، وقد يتلاشى الندم مع الوقت على فعل بخلاف الندم على عدم الفعل حين كانت الخِيارات متاحة؛ لأنه لا إمكانية لتصحح شيئًا معدومًا لاحقًا، لذا لا مكان في حياتنا للندم على فعلٍ صالحٍ؛ لأن هذا الندم يحطمنا، وقد لا يكون الندم فقط على فعل فعلناه، بل يمكن أن يكون على قرار تأخَّرنا باتخاذه .

بين الزجل والجدل والدجل، إيقاظ فتنة.

أقل ما يمكن أن يقال في تصنيف بعض البرامج السِّياسيّة على بعض محطات التلفزة اللُّبنانيّة: إنها تدور بين الزجل والدجل، مرورًا بالجدل العقيم حول جنس الملائكة وانعدام الإحساس بالانتماء الوطني لدى غالبية أصحاب هذه المحطات الَّذين قَسموا اليمين في عقولهم الباطنية على الولاء لما في جيوبهم فقط، ثُمَّ يجعل متابعة برامجهم مقرفة، وبالأخص حفلات الدجل الأسبوعية، ومن المثبت بالمستندات أن غالبية هؤلاء يتقاضون بدلًا مقابل حفلات «تمسيح الجوخ» من بعض ضيوف شاشاتهم، تتيح لهم تملك العقارات والحسابات المصرفية.

في لبنان تعودنا عدم تصديق إلا ما نريد فعلًا تصديقه، مع قناعتي أن اللُّبنانيّ المنتشر في العالم يرى الأمور أوضح مما نراها في لبنان؛ لأنه يشاهدها بعقله، ونحن في السجن الكبير نشاهد وقائعها بالعين والقلب فقط، أما الحقيقة فتبقى مغيبة مبتورة وغير واضحة المعالم، ثُمَّ مَشكوكًا ومُشَكّكًا بها دومًا؛ ولتحقيق نسبة مشاهدة عالية لجأت بعض وسائل الإعلام اللُّبنانيّة إلى الجدل والدجل بوصفه حقًّا مكتسبًا للشهرة، متناسين أن هناك شَيْئًا اسمه ضمير وقانون ونظام وسمعة بلد؛ ولا نعلم كم أضعنا من الوقت أمام شاشاتهم، وفي مجالس لا يدور فيها إلا الجدل والدجل والغيرة والنميمة؟

يبقى أن العَلاقة بين الجدل والدجل هي عَلاقة وطيدة، والفرق بينهما هو بترتيب الحروف فقط. ألا توافقونني الرأي أن أرباب الفتنة الحريصين على ثقافة الجدل، وخاصَّة في برنامج «التوك شو» والأفكار التشاؤمية الَّتي تدخل إلى بيوت النَّاس هم الدجل بعينه، وفي الختام، يروى عن سقراط قوله لأصدقائه: «كل ما يقوله أفلاطون خاطئ»، ليجيبه أفلاطون قائلًا: «ما قاله سقراط صحيح»،

وبذلك يكون أفلاطون على حق، لأن نجاح الحوار واستمراره وإيجابيّته يتمثل في إنهاء الرد وإيقاف الجدل، ولا سِيَّما إذا كان طريقًا للصراع والانشغال بالقول بدل العمل والإنتاج.

بين جيش احتل الهند ورجل احتل بريطانيا.

عندما احتلت بريطانيا العظمى الهند من العام ١٨٥٨ حتى العام ١٩٤٧ استباحت خيراتها، وقامت بسجن ملكها، وأرسلت إليه رؤوس أولاده الثلاثة على طبق كبير مغطى على أنها وجبة يأكلها الملك المسجون في زنزانته، وكان عدد سكان بريطانيا وقتها ثمانية ملايين نسمة تقريبًا، بينما كان عدد سكان الهند ٤٥٠ مليون نسمة، واليوم وبعد قرن ونصف يرأس «ريشي سوناك» الحكومة البريطانية، وهو مهاجر من أصول هندية هاجر أجداده من الهند إلى شرق أفريقيا، وبعدها هاجر والداه في الستينيَّات إلى إنكلترا ليكون ابنهما على رأس الحكومة بثروة تُقدر بـ ٨٧٧ مليون دولار، وفور فوزه قال: «أنا بريطاني، بريطانيا هي داري ووطني، لكن إرثي الثقافي هندي، وزوجتي هندية، وأنا هندي».

بريطانيا العظمى احتلت الهند بالسلاح، والهنود احتلوا بريطانيا بالعقول، علمًا أنه عندما غادرت بريطانيا الأراضي الهندية بعد استعمارها غادر معها مليون هندي من كل فئات الشَّعب الهندي، وقامت بريطانيا بتوزيعهم على مستعمراتها في البحر الكاريبي وأفريقيا، والسؤال: هل يستعيد هذا الرّجل ثروات وطنه المسلوبة؟ أم أنه سوف يعمل لخدمة بريطانيا؟ بالتأكيد أنه سوف يعمل لمصلحة بريطانيا، واللَّافت في هنود بريطانيا أن معظمهم هم أصحاب عقول استثمارية وليس استعمارية، وبالنظر إلى قائمة أغنياء بريطانيا نجد جميعهم هنودًا، وهم نهضة البلاد الاقتصاديَّة من دون منازع.

في التاريخ أسهمت «شركة الهند الشرقية» نيابة عن التاج البريطاني في احتلال الهند، فعاد الهنود واحتلوا بريطانيا بواسطة صندوق استثماري، وأصبح ريشي سوناك رئيسًا للحكومة البريطانية، وإذا كان مكوث البريطانيين في الهند ٨٩

عامًا قد ساهم بإنشاء نظام جديد للتعليم، وحققوا تحريرًا جزئيًّا للنِّساء، وقاموا بإنشاء شبكة خطوط حديدية للقطارات بلغ طولها ١٤،٥٠٠ كيلومتر، إضافة إلى شبكات تصريف الأمطار، وغيرها من الإنشاءات؛ فما الَّذي سوف يقدمه «الهندي» لبريطانيا العظمى من موقعه في سدة رئاسة الحكومة في أسوأ أوضاع اقتصاديَّة يعرفها العالم منذ الحرب العالمية الثانية؟

بين قلم حر وقلم أجير، ومعنا ذمم للبيع.

يقول الكاتب الفرنسي جان جاك روسو: «ما من شيء قويٍّ، ولا من شيء عظيمٍ يمكن أن ينساب من قلمٍ أجيرٍ»، وهكذا فإنه مهما تعددت الأقلام، فالحبر واحد، فهناك قلم يُحرر، وقلم يُقرر، وقلم يُغرر، وقلم يُبرر، وقلم لديه القدرة أن يقنعك بالشيء ونقيضه في الوقت نفسه، لذلك يلجأ بعض رجال السياسة والمال في جمهورية الموز اللُّبنانيّة المتهالكة إلى أقلام مأجورة لتحسين صورهم الكالحة، ولترويج الأكاذيب عبر شراء أصحابها ممن ارتضوا القيام بدور النائحة المستأجرة.

في لبنان كما في كل دول العالم أقلام وأبواق مأجورة وعميلة في الصحافة، كما في السياسة، والمؤسف أن ارتهان العديد من الأقلام في لبنان يظهر بوضوح من وحدة المصطلحات، ومن ضبط موحد للتوقيت والإيقاع لدى كل المأجورين، وربما «تعليمة» واحدة وأمر عمليات واحد، يتلقاه الجميع «بالواتساب»؛ وهنا العجب والحزن لأمر لبنان في موضوع الإعلام والصحافة، فبعد أن كان رائدًا في التثقيف والتنوير عاد به الحال إلى أقلام مأجورة لا تجيد التحليل ولا قراءة الواقع، وهكذا حالنا لا شيء عندنا أسوأ من الأقلام المأجورة الَّتي تخون بلادها؛ فالرصاص الغادر يقتل أفرادًا، في حين أنّ القلم الخائن قد يقتل آمال شعب كامل.

شراء الذمم ليس حكرًا على أهل الصحافة والسياسة، إنما الفساد ينخر الجسم اللُّبنانيّ في كل مكوناته من مؤسسات دينية متحجرة، وقضائية مرتهنة، وصحافة مأجورة مدفوعة الأجر «بالدولار الفريش»، ومطربين يدعون الوطنية، مرورًا بالتجارة في الدواء والطب والاستشفاء والمحاماة ومتعهدي الأشغال والالتزامات، والفاسد الأكبر بالتأكيد هو النظام المصرفي القائم الَّذي يحتجز حقوق المودعين رهينة دون وجود قانون وقضاء رادع.

بين الورد والصبار، الأشواك والآلام.

يمكن أن يجتمع الورد والصبار على مبدأ أن تحمي الأشواك جمال الورد من أيدٍ تحاول قطفها، علمًا أن النوم في حضن الصبار موجع مهما أغرانا لونه، فلا داعي أن نتعب قلبنا ونجرب، ولأن الورد يظل وردًا والصبار صبارًا فلا أوافق شاعرنا القائل: «وما حيلة المضطر إلا ركوبها؟»، وبحسب رأيي لا يمكن لأحد أن يجبرنا على أن نعيش حياة لا تليق بِنا، ذلك أن قلوبنا لن تقبل بأن تسامح وهي قد تعود وتثور يومًا وترحل بلا عودة.

كثيرون هم الَّذين يتجاهلون عيوب أحبائهم؛ لأنهم يحتاجون إليهم عاطفيًّا، وقد يحاول هؤلاء إرضاءهم مدَّة طويلة، ولكن عندما يملون من التمثيل يقولون عنهم: إنهم تغيروا؛ ولأننا في زمن تفوقت فيه الأقنعة على الوجوه الحقيقية، ولأن التسامح ليس سهلًا، فقد أصبح معظم النَّاس يعيشون بين هذا وذاك في شقاء وبلية، ولأن للصبر حدودًا فإنهم قرروا الابتعاد هدية، لأن لا حاجة لهم بالصبار، وقلوبهم لا تهوى الألم .

لذلك لا تثق صديقي برفقة الورد، ولا تأمن لأحضان الصبار، ويمكنك أن تعيش بأمان إن عرفت كيف تتعامل مع كل شيء وفق ما هو عليه، لا كما تتصوره وتريده، وسيبقى الورد وردًا حتى وإن ذبل ورحل نداه، وسيبقى الشوك في الصبار مهما ألفناه وأحببنا طعمه. وها نحن بعد مخاض عسير صرنا نشبه الورد تارة والصبّار تارة أخرى، نعيش مثله بحزن لا نستطيع احتضان السعادة.

بين الخصومة والكراهية، الأعمار قصيرة.

قمة المتعة أن تجالس شخصًا يكرهك ويتكلم عنك بالسوء، ومع ذلك تجده يظهر لك العكس، وهذا كافٍ بحد ذاته لتتأكد من أن لحضورك وقارًا وهيبة قادرين على تحويله إلى إنسان منافق وجبان؛ فالمروءة والشهامة في الخصومة والكراهية هي ميزة جميلة يعبر عنها الإنسان لأخصامه، وهنا يقال عنه: خصم شريف. وفي الحياة يمكنك أن لا تتفق مع الآخر شرط أن تنصفه من أي اتهام، وحده الموت يمكنه أن يجعل الإنسان يدرك كم هي تافهة الخلافات والفجور في الخصومة والكراهية، خاصَّة مع الأقربين.

نعم الحقد والكراهية يؤديان إلى الفجور في الخصومة، والفرق كبيرٌ جِدًّا بين فرض الرأي وتقديم النصيحة، وبين النقد البناء والبذاءة في الرد على الآخرين، وبين الهدوء والفجور في الخلافات، وبين الإساءة وتضليل الآخر، وبين تهديدٍ فارغ وتهويلٍ تافه عند كل مفرق، لذا ما المانع أن تجتمع الأطراف المتنازعة في لبنان حول قواسم مشتركة؟ إذ إننا نجد أن ما يجمعهم حول حب الوطن هو أكبر بكثير ممّا يبعدهم عنه، رغم ولاءاتهم الظاهرة للخارج، ورغم أن الخصومة على الطريقة اللُّبنانيّة تعني حكمًا العداء والحقد والكراهية وروح العمالة والتخوين.

وإلى رؤساء الأحزاب اللُّبنانيّة لا تجعلوا ساعة الخصومة تهدم السنوات الباقية من أعماركم، بددوا الأحقاد بالحب والمودة، وهيا نحب ونتآلف ونرحم بعضنا بعضًا، ونمد جسور المحبة في بلادنا بدلًا من الخصومة والكراهية، ونسأل الله أن يعطي السلام لمن يعيشون تحت سقف وطن واحد فيما بينهم وبين جيرانهم، وأن ينزع الخصومة والغضب والكراهية، ويملأ قلوبهم بالمحبة والفرح والسلام.

بين فائض القوة، وفائض المعرفة، وفائض الثروة.

بات من المؤكد لي بعد خبرة طويلة أن فائض المعرفة وفائض القوة وفائض الثروة وفائض التواضع وفائض الغرور الَّذي يمتلكه بعض الأشخاص الَّذين تعاملت معهم، كلها فوائض مضرة بأصحابها ما لم يحسنوا استغلالها؛ ولا يغير الله ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم، لذلك لا تبكوا قمح روسيا ولا أوكرانيا، بل شمّروا عن سواعدكم لتحقيق ثورة زراعية شاملة في لبنان توفّر لنا الأمن الغذائي، وتوفر ملايين الدولارات على الخزينة العامة. نحن لسنا صحراء قاحلة لا زرع فيها، بل يشهد التاريخ بأن أرضنا أنبتت خيرات كثيرة، وأن البقاع كان يعدّ إهراء روما. لا تتركوا شبرًا من هذه الأرض الطيبة من دون زراعة، ويجب استغلال جميع المِساحات المتروكة .

في لبنان لا ينقصنا سوى استفاقة من المزارع إضافة إلى إرادة سياسية، ودعم للفلاح من خلال تأمين البذار مجانًا وشراء الإنتاج منه عبر مكتب الحبوب في وزارة الاقتصاد، ولا يوجد عندنا فقط فائض في المعرفة، بل فائض في الجهل أَيضًا، وأرجو المعذرة على صراحتي، على أن تحقيق المعرفة أمر جيد، ويمكن توظيفها واستثمارها في نهضة البلاد؛ فنحن حاليًّا نعدّ من الدول الأقل استفادة من العولمة، والربط مع العالم الخارجي بسبب عدم توفر خدمات الأنترنت بالشكل اللائق، وضعف شبكات الاتصال، ورداءة الخدمة، بالإضافة إلى الثقة المفقودة الَّتي لا تحظى بها دولتنا عالميًّا، وهذا كله ناتج عن سوء إدارة للبلاد، متراكم منذ عقود عديدة.

أخيرًا، أرى أن الزيادة في كل شيء هي مهلكة، والفائض لا يعني الخير دائمًا، ولا يجلب السعادة ولا المعرفة، بل يؤدي للنقصان والتناقص، وما يفيد الإنسان هو الكفاية وليس الفائض، وفائض الثروة يقود للبلادة والحروب، ويبقى فائض المعرفة خيرًا للبشر.

بين عدم المساواة في حقوقها، وتعنيف المرأة.

هناك خيط رفيع يربط بين حقوق المرأة وواجباتها، وقليلون هم الَّذين يعرفون التفريق بينهما وبين تبادل الأدوار بينهما، وبات بعضهم يفهم الحق في الحرية خطأً، لذلك نرى أن الحرية إذا فقدت حسّ المسؤوليَّة أصبحت تمرّدًا لا حرية، على أن الإفراط في محاولات «الاسترجال» والذكورة الزائدة في أيامنا هذه لم يعد مجديًا؛ فالمساواة في الحقوق بين الرّجل والمرأة هو حق أساسيّ، ومن حق النِّساء أن يعشن بكرامة، ويتحررن من الحاجة والخوف والعنف، وتعدّ المساواة بين الجنسين أَيضًا شرطًا لتطوير التنمية وخفض نسبة الفقر، كما أنها تسهم في تمكين النِّساء إيجابًا من تحسين إنتاجيتهن في جميع المجتمعات، وتحسين فرص العمل للأجيال القادمة.

يقول أستاذ الفلسفة النروجي جوستاين غاردر: «إن المجتمع الَّذي لا يثقف ويدرب المرأة مثل الرّجل «الَّذي يدرب ذراعه اليمنى فقط»؛ بدوره الكاتب الروسي ليون تروتسكي رأى «أنه لا يوجد حب متبادل بين الزَّوجين، ما دام غسيل الصحون من واجبات المرأة فقط، بنظر بعض الشعوب، «وإذا كان لدى بعضهم حساسية تجاه طرحنا للمواضيع المتعلقة حول حقوق المرأة، فهذه مشكلتهم، ولا يمكن غض النظر عن تعنيف المرأة في أيامنا؛ فالعنف ضد النِّساء والفتيات يشكل انتهاكًا خطيرًا لحقوق الإنسان، حيث تتعرض امرأة من كل ثلاث نساء في جميع أنحاء العالم للعنف الجسدي والجنسي، وربما النَّفسي .

وعندما نتحدث عن العنف ضد المرأة، فإنَّنا نعني به العنف الَّذي يمارسه رجال يعيشون معهن، مثل الشريك والزوج والأب والأخ، ويتنوع العنف من ضرب إلى سوء معاملة، وتشير الدراسات إلى أن خطر العنف الزَّوجيّ يتربّص بالنِّساء اللواتي تتراوح أعمارهن بين ١٥ و٤٤ عامًا؛ وفي فرنسا وحدها تموت امرأة كل ثلاثة أيام، سواء في المدن أو في الأرياف بسبب ضربات الأزواج، وذلك بحسب الإحصاءات الَّتي أعلنت عنها وكالة الحقوق الأساسية التابعة للاتحاد الأوروبي بعد إجراء مسح شمَل ٤٢ ألف امرأة.

بين أنطونيوس (بشير)، وأنطونيوس (الصوري)، وأبرشيَّة نيويورك، وسائر أميركا الشمالية.

ولـد أنطونيـوس (بشـير) في العـام ١٨٩٨ في قريـة دومـا البترونيـة في أسرة أرثوذكسـية، ومنـذ طفولتـه كان عاشـقًا للكنيسـة، بـدأ حياتـه مبتدئًـا في ديـر البلمنـد بعـد أن تبنـاه المطـران بولـس أبـو عضـل ورسـمه شماسًـا إنجيليًّـا في العـام ١٩١٦ في زمـن البطريـرك غريغوريـوس، درس القانـون في مدرسـة بعبـدا الحقوقيـة، وفي الجامعـة الأميركيـة في بـيروت، وقـد حقـق تفوّقًـا في دراسـته وفي توظيـف تحصيلـه العلمـي لخدمـة أبرشـيَّة جبـل لبنـان الَّتـي نشـأت في العـام ١٩٠٢ بعـد وفـاة المطـران غفرئيـل شـاتيلا وتقسـيمها إلى أبرشـيَّة بـيروت، وأبرشـيَّة جبيـل والبـترون وتوابعهـا، في العـام ١٩٢٢ كلـف المجمـع الأنطاكـيّ متروبوليـت بـيروت جراسـيموس (مسـرة) بتمثيلـه في مؤتمـر الكنائـس العالمـي للبحـث في الوحـدة المسـيحية مـع الكـرسي الأنطاكـيّ، فسـافر إلى أمـيركا ورافقـه الشـماس بشـير، حيـث قدَّمـا ورقـة الكـرسي الأنطاكـيّ في المؤتمـر ورؤيتـه، والنظـر في وضـع أبرشـيَّة بروكلـن وأمـيركا الشـمالية، والخلافـات الَّتـي نشـأت بعـد وفـاة مؤسسـها المطـران روفائيـل هواويني، حيـث نشـأ تيـاران متصارعـان أحدهما يقـول: ببقـاء هـذه الأبرشـيَّة تابعـة لبطريركيـة موسـكو، وقـام مطـران آلاسـكا وسـائر أمـيركا الشـمالية أفدوكيـم الـروسي برسـامة الأسـقف أفتيمـوس عفيـش أسـقفًا تابعًـا لأبرشـيَّة ألاسـكا الروسـية سـنة ١٩١٧، فيـما طالـب الفريـق الآخـر اللحـاق بالكـرسي الأنطاكـيّ، وقـد تزعـم هـذا الفريـق المطـران جرمانـوس شـحادة، وقـد حدثـت رسـامة عفيـش، بالرغـم مـن الاتفـاق بـين بطركيـة موسـكو وبطركيـة أنطاكيـة.

عـاد المطـران جراسـيموس إلى بـيروت ناقـلًا للمجمـع الواقـع الحقيقـي، فرغـب أعضـاء المجمـع بـأن يكـون فيكتـور أبـو عسـلي رئيسًـا لأسـاقفة بروكلـن وسـائر

أميركا الشمالية، لكن أنصار المتروبوليت جرمانوس شحادة تمسكوا به راعيًا لأميركا في بروكلن، وحالوا دون عودته إلى أبرشيته في زحلة، تنفيذًا لقرار المجمع الأنطاكيّ، وكان من عداد الوفد الأنطاكيّ الأرشمندريت صموئيل داود الَّذي تولى رعاية الكنيسة في توليدو أوهايو، وبهذا الشرخ الأليم، يكون الانقسام قد بلغ ذروته بنشوء ثلاثة تيارات متنافرة، أحدهما روسي النزعة، واثنان أنطاكيان متناحران كلاهما يكتب للبطريرك والمجمع في الوطن مبيّنًا سلبيات الآخر، وانتماءه وحده للشرعية الأنطاكيّة، مع الإشارة إلى أن القاعدة الشَّعبية المنتمية للمطران شحادة كانت في توليدو أوهايو وكندا، أما التَّيَّار الروسي فكان قد ضعف بزواج رئيسه المطران عفيش الَّذي تخلى عنه أتباعه، وعادوا إلى أنطاكية، ونشير هنا إلى أن الأسقف عمانوئيل أبو حطب الَّذي خلف المطران عفيش كان يبدي محبته للبطريرك الكسندروس في دمشق، وشاءت العناية الإلهية وفاة الثلاثة أساقفة فيكتور سنة ١٩٣٦، وبعده بأقل من سنة الاثنين الباقين، وجميعهم توفوا بمرض السرطان، كما كتبت مندوبة دير سيدة صيدنايا المقيمة في أمطوش الدير في بروكلن الحاجة مريم الصباغ برسالة مؤثرة إلى البطريرك الكسندروس مبينة حسناتهم، ونعتهم فيها بحرقة، وبعد وفاة رئيس أساقفة بروكلن فيكتور، قرر المجمع الأنطاكيّ تأييد مطلب رعايا الأبرشيَّة بانتخاب بشير متروبوليتًا بعد الاستفتاء الشَّعبي الَّذي نال خلاله محبة كل أبناء رعايا كنائس أميركا الأرثوذكسية بتياراتها الثلاثة، وقد حضر متروبوليت صور وصيدا ثيوذوسيوس أبو رجيلي المعروف بحنكته وحكمته الاستفتاء الشَّعبي موفدًا من المجمع الأنطاكيّ.

بين أنطونيوس (بشير)، وأنطونيوس (الصوري)، وأبرشيَّة نيويورك، وسائر أميركا الشمالية.

المطران أنطونيوس (بشير) هو باني الأبرشيَّة الأنطاكيّة في أميركا الشمالية، وقد أنشأها وفق الأسس الحديثة بعد مؤسسها المطران روفائيل هواويني، وقد أدارها بحكمة وصبر، بالرغم من المحن، وقد كتب كثيرون عن تميزه وما فعله في أبرشيته خلال ٣٠ سنة، رغم الانقسام بوجود أبرشيَّة أخرى معها، ما يعني شرذمة رعيتها الواحدة، وكان خير خلف لخير سلف للمتروبوليت فيليبس صليبا الَّذي توفي في العام ٢٠١٤، وهو الَّذي تميز بلاهوته وحسن إدارته للأبرشيَّة الواحدة بعد اندماج الأبرشيَّة الأولى في نيويورك، والثانية في توليدو في العام ١٩٧٥ في أبرشيَّة واحدة، ومنحَها المجمع المقدس الأنطاكيّ حكمًا ذاتيًّا في العام ٢٠٠٣ ، وبحلول عام ٢٠١٤ نمت الأبرشيَّة بشكل كبير، إذ أصبح لديها أكثر من ٢٧٥ كنيسة، وقد خلفه المتروبوليت جوزيف زحلاوي الَّذي اختارته الأبرشيَّة بالإجماع راعيًا لها، ونصبه البطريرك يوحنا العاشر في كاتدرائية القديس نيقولاوس في بروكلن في العام ٢٠١٤، وتميز في بداياته بكفاءات عالية في اللاهوت والإدارة والترتيل، إشارة إلى أن أبرشيَّة أميركا الشمالية هي أهم الأبرشيات الأنطاكيّة في الانتشار بفضل واضع الأساس الأوَّل المطران روفائيل هواويني ومتابعة المتروبوليت أنطونيوس (بشير)، بالرغم من الصعوبات الَّتي مرت بها، ولا شك في أن انتقال صاحب السيادة متروبوليت زحلة أنطونيوس (الصوري) هذا الأسبوع إِلى أميركا معتمدًا بطركيًّا لجمع أوصال الأبرشيَّة هناك ولقاء أساقفتها وكهنتها والمؤمنين بانتظار انتخاب المجمع الأنطاكيّ في حَزيران القادم راعيًا لهذه الأبرشيَّة من بين أساقفة أميركا الحاليين حصرًا، شرط أن يكون الأسقف المنتخب قد خدم في أميركا ويتكلم اللغة العربية، كما أن المجمع الأنطاكيّ سوف يقوم بترشيح ثلاثة أسماء في مقابل ثلاثة

بين أنطونيوس (بشير)، وأنطونيوس (الصوري)، وأبرشيَّة نيويورك، وسائر أميركا الشمالية.

أسماء تسميهم أبرشيَّة أميركا الشمالية، ويبقى القرار لأعضاء المجمع الأنطاكيّ باختيار صاحب الكفاءة والتقوى في آن واحد لرئاسة الأبرشيَّة هناك بمشيئة الروح القدس.

بين الحكمة والجهل والحكماء والسفهاء.

الحكمة هي صفة امتلاك المعرفة والخبرة والإدارة الجيدة للأمور الحياتية ومتابعة مجريات الحياة بالعقل وليس بالعاطفة، والحكمة تعلمنا التفكير الحكيم، في حين أن الجهل هو عكس ذلك، وهو قلة المعرفة والمعلومات، ثُمَّ الخبرة والجهل مثل السم له القدرة على إفساد حياتنا وأعمالنا وصداقاتنا وكل مشاعرنا الطيبة، والحكيم هو الشخص العاقل الَّذي يرجح الأمور نحو الصواب بما امتلكه من خبرة عبر التجارِب في الحياة، لكن ما الفرق بين الإنسان الحكيم والإنسان الجاهل؟

إذا أردنا أن نفهم الفرق بين الرّجلين، علينا أن ننظر إِلى كف اليد، ونرى الفجوة بين الإبهام والسبَّابة، تلك الفجوة الصغيرة هي الفرق بين الشخص الحكيم والجاهل، ولسد تلك الفجوة يجب تثقيف أنفسنا والآخرين من حولنا بكل أنواع العلم والمعرفة والخبرة، والَّذي يمكن أن يساعد في تحسين أوضاع المجتمع والأوطان على التطور والمضي قدمًا نحو الأفضل، وكما كان يقال: لا ظلام في المجتمعات بل جهل، وعليه فإن الفرق بين الحكيم والجاهل هو أنه لدى الحكيم ما يفعله في المجتمع، في حين أنه ليس لدى الجاهل ما يفعله ويفيد فيه بلاده.

وفيما الرّجل الحكيم يفكر دائمًا قبل التحدث، ويسعى لفهم الموقف والتفكير في ما إذا كان هذا هو الوقت المناسب للحديث أو التزام الصَّمت والبقاء هادئًا، على أن عدم نطقه بكلمة واحدة يمكن أن يكون أفضل له في بعض المواقف، في حين أن الأشخاص غير الناضجين أو الجاهلين يريدون دائمًا طرح آرائهم أو قول أشياء، سواء أكانت مهمة في تلك اللحظة أم لا، وهم لا يفكرون قبل النطق، ويتحدثون فقط لإثبات وجودهم في المجالس، وعلى شاشات التلفزة من دون أن يكون لديهم المعرفة بما يدور من حديث.

بين جبران خليل جبران، والقدر الَّذي جعله مبدعًا.

وُلد جبران خليل جبران في العام ١٨٨٣ في بشرّي شمال لبنان، وعاش حياة فقيرة مع أمه كاملة رحمة المعروفة «كاميليا» وأبيه خليل، وهو الزوج الثالث لها بعد وفاة زوجها الأوَّل وبطلان زواجها الثاني، كانت أسرته فقيرة بخلاف ما أخبر ماري هاسكل بأنه ينحدر من أسرة غنية، وذلك بسبب كسل والده وانصرافه إلى السكر والقمار، لذلك لم يستطِع الذهاب إلى المدرسة، وقد عمد كاهن القرية الأب جرمانوس إلى زيارته في المنزل وتلقينه الإنجيل واللغة العربية والسريانية، كما تعلم مبادئ القراءة والكتابة من الطبيب سليم الضاهر، ما فتح أمامه مجال المطالعة، في العام ١٨٩١ سجن والده مدة ثلاث سنوات بتهمة الاختلاس، وتمت مصادرة أملاكه، وبعد خروج الوالد من السجن قررت والدته الهجرة مع أخيها إلى نيويورك مصطحبة معها جبران وأختيه ماريانا وسلطانة، وأخاه بطرس حيث توفي جبران هناك بمرض السل في العام ١٩٣١ وهو في عمر ٤٨ سنة، وهو المرض الَّذي مات نصف عائلته به، وكانت أمنيته أن يدفن في وطنه لبنان، وفعلًا تحققت أمنيته بعد عام من وفاته، حيث دُفن في صومعته الَّتي عرفت لاحقًا باسم متحف جبران.

في طفولته كان جبران يحب الوحدة والانطواء على الذات بعيدًا من الأقارب والجيران، كان طموحًا متواضعًا وشديد الرغبة بالشهرة، قامت ثورته في ولاية بوسطن، حيث عاش على التقاليد والنظم البالية في المجتمع الشرقي، وذلك عندما أحس بالتناقض بين الحرية الفكرية والاجتماعيَّة هناك وبين بيئته الشرقية، وقد ظهر أثر قراءته لشكسبير وأفلاطون ونيتشه في رومانسيته وتصوفه، كما ظهر أثر الإنجيل بارزًا في نتاجه، حيث خصّ المسيح بكتابه «يسوع ابن الإنسان»، كما

تأثر بالتصوف الهندي، وآمن بوحدة الوجود والتقمص، وبالحب وسيلة لبلوغ الحقيقة، فضلًا عن قراءته الأساطير القديمة.

اشتهر «كتاب النبي» في أميركا والَّذي نشره في العام ١٩٢٣، وهو مجلد من المقالات الروحية، والَّذي لا يزال يلهم كثيرين بعد ٨٢ عامًا من وفاته، تُرجم كتاب «النبي» إِلى أكثر من ٤٠ لغة، كما لا يزال يسافر سَنَوِيًّا حوالي ٨٠ ألف زائرٍ إِلى «متحف جبران» في مسقط رأسه في بشري، وتعدّ مؤلفاته الأكثر مبيعًا بعد مؤلفات شكسبير، كما حرص على احترامه للأديان وعدم تسييس الدين، وبهذا الصدد كتب في مقالة بأنها رسالة «إِلى المسلمين من شاعر مسيحي: «أنا أجلُّ القرآن، ولكنني أزدري من يتخذ القرآن وسيلة لإحباط مساعي المسلمين، كما أنني أمتهن الَّذين يتخذون الإنجيل وسيلة للتحكم برقاب المسيحيين»، في الخامسة عشرة من عمره عاد جبران مع عائلته إِلى بيروت، ودرس في مدرسة الحكمة، وكان يقضي العطلة الصيفية في بشرّي، ولكنه ترك منزل والده الَّذي تجاهل مواهبه، وعاش مع ابن عمه نيقولا، حيث وجد عزاءه في الطبيعة، وصداقة أستاذ طفولته سليم الضاهر، وعَلاقته مع سلمى كرامة الَّتي استوحى منها كتاب الأجنحة المتكسرة.

بين القط الأرمني، والهُويَّة المفقودة.

موطنه الأصلي في «جزيرة فان» تاريخيًّا أرمينيا الغربية، وهو قط نادر وجميل ويعدّ أحد الرموز الطبيعيّة لدى الأرمن، وهو يملك جسمًا قويًّا إلى حدٍّ ما، ومع نعومته فإنه يتمتع بكتفين عضليين ورأس منتصب بأنف طويل، ينتهي بطرف أبيض أو ملوّن وأذنين كبيرتين مغطاتين بشعر وردي اللون من الداخل، وعينين صفراوين ومستديرتين، ولكل منها لون مختلف، وله ذيل كثيف الشعر، لونه أحمر وأبيض، كما يتميز بوجود بقع قرب الأذنين.

يعيش القط الأرمني في البيوت مع النَّاس، هادئ وذكي، هوايته السباحة. تلد الأنثى أربعة جراء في كل بطن تعتني بها حتى تبلغ سن النضج، وهو يعدّ من السلالات القليلة الخصوبة، ويعدّ قط فان أو القط الأرمني تجسيدًا لحرب من نوع آخر بين أرمينيا وتركيا، حيث يسمى بقط فان تيمُّنًا بمحيطه، أي مقاطعة فان داخل تركيا . Vana gadu

لهذا القط تمثال كبير في مدينة فان في (أرمينيا الغربية)تركيا اليوم، إضافة إلى طابع بريدي يحمل صورته في جمهورية أرمينيا كما تجده يباع في أسواق يريفان وصوره منتشرة في أماكن عديدة، إضافة إلى الدمى الَّتي تمثله، وبسبب شهرته فهو يباع ويصدر إلى جميع أنحاء العالم.

سعره في أسواق يريفان يتراوح ما بين ١٠٠٠-١٥٠٠ يورو حسب عمره ونوعه.

بين الأصدقاء والمعارف، حلو الوفاء.

أخبرني صديقي الأميركي يومًا أن أسباب السعادة والارتياح النَّفسي وعلامات الذكاء هي التعامل مع دائرة ضيقة من الأصدقاء، وتجنب كثرة المعارف، ما يوفر للإنسان ما يحتاجه من تقديرٍ، على أن التواصل مع مجموعة مختصرة من النَّاس بحسب رأيه، وتحديدًا من أصحاب الاهتمامات المشتركة والمستويات المُتقاربة من الذكاء الاجتماعي بعيدًا من الصّخب والشهرة يجعل الإنسان سعيدًا ومتصالحًا مع ذاته .

ويبدو لي أن كثيرين لا يوافقون صديقي رأيه، لأن امتلاك الإنسان للعديد من الأصدقاء والمعارف هو من الأمور الجيدة، على الرغم من أن عدد الأصدقاء الحقيقيين أو المقربين والأوفياء منهم ليس كبيرًا، ومع ذلك فإنّ ما يرزق به الله الإنسان هو هبة ونعمة، وكما يقول شوبنهاور: «فإن الأصدقاء والمعارف هم أضمن طريقة لتحقيق الثروة»، وقد لا تسمح التغيرات السياسة أن يكون هناك عَلاقات طويلة الأمد بين الأصدقاء، وكم من معارفنا خسرناهم منذ ظهور مواقع التواصل الاجتماعي، لمجرد وجهة نظر أو رأي!

وعلى الرغم أَيضًا من أن الإنسان لم يعد باستطاعته التأقلم والتعايش مع أصدقاء جدد، خاصَّة عندما يتقدم في العمر حال صديقي، فإن رفقة الأصدقاء بالنِّسبة إلى البعض، وأنا منهم تبقى متعة، رغم أنه مع تبدل الأوضاع الاقتصاديَّة بات من الصعب على كثيرين منهم إيجاد الجو وأسلوب الحياة الَّذي تعودوا عليها طَوال العمر، وباتت قدرتهم على تحمل الأصدقاء والمعارف والجيران صعبة بعض الشيء، ويبقى القرار النهائي لك صديقي في الإكثار أو الإحجام من رفقة الأصدقاء والمعارف، شرط أن لا تنسى أن دورهم كان مهمًّا جِدًّا في إسعاد كثيرين ،ومساعدتهم في التغلب على تحديات الحياة .

بين تعدد الخِيارات، وإرهاق العقل البشري.

في الأوضاع الاقتصاديَّة الصعبة يميل المستهلك عادةً لشراء المنتج الأصغر حجمًا والأرخص سعرًا؛ لأنه بحسب اعتقاده أنه يفي بالغرض، خاصَّة عند تعدد الخِيارات، لذا يقوم التجار في بعض الأحيان بإضافة «خِيار غير منطقي» لدفع النَّاس نحو شراء الخِيار الأغلى؛ لأنه سوف يبدو للشاري أنه صفقة ناجحة، ومن الأمثلة قامت شركة بحجز ستاند في أحد المعارض، وقامت بعرض ستة أنواع من العسل، وما حدث أن نصف الزوار توقفوا أمام الستاند وسألوا عن الأنواع، وقد قام ثلاثة أرباعهم بالشراء.

ثم قامت الشركة بعرض أربعة وعشرين نوعًا من العسل، أي بزيادة الأصناف المعروضة، وكانت المفاجأة أن نصف الزوار توقفوا وسألوا عن أنواع الأصناف وأسعارها، لكن خمسة بالمئة فقط قاموا بالشراء، وهكذا نرى اختلافا كبيرًا بين نسبة الأشخاص الَّذين اشتروا في كلتا الحالتين، فما الَّذي حدث؟ والجواب هو أن الخِيارات قد تعددت حتى وصل الجميع إلى حالة Over choice ، وعندها احتار الشاري، وانتهى به المطاف إلى الإنهاك من التفكير، وإلغاء الفكرة أساسا، وهذا ما يحصل غالبًا في أمور كثيرة في حياتنا.

ولهذا نرى أن عباقرة هذا الزمن مثل ستيف جوبز ومارك زوكربيرج وغيرهما لا يهتمون بملابسهم، ويحاولون الاعتياد على ارتداء ملابس متواضعة متشابهة حتى لا يرهقوا عقولهم بالتفكير في الاختيار، وتوفير الطاقة لاتخاذ قرارات أكثر أهمِّيَّة في حياتهم، وفي مستقبل شركاتهم، لذا وجب علينا أن نقلل من الخِيارات في الأمور غير المهمة، وأن نوفر العقل للأمور المهمة، وأن لا نقع ضحية الخِيارات المتعددة .

بين الثراء الفاحش والجشع، والفقر الملازم.

في عهد الثراء الفاحش والجشع والطمع والشهوات الَّتي لا تنتهي، تبخرت عبارة: «أن القناعة كنز لا يفنى»، وانقسم معها الشَّعب اللُّبنانيّ طبقتين لا ثالث لهما، وهما: طبقة قارون الطَّويل الثري المتنفذ، وطبقة رحبان الفقير، وإذا كنا نقر دائمًا بأن البساطة هي رفيقة الفقراء، فالجشع هو صديق الأثرياء، ومع ذلك فإن جميع البشر يحلمون بالثراء ويلعنون الفقر دومًا، وتبقى الإضاءة على الفقر الملازم، وهو أن الإنسان الجشع مهما اغتنى، ومهما بلغ من الثراء فإنه يبقى فقيرًا، ويبقى الفقر بين عينيه الممتلئتين هلعًا وجشعًا؛ لأنه عديم القناعة والرضا.

ورغم أن الغنى وامتلاك الثروة لا يعدّان شرًّا بحد ذاته، بل بالحري يعدّان بركة من الرب (جامعة ٥: ١٩؛ ٦: ٢)، إضافة إلى أن الفكر الَّذي ينادي بأنه «طوبى للمساكين والويل للأغنياء» ليس له أساس في الكتاب المقدس، ومن جهته البابا فرنسيس يقول: إن الثراء ليس خطيئة، ولكن ينبغي للإنسان المسيحي اقتسام ثروته مع الآخرين، مجددًا بذلك انتقاد كنيسته للجشع، ويضيف بابا روما: «إن المال في حد ذاته هو أداة جيدة، مثل جميع الأشياء تقريبًا الَّتي سخَّرها الله لخدمة الإنسان، إنه أداة توسع قدراتنا»، فعندما تكون القوة الاقتصاديَّة أداة تحقق ثروة يحتفظ بها الأشخاص لأنفسهم ويخفونها عن الآخرين، فإنها تؤدي إلى الظلم وتفقد قيمتها الإيجابيّة الأصلية».

ولأن الثراء الحقيقي يكون في قناعة النَّفس؛ فالفقر الحقيقي هو في الطمع والجشع والنظر إلى ما يمتلكه الآخرون، وما يثير الريبة هو تصوير بعض العائلات اللُّبنانيّة في مسلسلات الدراما المحلية بأنها أسر باذخة، مفرطة في الثراء، ناكرة للنعمة، تتقاتل وتتناحر في ما بينها من أجل المال، مع إظهار الحقد والكراهية

والجشع والغدر، فما هي الرسائل المبطنة لإظهار هذه الصورة الخاطئة؟ في الختام، يولد الإنسان فقيرًا لا يملك شَيْئًا، وعندما يموت، يموت فقيرًا تاركًا كل شيء خلفه، وما يحدث أثناء رحلته القصيرة في هذه الحياة أنه يتحول إلى روبوت لتكديس المال وجمعه، أو إلى جثة متحركة تلهث من أجل تأمين القوت اليومي، والحقيقة أن الإعلام صار، ومن غير وعي، يصنع روادًا جشعين، مع أن مسؤوليته التثقيفية هي التمييز بين صناعة الثراء والجشع لجمع المال.

بين رفضه تعدد الزوجات، وموته مسمومًا.

السنكسار هو كتاب يحتوي على سير القديسين والشهداء وتذكارات الأعياد، وأيام الصوم بحسب أيام السَّنة، ويُقرأ منه في الصلوات اليومية، وبحسب السنكسار الكنسي يحتفل الأقباط في صلواتهم بتذكار وفاة البابا أبرآم بن زرعة، البطريرك الثاني والستين للكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

إشارة إلى أن هذا البطريرك كان من بلاد السريان، وكان تاجرًا ثريًّا يتردد كثيرًا على مصر لشؤون تجارته، ثمَّ عاش فيها، وكان يتحلى بفضائل كثيرة، كما شاع ذكره بالعلم والصلاح، ولَّما خلا الكرسي البطريركي أجمع الأساقفة والشَّعب على اختياره بطريركًا، فلما جلس على الكرسي المرقسي وزَّع كل أمواله على الفقراء والمساكين، وقد أبطل العادات الرديئة ومنعَ وحرمَ شراء المناصب الكنسية بالأموال، كما العادة اليوم لدى بعض الكنائس الغربية، كما منع تعدد الزوجات في المسيحية .

وفي عهد هذا البابا تمت معجزة نقل الجبل المقطم الشهيرة في مصر، بحسب الاعتقاد المسيحي، وتذكارًا لمعجزة نقل الجبل المقطم أضافت الكنيسة ثلاثة أيام إلى صوم الميلاد فأصبح ٤٣ يومًا، كذلك أخذت الكنيسة عن هذا البابا صوم يونان ثلاثة أيام إضافية الَّتي كان يصومها السريان، وتوفي هذا البابا مسمومًا بسبب رفضه السماح بتعداد الزوجات على يد شخص يدعى «أبا السرور»، وهو من وجهاء الأقباط في العام ٩٧٩، بعد أن أقام بطركيًّا على الكرسي المرقسي لمدة ثلاث سنوات وستة أشهر.

بين الدين والأخلاق، والفساد في الكنيسة.

الأخلاق ليست بحاجة إلى الدين، أما الدين فهو بحاجة إلى الأخلاق والالتزام في كثير من الأحيان، لكن حين يصل الفساد إلى الكنيسة عندها «تخبزوا بالأفراح، «وكما يقول متى الرسول: «أنتم ملح الأرض، ولكن إِنْ فَسَدَ الملح فَبِماذا يُمَلَّحُ؟ لا يصلح بَعْدُ لِشَيْءٍ، إِلَّا لأَنْ يُطْرَحَ خارِجًا وَيُداسَ مِنَ النَّاس». (متى ٥:١٣). وفي الحقيقة أن النقاش مع العديد من رجال الكنيسة الأتقياء في هذا الموضوع كان يصطدم بعثرة وهي الخوف من شماتة الطوائف الأخرى إذا تم الاقتصاص من المنحرفين في الكنيسة ومعاقبتهم، وكان جوابي لهم: «مش مهم الشماتة، المهم تنظيف الكنيسة من أعداء المسيح وأعداء القيم».

في تاريخ البدو قصة عن الملح، إذا فسد من يُصلِحُ الملح؟ وهي أن الرّجل من القبيلة إذا فسد أصلحه شيخها، كما يصلح الملحُ اللحمة حتى لا تتحول إلى جيفة. فمن يصلح الشيخ إذا كان الشيخ نفسه فاسدًا؟ وكأن هذه الإجابة أيقظت ضمير شيخ قبيلة هام في جمال زوجة ضيف حل عليه حين طلبت منه الأخيرة أن يشرح لها هذا القول لتكون له، وقد أصابه الخجل الشديد من فعلته الشنعاء، وملأه الندم على ما كان ينوي ويخطط من المكائد والمفاسد عندما فهم معناه.

وما أحوج كنيستنا إلى رؤساء كهنة وقضاة قديسين! وإلى شهداء عدالة وإيمان ينطقون بالحق، ويناضلون للحقيقة، ويعملون لأجل بناء مجتمع فضيلة لا رذيلة فيه! ومنذ سنة تقريبًا طوبت الكنيسة الكاثوليكية القاضي الإيطالي «روساريو ليفاتينو» الَّذي قتلته المافيا الإيطالية في العام ١٩٩٠، والَّذي حارب الفساد حتى الاستشهاد، يا ليت من هم في السلطة الكنسية يتعلّمون منه ويقتدون به، فنصلح الكنيسة، ونستعيد ثقة أبنائها.

بين القيمة الكبيرة والقيمة الصغيرة، أحجام.

يبدو أن العديد من قادة دول هذا العالم هم أصحاب هامات كبيرة في الشكل، لكنها صغيرة في القيمة، وهي تشبه أجسام البغال وعقول العصافير، وفي إستراتيجية «كايزن» اليابانية نجد أن الأشياء ليست بالحجم، بل إن العديد من التحسينات الصغيرة الَّتي تجريها الدول في سبيل رفاهية شعوبها هي أفضل من التحسينات الكبيرة المتسرعة، وإن تحقيق هدفٍ صغيرٍ في كل يوم يعلو به خطوة على سلم النجاح، هو خير من التوقف في المكان نفسه أو الصعود بسرعة ثم الهبوط، وهكذا فإن منهجية الاستمرار في التطور لتحقيق الأهداف تتطلب من الدول العمل الدائم للوصول إلى محطة النجاح ورفاهية مواطنيها .

إن عدم التوقّف عن المطالبة باسترجاع حقوق المودعين، وعدم التصحيح السريع لمستحقات الموظفين في القطاعين العام والخاص، وزيادة رواتب المتقاعدين بما يتناسب مع سعر صرف الدولار المعتمد في موازنة العام ٢٠٢٢، والسعي لتخفيف الأعباء الماليَّة على المواطنين، لم يكن يومًا من الأيَّام تبديدًا للمال العام، وبالتأكيد نحن الصناعيّين، نؤيد وندعم أي إصلاح اقتصادي هدفه تنمية موارد البلاد، وتنويع مصادر الدخل، وزيادة مداخيل المواطنين وتخفيف الأعباء عنهم.

قيمة لبنان هي كبيرة بموارده الفكرية ومبدعيه، رغم صغر اقتصاده الَّذي لا يتجاوز العشَرة مليارات دولار بين صادرات وواردات، وهذه أرقام حقيقية غير مبالغ فيها، خاصَّة أنه «رُبَّ ضارة نافعة»، بحيث أسهم الحصار الاقتصادي على البلاد بخفض الاستيراد وزيادة الإنتاج المحلي، وربما ارتفعت الصادرات قليلًا بما يبشر بنمو قادم في ظل أزمة عالمية مستجدة، وانهيارات اقتصاديَّة كبيرة في أوروبا، والعالم يترافق مع غلاء وكساد عالميّين، ولا يمكن لأحد التنبؤ بما تؤول إليه الأوضاع في الحرب الأوكرانيّة – الروسية من مفاجآت قد تصل إلى ما ليس في الحساب، مع التوجه إلى الحسم بأسلحة جديدة .

بين القوميات الأوكرانيّة، وروسيا عبر التاريخ.

بعد الثورة البلشفية في العام ١٩١٧ أعلن مجموعة من الأوكران الاستقلال عن روسيا القيصرية تحت اسم جمهورية أوكرانيا الشَّعبية، وجعلوا مدينة كييف عاصمة لها، بعدها قام البلاشفة بإعلان جمهورية أوكرانيا الشيوعية عاصمتها مدينة خاركيف، وأعلنت مجموعة ثالثة في الغرب الأوكرانيّ استقلالها وعاصمتها مدينة لفيف، وضمت إليها المناطق الَّتي كانت خاضعة لسيطرة إمبراطورية النمسا، ثم قام البلاشفة باجتياح مناطق الجمهورية الشَّعبية في كييف، واجتاح البولنديون المنطقة الغربية، وهكذا فشلت محاولة الاستقلال، وفي العام ١٩٤١ اجتاحت الجيوش النازية مناطق الاتحاد السوفياتي، وجرت علميات إبادة في مدينة لفيف، ذهب ضحيتها نحو ٣٠٠ ألفٍ، وفيما كان ستيفان باندیرا يعمل لجعل أوكرانيا دولة مستقلة، قام هتلر باعتقاله، وعيّن مكانه حاكمًا عسكريًّا ألمانيًّا نكّل بالمدنيين الأوكران، ثم عادت أوكرانيا جزءًا من الاتحاد السوفياتي، وظلت لغاية العام ١٩٩١، وظلَّ الحكم فيها متعاونًا مع روسيا. وفي العام ٢٠٠٤ أجريت انتخابات نجح فيها يانوكوفيتش الموالي لروسيا ضد فيكتور يوشينكو، لكن الثورة البرتقالية والمظاهرات وأعمال الشغب أجبرت المحكمة العليا الأوكرانيّة على رفض نتيجة الانتخابات لمصلحة يوشينكو، وبعد فوزه عُدَّ ستيفان باندیرا بطلًا قوميًّا في أوكرانيا، وجرى إصدار طوابع باسمه، ووضع تماثيل له في المدن، وطبعًا خلع جميع الموالين لروسيا واستبدالهم بأوكران، وتم فتح عَلاقات مع أميركا والاتحاد الأوروبي، وتوقيع اتفاقية تعاون مع ميخائيل ساكاشفيلي رئيس جمهورية جورجيا المعادية لروسيا؛ وفي العام ٢٠١٠ ربح فيكتور يانوكوفيتش الانتخابات الرئاسية ورمم العَلاقة مع روسيا؛ وفي نهاية العام ٢٠١٣ رفض يانوكوفيتش التوقيع على

اتفاقية التعاون والشراكة الأوراسية، وبدأت مظاهرات دموية في الشوارع، طلب يانوكوفيتش على أثرها الدعم الأمني من ديميتري ميدفيدف رئيس وزراء روسيا لتهدئة المتظاهرين الَّذين أحرقوا المقرات الحكومية.

وبعد ذلك جرت دعوة مجلس النواب للاجتماع والتصويت لإقالة الرئيس يانوكوفيتش حليف روسيا الَّتي عَدَّت التصويت غير شرعي، وقامت بإرسال وحدات عسكرية إِلى أوكرانيا؛ في غضون ذلك تحركت مجموعات مسلحة من جماعة بانديرا، مثل فوج آزوف وغيره في المناطق ذات الغالبية الروسية، وبعد أن خرجت الأمور عن السيطرة نهائيًّا هرب يانوكوفيتش واجتاحت القوات الروسية شبه جزيرة القرم، وأعلنت مناطق دانييتسك ولوغانسك الاستقلال، تلاها مجازر في أوديسا وماريوبول وقصف الدونباس، وبعدها تمَّ دمج الأفواج النازية في الحرس الوطني ضمن القوات الأوكرانيّة، وصولًا إِلى عهد الرئيس الحالي والحرب الَّتي اندلعت في أواخر شباط المنصرم واجتياح الأراضي الأوكرانيّة. والسؤال الكبير: كيف يمكن أن تنتهي هذه الحرب؟ وهل تتحول إِلى حرب عالمية ثالثة؟ وهل أوروبا وأوكرانيا سوف يدفعان الثمن الكبير؟

بين دبلوماسية راقية، وحنكة سياسية معدومة.

يملك العديد من رؤساء البعثات الدبلوماسية اللُّبنانيّة والقناصل في العالم عقولًا وازنة وحكمة وحنكة سياسية، وهم أبناء مدرسة دبلوماسية راقية، تجعل كل لبناني يفتخر بهم، لكن، يا لَلأَسَف! ومنذ مدَّة طويلة تعاني وزارة الخارجية اللُّبنانيّة عدّة سقطات تسبب بها بعض السفراء أو بعض وزراء خارجية لبنان في المحافل الدَّوليَّة، وهذا شكَّل انحدارًا غير مسبوق في الدبلوماسية اللُّبنانيّة، وعكست تصرفات بعض السفراء والوزراء ضحالة ثقافتهم، وخللًا مخيفًا في كفاءة بعضهم في تقديرهم للأمور والتعامل مع الأحداث.

في المقابل عرف لبنان دبلوماسيين من الطراز الأوَّل كانوا يعرفون جيِّدًا متى يستخدمون الحزم، ومتى يستخدمون اللِّين، على الرغم من أن حنكتهم السِّياسيّة تكاد تكون معدومة، ويبلغ عدد البعثات الدبلوماسية في الخارج ٧٤ سفارة، إضافة إِلى ١٥ قنصلية، علمًا أن وزارة الخارجية اللُّبنانيّة حددت ١٢ بعثة دبلوماسية للإقفال، بناء لمعايير نفقاتها وواردتها وقيمتها الدبلوماسية، إلا أنه حتى الآن لم يُتخذ أي قرار بشأنها، وعلى طريقة الكاتب الياباني موراكامي: «أنا واحد من هؤلاء البشر الَّذين يفضلون البقاء بلا رفقة، ولكي أكون أكثر دقة، أنا شخص لا أجد في العزلة أي ألم أو عناء». يلجأ العديد من السفراء ورؤساء البعثات إِلى العزلة والانكفاء عن أي نشاطات، ولا تواصل بينهم وبين أبناء جاليتهم إلا بالبريد الإلكتروني، ربما لعصر النفقات.

والحال الَّذي بلغته صورة لبنان اليوم في الخارج عبر ممثلياتها من بؤس وفقر، وصولًا إِلى رفع دعاوى على بعض السفارات لعدم تسديد بدلات الإيجار، وهي حال مبكية، لم يكن أحد يتخيلها، بعدما تألقت لأكثر من عقد من الزمن،

والأزمة لا تقتصر على فعَّالية العاملين في السلك الديبلوماسي، وإنما تكمن أَيضًا في تأخير دفع رواتبهم والتكاليف التشغيلية للبعثات، مع ما يعنيه ذلك من تأثير في عملهم، ويحذر الديبلوماسيون اللُّبنانيّون من وجود اتجاه كبير لدى بعض أعضاء السلك الدبلوماسي لتركه، والبحث عن وظائف أخرى في ظل أوضاع لم تعد تُحتمل، وعلى الوزارة تحديد رغبتها في الإبقاء على سفاراتها، وتأمين نفقاتها، والحفاظ على كرامة أعضاء السلك الدبلوماسي في الخارج بأسرع وقت، ذلك أن سمعة لبنان هي من الأولويَّات بحسب رأيي الشخصي، وفيما الخلاف لا يزال عالقًا حول عدد البعثات الَّتي ستقفل، ولا سِيَّما أن خفض عددها سيتطلب الحفاظ على التوازن الطائفي، وهذه مهمة لن تكون سهلة، ولا سِيَّما إذا اعتمدت المعايير القاضية بعدم إقفال بعثة في بلد يفوق فيه عدد اللُّبنانيّين المغتربين، خمسين ألفًا.

نقولا أبو فيصل

مؤسس ورئيس مجلس ادارة مجموعة غاردينيا غران دور الإقتصادية.

مؤسس ورئيس مجلس إدارة شركة غاردينيا ليبانيز فارم - أرمينيا.

رئيس تجمع الصناعيين في البقاع.

نائب رئيس جمعية "زحلة مدينة للتذوق".

منسق العلاقات الدبلوماسية في جمعية الصناعيين اللبنانيين.

ممثل أرباب العمل في مجلس العمل التحكيمي.

مؤسس جمعية غاردينيا تشارتي فونديشن.

نائب رئيس المؤسسة الإنمائية لزحلة والبقاع.

عن لبنان... لماذا أكتب؟

حقوق الطبع محفوظة

الجزء الرابع - عن لبنان... لماذا أكتب؟

5 281033 135425